لايعدم الناس حظا بل يحجبون منه وهؤلاء لو عوضوا عما هم فيه من لذة الطاعة والمناجات
وملازمة الشهود للحضرة الالهية سرا وجهرا جميع نعيم الجنة لاستحقروها ولم يلتفتوا اليها فحركتهم
لحظ وطاعتهم لحظ ولكن حظهم معبودهم فقط دون غيره وقال ابو عثمان الاخلاص نسيان
رؤية الخلق بدوام النظر الى الخالق وهذا اشارة الى آفة الريا فقط وكذلك قول بعضهم الاخلاص
ان لا يطلع عليه شيطان فيفسده ولا ملك فيكتبه فانه اشارة الى مجرد الاخفا وقد قيل
الاخلاص ما استتر عن الخلايق وصفا عن العلايق وهذا اجمع للمقاصد وقال المحاسبي هو اخراج
الخلق عن معاملة الرب وهو اشارة الى مجرد الريا وكذلك قول الخواص من شرب من كاس
الرياسة فقد خرج عن اخلاص العبودية وقال الحواريون لعيسى صلوات الله عليه ما الخالص من
الاعمال قال الذي يعمل لله تعالى لا يحب ان يحمده عليه احد وهذا ايضا تعرض للريا وانما
خصصه بالذكر لانه اقوى الاسباب المشوشة للاخلاص وقال الجنيد رضي الله عنه الاخلاص
تصفية الاعمال من الكدورات وقال الفضيل ترك العمل من اجل الناس ريا والعمل من اجل
الناس شرك والاخلاص ان يعافيك الله عنهما وقيل الاخلاص دوام المراقبة ونسيان الحظوظ
كلها وهذا هو البيان الكامل والاقاويل في هذا كثيرة ولا فايدة في تكثير النقل بعد انكشاف
الحقيقة وانما البيان الشافي بيان سيد الاولين والآخرين صلى الله عليه وسلم اذ سئل عن
الاخلاص فقال ان تقول ربي الله ثم تستقيم كما امرت ان لا تعبد هواك ونفسك ولا تعبد الا
ربك وتستقيم في عبادته كما امرت وهذه اشارة الى قطع كل ما سوى الله عن مجرى النظر وهو
الاخلاص حقا بيان درجات الشوايب والآفات المكدرة للاخلاص اعلم ان الآفات
المشوشة للاخلاص بعضها جلية وبعضها خفية وبعضها ضعيفة مع الجلا وبعضها قوية مع الخفا
ولا تفهم اختلاف درجاتها في الخفا والجلا الا بمثال واظهر مشوشات الاخلاص الريا فلنذكر
منه مثالا فنقول الشيطان يدخل الآفة على المصلي مهما كان مخلصا في صلوته ثم نظر اليه
جماعة او دخل عليه داخل فيقول له حسن صلوتك حتى ينظر اليك هذا الحاضر بعين الوقار
والصلاح ولا يزدريك ولا يغتابك فتخشع جوارحه وتسكن اطرافه وتحسن صلوته وهذا هو
الريا الظاهر ولا يخفى ذلك على المبتدئين من المريدين الدرجة الثانية ان يكون المريد قد فهم
هذه الآفة واخذ منها حذره فصار لا يطيع الشيطان فيه ولا يلتفت ويستمر في صلوته كما كان
فياتيه في معرض الخير ويقول انت متبوع ومقتدى بك ومنظور اليك وما تفعله يؤثر عنك ويتاسى

بك غيرك فيكون لك ثواب اعمالهم ان احسنت وعليك الاوزار ان اسات فاحسن عملك بين يديه فصار يقتدى بك في الخشوع وتحسين العبادة وهذا اغمض من الاول وقد ينخدع به من لا ينخدع بالاول وهو ايضا عين الريا ومبطل للاخلاص فانه ان كان يرى الخشوع وحسن العبادة خيرا لا يرضى لغيره تركه فلم لم يرتضي لنفسه ذلك في الخلوة ولا يمكن ان يكون نفس غيره اعز عليه من نفسه فهذا محض التلبيس بل المقتدى به هو الذي استقام في نفسه واستنار قلبه فانتشر نوره الى غيره فيكون له ثواب عليه فاما هذا فمحض النفاق والتلبيس فمن اقتدى به اثيب عليه واما هو فيطالب بتلبيسه ويعاقب على اظهاره من نفسه ما ليس متصفا به الدرجة الثالثة وهي ادق مما قبلها ان يجرب العبد نفسه في ذلك ويتنبه لكيد الشيطان ويعلم ان مخالفته بين الخلوة والمشاهدة للغير محض الريا ويعلم ان الاخلاص في ان يكون صلوته في الخلوة مثل صلوته في الملا ويستحيي من نفسه ومن ربه ان يتخشع لمشاهدة الخلق تخشعا زايدا على عاداته فيقبل على نفسه في الخلوة ويحسن صلوته على الوجه الذي يرتضيها في الملا ويصلي في الملا ايضا كذلك فهذا ايضا من الريا الغامض لانه حسن صلوته في الخلوة ليحسن في الملا فلا يكون قد فرق بينهما فالتفاته في الخلوة والملا الى الخلق بل الاخلاص ان يكون مشاهدة البهايم لصلوته ومشاهدة الخلق على وتيرة واحدة فكان نفس هذا ليست تسمح باساءة الصلوة بين اظهر الناس ثم تستحيي من نفسه ان يكون في صورة المرائين ويظن ان ذلك يزول بان تستوي صلوته في الخلا والملا وهيهات بل زوال ذلك بان لا يلتفت الى الخلق كما لا يلتفت الى الجمادات في الخلا والملا جميعا وهذا شخص مشغول الهم بالخلق في الخلا والملا جميعا وهذا من المكايد الخفية للشيطان الدرجة الرابعة وهي ادق واخفى ان ينظر اليه الناس وهو في صلوته فيعجز الشيطان عن ان يقول له اخشع لاجلهم فانه قد عرف انه يتفطن لذلك فيقول له الشيطان تفكر في عظمة الله وجلاله ومن انت واقف بين يديه واستحي من ان ينظر الله الى قلبك وهو غافل عنه فيحضر بذلك قلبه وتخشع جوارحه ويظن ان ذلك عين الاخلاص وهو عين المكر والخداع فان خشوعه لو كان لنظره الى جلاله لكانت هذه الخطرة تلازمه في الخلوة ولو كان لا تختص خطورها بحالة حضور غيره وعلامة الامن من هذه الافة ان يكون هذا الخاطر مما يالفه في الخلوة كما يالفه في الملا ولا يكون حضور الغير هو السبب في حضور الخاطر كما لا يكون حضور بهيمة سببا فما دام يفرق في احواله بين مشاهدة انسان

ومشاهدة بهيمة فهو بعد خارج عن صفو الاخلاص مدنس الباطن بالشرك الخفي من الرياء وهذا
الشرك اخفى في قلب ابن آدم من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء
كما ورد به الخبر ولا يسلم من الشيطان الا من دق نظره وسعد بعصمة الله تع وتوفيقه وهدايته
والا فالشيطان ملازم للمتشمرين بعبادة الله لا يغفل عنهم لحظة حتى يحملهم على الرياء في كل
حركة من الحركات حتى في كحل العين وقص الشارب وطيب يوم الجمعة ولبس الثياب فان
هذه سنن في اوقات مخصوصة وللنفس فيها حظ خفي لارتباط نظر الخلق بها ولاستيناس
الطبع بها فيدعو الشيطان الى فعل ذلك ويقول هذه سنة لا ينبغي ان تتركها ويكون
انبعاث القلب باطنا لها لاجل تلك الشهوة الخفية او مشوبا بها يخرج من حد الاخلاص بسببه
وما لا يسلم عن هذه الآفات كلها فليس بخالص بل من يعتكف في مسجد معمور نظيف حسن
العمارة يانس الطبع به فالشيطان يرغبه فيه ويكثر عليه من فضايل الاعتكاف وقد يكون
المحرك الخفي في سره وهو الانس بحسن صورة المسجد واستراحة الطبع به ويتبين ذلك في ميله
الى احد المسجدين او احد الموضعين اذا كان احسن من الآخر وكل ذلك امتزاج بشوايب الطبع
وكدورات النفس ومبطل حقيقة الاخلاص لعمري الغش الذي يمزج بخالص الذهب له درجات
متفاوتة فمنها ما يغلب ومنها ما يقل ولكن يسهل دركه ومنها ما يدق بحيث لا يدركه الا الناقد
البصير وغش القلب ودغل الشيطان وخبث النفس اغمض من ذلك وادق كثيرا ولهذا قيل
ركعتان من عالم افضل من عبادة سنة من جاهل واريد به العالم البصير بدقايق آفات
الاعمال حتى يخلص منها فان الجاهل نظره الى ظاهر العبادة واغتراره بها كنظر السوادي الى
حمرة الدينار المموه واستدارته وهو مغشوش زيف في نفسه وقيراط من الخالص الذي يرتضيه
الناقد خير من دينار يرتضيه الغر الغبي فهكذا تتفاوت امر العبادات بل هو اشد واعظم
ومداخل الآفات المتطرقة الى فنون الاعمال لا يمكن حصرها واحصاؤها فلنقنع بما ذكرناه مثالا
والفطن يغنيه القليل عن الكثير والبليد لا يغنيه التطويل ايضا فلا فايدة في التفصيل
بيان عمل المشوب في استحقاق الثواب اعلم ان العمل اذا لم يكن خالصا
لوجه الله تعالى بل امتزج به شوب من الرياء او حظوظ النفس فقد اختلف في ان ذلك هل
يقتضي ثوابا او يقتضي عقابا ام لا يقتضي شيئا اصلا فلا يكون لا له ولا عليه اما الذي لم يرد به الا
الرياء فهو عليه قطعا فهو سبب المقت والعقاب واما الخالص لوجه الله فهو سبب الثواب وانما

الحظ في المنسوب وظاهر الاخبار يدل على انه لا ثواب له وليس تخلو الاخبار عن تعارض فيه والذي ينقدح
لنا فيه والعلم عند الله ان ينظر الي قوة البواعث فان كان الباعث الديني مساويا للباعث النفسي تقاوما
وتساقطا وصار العمل لا له ولا عليه وان كان باعث الرياء اغلب واقوى فهو ليس بنافع بل هو مع ذلك
مضر ومقتضي للعقاب نعم العقاب الذي فيه اخف من عقاب العمل الذي تجرد للرياء ولم يمتزج
بشائبة التقرب وان كان قصد التقرب اغلب بالاضافة الي الباعث الآخر فله ثواب بقدر ما فضل من
قوة الباعث الديني وهذا لقوله تبارك وتعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ولقوله تع ان الله لا يظلم
مثقال ذرة فلا ينبغي ان تضيع قصد الخير بل ان كان غالبا على قصد الرياء حبط منه القدر الذي
يساويه وبقيت فيه زيادة وان كان مغلوبا اسقط بسببه شي من عقوبة القصد الفاسد وكشف
الغطاء عن هذا ان الاعمال تاثيرها في القلوب بتاكيد صفاتها فداعية الرياء من المهلكات وانما
غذاء هذا المهلك وقوته العمل على وفقه وداعية الخير من المنجيات وانما قوتها بالعمل على وفقه فاذا
اجتمعت الصفتان في القلب فهما متضادتان فاذا عمل على وفق مقتضى التقرب فقد قوي ايضا
تلك الصفة واحدهما مهلك والآخر منجي فان كان تقوية هذا بقدر تقوية الآخر فقد تقاوما فكان
كالمستضر بالحرارة اذا تناول ما يضره ثم تناول من المبردات ما يقاوم قدر قوته فيكون تناولهما كانه
لم يتناولهما وان كان احدهما غالبا لم يخل الغالب عن اثر فكما لا يضيع مثقال ذرة من الطعام والشراب
والادوية ولا ينفك عن اثر في الجسد بحكم سنة الله تع فكذلك لا يضيع مثقال ذرة من الخير والشر و لا
ينفك عن تاثير في انارة القلب او تسويده وفي تقريبه من الله او ابعاده فاذا جاء بما يقربه شبرا مع ما
يبعده شبرا فقد عاد الي ما كان فلم يكن لا له ولا عليه وان كان الفعل مما يقربه شبرين والآخر يبعده
شبرا واحدا فضل له لا محالة شبر واحد وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اتبع السيئة الحسنة تمحها فاذا
كان الرياء المحض يمحوها الاخلاص المحض عقيبها فاذا اجتمعا جميعا فلا بد وان يتدافعا بالضرورة
وتشهد لهذا اجماع الامة على ان من خرج حاجا ومعه تجارة صح حجه واثيب عليه وقد امتزج به حظ من
حظوظ النفس نعم يمكن ان يقال انما يثاب على اعمال الحج عند انتهائه الي مكة وتجارته غير موقوفة
عليه فهو خالص وانما المشترك طول المسافة ولا ثواب فيه مهما قصد التجارة ولكن الصواب ان يقال
مهما كان الحج هو المحرك الاصلي وكان غرض التجارة كالمعين والتابع فلا ينفك نفس السفر عن ثواب
وما عندي ان الغزاة لا يدركون في انفسهم تفرقة بين غزو الكفار في جهة يكثر فيها الغنائم وبين
جهة لا غنيمة فيها وبعيد ان يقال ادراك هذه التفرقة يحبط بالكلية ثواب جهادهم بل العدل ان

يقال اذا كان الباعث الاصلي والمزعج القوي هو اعلاء كلمة الله وانما الرغبة في الغنيمة علي سبيل التبعية فلا يحبط به الثواب نعم لا يساوي ثوابه ثواب من لا يلتفت قلبه الي الغنيمة اصلا فان هذا الالتفات نقصان لا محالة فان قلت فالآيات والاخبار تدل علي ان شوب الريا محبط للثواب وفي معناه شوب طلب الغنيمه والتجارة وساير الحظوظ فقد روي طاوس وعدة من التابعين ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم عمن يصطنع المعروف او قال يتصدق فيحب ان يحمد ويوجر فلم يدر ما يقول له حتى نزل قوله فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وقد قصد الاجر والحمد جميعا وروي معاذ انه صلى الله عليه وسلم قال ادني الريا شرك وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم يقول لمن اشرك في عمله خذ اجرك ممن عملت له وعن عبادة ان الله عز وجل يقول انا اغنى الاغنياء عن الشرك من عمل لي عملا فاشرك معي غيري ودعت نصيبي لشريكي وروي ابو موسى ان اعرابيا اتاه فقال له يا رسول الله الرجل يقاتل حمية والرجل يقاتل شجاعة والرجل يقاتل ليري مكانه في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وقال عمر يقولون فلان شهيد ولعله يكون ملا دفتي راحلته ورقا وقال ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هاجر يبتغي شيا من الدنيا فهو له فيقول هذه الاحاديث لا يناقض ما ذكرناه بل المراد بها من لم يرد به الا الدنيا كقوله من هاجر يبتغي شيا من الدنيا وكان ذلك هو الاغلب علي همه وقد ذكرنا ان ذلك عصيان وعدوان لا لان طلب الدنيا حرام ولكن طلبه باعمال الدين حرام لما فيه من الريا وتغيير العبادة عن وضعها واما لفظ آخر الشركة حيث ورد فمطلقه للتساوي وقد بينا انه اذا تساوى القصد ان تقاوما ولم يكن له ولا عليه فلا ينبغي ان يرجي عليه ثواب ثم الانسان عند الشركة ابدا في خطر فانه لا يدري اي الامرين اغلب علي قصده فربما يكون عليه وبالا ولذلك قال الله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا اي لا يرجي اللقاء مع الشركة التي احسن احوالها التساقط ويجوز ان يقال ايضا منصب الشهادة لا ينال الا بالاخلاص في الغزو وبعيد ان يقال من كانت داعيته الدينية بحيث تزعجه الي مجرد الغزو وان لم يكن غنيمة وقدر علي غزو طايفتين من الكفار احديهما الاغنياء والاخرى الفقراء فمال الي جهة الاغنياء لاعلاء كلمة الله وللغنيمة انه لا ثواب له علي غزوه البتة ونعوذ بالله ان يكون الامر كذلك فان هذا حرج في الدين ومدخل الياس علي المسلمين لان امثال هذه الشوائب التابعة قط لا ينفك

الانسان منها الاعلى الندور فيكون تاثير هذا في نقصان الثواب فاما ان يكون في احباطه فلا
نعم الانسان فيه على خطر عظيم لانه ربما يظن ان الباعث الاقوى هو قصد التقرب ويكون
الاغلب على سره الحظ النفسي وذلك مما يخفى غاية الخفاء فلا يحصل الامن الا بالاخلاص والاخلاص
قلما يستيقنه العبد من نفسه وان بالغ في الاحتياط فلذلك ينبغي ان يكون ابدا بعد كمال
الاجتهاد مترددا بين الرد والقبول خايفا ان يكون في عبادته آفة يكون وبالها اكثر من ثوابها
وهكذا كان الخايفون من ذوي الابصار وهكذا ينبغي ان يكون كل ذي بصيرة ولذلك قال
سفيان لا اعتد بما ظهر من عملي وقال عبد العزيز بن ابي رواد جاورت هذا البيت ستين
سنة وحججت ستين حجة فما دخلت في شي من اعمال البر الا وحاسبت نفسي فوجدت
نصيب الشيطان منه اوفى من نصيب الله ليته الاولي ولا علي ومع هذا فلا ينبغي ان يترك
العمل عند خوف آفة الرياء فان ذلك منتهى بغية الشيطان منه اذ المقصود ان لا يفوت الاخلاص
ومهما ترك العمل فقد ضيع العمل والاخلاص جميعا وقد حكي ان بعض الفقراء كان يخدم ابا سعيد
الخراز ويخف في اعماله فتكلم ابو سعيد يوما في اخلاص الحركات فاخذ الفقير يتفقد قلبه
عند كل حركة ويطالبه بالاخلاص فتعذر عليه قضاء الحوايج واستضر الشيخ به فساله عن ذلك
فاخبره بمطالبته نفسه بحقيقة الاخلاص وانه يعجز عنها في اكثر اعماله فيتركها فقال له ابو سعيد
لا تفعل ان الاخلاص لا يقطع المعاملة فواظب على العمل واجتهد في تحصيل الاخلاص
فما قلت لك اترك العمل وانما قلت اخلص العمل وقد قال الفضيل ترك [illegible] لسبب الخلق
رياء وفعله لاجلهم شرك

الباب الثالث

في الصدق وفضيلته وحقيقته فضيلة الصدق قال الله تبارك وتعالى رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الصدق يهدي الى البر والبر يهدي
الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب صديقا وان الكذب يهدي الى الفجور والفجور
يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا ويكفي في فضيلة الصدق
ان الصديق مشتق منه والله تعالى وصف به الانبياء في معرض المدح والثناء فقال تعالى
واذكر في الكتاب ابرهيم انه كان صديقا نبيا وقال واذكر في الكتاب ادريس انه كان
صديقا نبيا وقال ابن عباس رضي الله عنه اربع من كن فيه فقد ربح الصدق والحياء وحسن
الخلق والشكر وقال بشر بن الحارث من عامل الله بالصدق استوحش من الناس وقد

ابو عبد الله الرملي رايت منصورا الدينوري في المنام فقلت له ما فعل الله بك فقال غفر لي ورحمني
واعطاني ما لم آمل فقلت له احسن ما توجه العبد به الى الله تع ماذا قال الصدق واقبح ما توجه
الكذب وقال ابو سليمان اجعل الصدق مطيتك والحق سيفك والله تع غاية طلبتك وقال
رجل لحكيم ما رايت صادقا فقال لو كنت صادقا لعرفت الصادقين وعن محمد بن علي الكتاني
قال وجدنا دين الله تع مبنيا على ثلثة اركان على الحق والصدق والعدل فالحق على الجوارح
والعدل على القلوب والصدق على العقول وقال الثوري في قوله تبارك وتعالى ويوم القيمة
ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة قال هم الذين ادعوا محبة الله تع ولم يكونوا فيها صادقين
واوحى الله تعالى الى داود يا داود من صدقني في سريرته صدقته عند المخلوقين في علانيته
وصاح رجل في مجلس الشبلي رحمه الله ورمى نفسه في دجله فقال ان كان صادقا فالله
ينجيه كما انجى موسى عليه السلم وان كان كاذبا فالله تع يغرقه كما غرق فرعون وقال بعضهم
اجمع العلماء والفقهاء على ثلث خصال انها اذا صحت تعقبها النجاة ولا يتم بعضها الا ببعض
الاسلام الخالص عن البدعة والهوى والصدق لله تع في الاعمال وطيب المطعم وقال وهب
بن منبه وجدت على حاشية التورية اثنين وعشرين حرفا كان صلحاء بني اسرائيل يجتمعون
فيقرؤنها لا كنز انفع من العلم ولا مال اربح من الحلم ولا حسب اوضع من الغضب ولا قرين
ازين من العمل ولا رفيق اشين من الجهل ولا شرف اعز من التقوى ولا كرم اوفق من ترك
الهوى ولا عمل افضل من الفكر ولا حسنة اعلى من الصبر ولا سيئة اخزى من الكبر ولا
دواء الين من الرفق ولا داء اوجع من الخرق ولا رسول اعدل من الحق ولا دليل انصح من
الصدق ولا فقر اذل من الطمع ولا غنى اشقى من الجمع ولا حيوة اطيب من الصحة ولا معيشة
اهنى من العفة ولا عبادة احسن من الخشوع ولا زهد خير من القنوع ولا حارس
احفظ من الصمت ولا غايب اقرب من الموت وقال محمد بن سعيد المروزي اذا طلبت
الله تع بالصدق افادك الله مرآة بيدك حتى تبصر كل شيء من عجايب الدنيا والآخرة وقال
ابو بكر الوراق احفظ الصدق فيما بينك وبين الله والرفق فيما بينك وبين الناس وقيل
لذي النون هل للعبد الى صلاح اموره سبيل فقال قد بقينا مذبذبين حيارى نطلب
الصدق هل اليه سبيل فدعاوي الهوى تخف علينا وخلاف الهوى علينا ثقيل وقيل
لسهل رحمه الله ما اصل هذا الامر الذي نحن عليه فقال الصدق والسخاء والشجاعة فقيل

زدنا فقال التقى والحيا وطيب الغذا وعن ابن عباس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم عن
الكمال فقال قول الحق والعمل بالصدق وعن الجنيد في قوله تع ليسال الصادقين عن صدقهم
قال يسال الصادقين عند انفسهم عن صدقهم عند ربهم وهذا امر على خطر بيان
حقيقة الصدق ومعناه ومراتبه اعلم ان لفظ الصدق يستعمل في ستة معان صدق في
القول وصدق في النية والارادة وصدق في العزم وصدق في الوفا بالعزم وصدق في
العمل وصدق في تحقيق مقامات الدين كلها فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك فهو صديق
لانه مبالغة من الصدق ثم هم ايضا على درجات ومن كان له حظ من الصدق في شي من
الجملة فهو صادق بالاضافة الى ما فيه صدقه الصدق الاول صدق اللسان وذلك لا يكون
الا في الاخبار او فيما يتضمن الاخبار وينبه عليه والخبر اما ان يتعلق بالماضي او بالمستقبل وفيه
يدخل الوفا بالوعد والخلف فيه وحق على كل عبد ان يحفظ اقواله والفاظه فلا يتكلم الا بالصدق
وهذا هو اشهر انواع الصدق واظهره فمن حفظ لسانه عن الاخبار عن الاشيا على خلاف ما هي عليه
فهو صادق ولكن لهذا الصدق كمالان احدهما الاحتراز عن المعاريض فقد قيل في المعاريض
مندوحة عن الكذب وذلك لانها تقوم مقام الكذب اذ المحذور من الكذب تفهيم الشي على خلاف
ما هو عليه في نفسه الا ان ذلك مما تمس اليه الحاجة وتقتضيه المصلحة في بعض الاحوال وفي تاديب
الصبيان والنسوان ومن يجري مجراهم وفي الحذر عن الظلمة وفي قتال الاعدا والاحتراز عن اطلاعهم
على اسرار الملك فمن اضطر الى شي من ذلك فصدقه فيه ان يكون نطقه فيه لله فيما يامر الحق به
ويقتضيه الدين فاذا نطق به فهو صادق وان كان كلامه مفهما غير ما هو عليه لان الصدق ما اريد
لذاته بل للدلالة على الحق والدعا اليه فلا ينظر الى صورته بل الى معناه نعم في مثل هذا الموضع
ينبغي ان يعدل العبد الى المعاريض ما وجد اليه سبيلا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا توجه
الى سفر ورى بغيره وذلك كيلا ينتهي الخبر الى الاعدا فيقصدوا وليس هذا من الكذب في شي قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بكاذب من اصلح بين اثنين فقال خيرا ورخص في النطق على وفق
المصلحة في ثلث مواضع من اصلح بين اثنين ومن كان له زوجتان ومن كان في مصالح الحرب
فالصدق ههنا يتحول الى النية فلا يرعى فيه الا صدق النية وارادة الخير فمهما صح قصده وصدقت
نيته وتجردت للخير ارادته كان صادقا او صديقا كيف ما كان لفظه ثم التعريض فيه اولى فطريقه ما حكي
عن بعضهم انه كان يطلبه بعض الظلمة وهو في داره فقال لزوجته خطي باصبعك دائرة وضعي الاصبع

عليه وقولي ليس ههنا واحترز بذلك عن الكذب ودفع الظالم عن نفسه فكان قوله صدقا وافهم الظالم
انه ليس ههنا واحترز بذلك عن الكذب ودفع الظالم عن نفسه فكان قوله صدقا وافهم الظالم انه ليس
في الدار فالكمال الاول في اللفظ ان يحترز عن صريح اللفظ وعن المعاريض ايضا الا عند الضرورة والكمال
الثاني ان يراعي معنى الصدق في الفاظه التي يناجي بها ربه كقوله وجهت وجهي للذي فطر السموات
والارض فان قلبه ان كان منصرفا عن الله مشغولا بامانى الدنيا وشهواته فهو كاذب وكقوله اياك نعبد
واياك نستعين وقوله انا عبد الله فانه اذا لم يتصف بحقيقة العبودية وكان له مطلب سوى الله لم يكن
كلامه صدقا ولو طولب يوم القيمة بالصدق في قوله انا عبد الله لعجز عن تحقيقه فانه ان كان عبدا لنفسه
او عبدا للدنيا او عبدا لشهواته لم يكن صادقا في قوله وكل ما تقيد العبد به فهو عبد له كما قال عيسى عليه
يا عبيد الدنيا وقال النبي صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الحلة وعبد الخميصة
سمى كل من تقيد قلبه بشئ عبدا له وانما العبد الحق لله من اعتق اولا عن غير الله تع فصار حرا مطلقا
فاذا تقدمت هذه الحرية صار القلب فارغا فخلت فيها العبودية لله فتشغله بالله تع ومحبته ويتقيد
باطنه وظاهره بطاعته فلا يكون له مراد الا الله تع ثم تدريجا وزهدنا الى مقام اسنى منه تسمى الحرية
وهو ان يعتق ايضا من ارادته لله من حيث هو يتنع بما يريد الله به من تقريب ما ابعاد فيفنى ارادته في
ارادة الله تع وهذا عبد عتق عن غير الله فصار حرا ثم عاد وعتق عن نفسه فصار حرا وصار مفقودا
لنفسه موجودا لسيده ومولاه ان حركه تحرك وان سكنه سكن وان ابتلاه رضي لم يبق فيه متسع
لطلب والتماس واعتراض بل هو بين يدي الله كالميت بين يدي الغاسل وهذا منتهى الصدق في
العبودية فالعبد الحق هو الذي وجوده لمولاه لا لنفسه وهذه درجات الصديقين واما الحرية
عن غير الله فدرجات الصادقين وبعدها يتحقق العبودية لله وما قبل هذا فلا يستحق صاحبه ان
يسمى صادقا ولا صديقا فهذا هو معنى الصدق في القول الصدق الثاني في النية والارادة ويرجع
ذلك الى الاخلاص وهو ان لا يكون له باعث في الحركات والسكنات الا الله تع فان مازجه شوب
من حظوظ النفس بطل صدق النية وصاحبه يجوز ان يسمى كاذبا كما روينا في فضيلة الاخلاص
من حديث الثلثة حتى سئل العالم ماذا عملت فيما علمت فقال فعلت كذا وكذا فقال الله تع كذبت انت
اردت ان يقال فلان عالم فانه لم يكذبه ولم يقل لهم لم تعمل ولكن كذبه في ارادته ونيته وقد قال
بعضهم الصدق صحة التوجه في القصد وكذلك قال الله تبارك وتعالى والله يشهد ان المنافقين
لكاذبون وقد قالوا انك لرسول الله وهذا صدق ولكن كذبهم لا من حيث نطق اللسان بل من حيث ضمير

القلب وكان التكذيب يتطرق الي الخبر بهذا القول يتضمن اخبارا بقرينة الحال اذ صاحبه يظهر من
نفسه انه يعتقد ما يقوله فكذب في دلالته بقرينة الحال على قلبه فانه كذب في ذلك وانه لم يكذب
فيما يلفظ به فيرجع احد معاني الصدق الي خلوص النية وهو الاخلاص وكل صادق فلابد وان يكون
مخلصا الصدق الثالث صدق العزم فان الانسان قد يقدم العزم على العمل فيقول في نفسه
ان رزقني الله مالا تصدقت بجميعه او بشطره او لقيت عدوا في سبيل الله قاتلت ولم ابال وان
قتلت وان اعطاني الله ولاية عدلت فيها ولم اعص الله تعالى بظلم وميل الي خلق فهذه العزيمة قد
يصادفها من نفسه وهي عزيمة جازمة صادقة وقد يكون في عزمه نوع ميل وتردد وضعف يضاد
الصدق في العزيمة وكان الصدق ههنا عبارة عن التمام والقوة كما يقال لفلان شهوة
صادقة ويقال هذا المريض شهوة كاذبة مهما لم يكن شهوة عن سبب ثابت قوي او كانت ضعيفة
فقد يطلق الصدق ويراد به هذا المعنى فالصادق والصديق هو الذي يصادف عزيمته في الخيرات
كلها قوية تامة ليس فيه ميل ولا ضعف ولا تردد بل تسخو نفسه ابدا بالعزم المصمم الجازم على الخيرات
وهو كما قال عمر رضي الله عنه لان اقدم فيضرب عنقي احب الي من ان تأمر علي قوم فيهم ابو بكر فانه قد وجد
من نفسه العزم الجازم والمحبة الصادقة بانه لا يتأمر مع وجود ابي بكر وأكد بما ذكره من القتل
ومراتب الصديقين في العزائم تختلف فقد يصادف العزم ولا ينتهي به الي ان يرضى بالقتل
فيه ولكن اذا خلي ورايه لم يتقدم ولو ذكر له حديث القتل لا ينقض عزمه بل في الصادقين
والمؤمنين من لو خير بين ان يقتل هو او ابو بكر كانت حياته احب اليه من حيوة ابي بكر الصديق الصدق
الرابع في الوفاء بالعزم فان النفس قد تسخو بالعزم في الحال اذ لا مشقة في الوعد والعزم والمؤنة
فيه خفيفة فاذا حقت الحقائق وحصل التمكن وهاجت الشهوات انحلت العزيمة وغلبت
الشهوة ولم يتفق الوفاء بالعزم وهذا يضاد الصدق فيه ولذلك قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه فقد روي عن انس ان عمه انس بن النضر لم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق
ذلك على قلبه وقال اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه اما والله لئن اراني
الله مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما اصنع فشهد احدا من العام القابل فاستقبله
سعد بن معاذ فقال يا ابا عمرو الي اين فقال واها لريح الجنة اني اجدها دون احد فقاتل حتى قتل
فوجد في جسده بضع وثمانون من بين رمية وضربة وطعنة فقالت بنت النضر اخته ما عرفته
اخي الا ببنانه ونزلت هذه الآية رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم

علي مصعب بن عمير وقد سقط علي وجهه يوم احد شهيدا وكان صاحب لواء رسول الله صلعم
فقال صلى الله عليه وسلم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر
وقال فضيلة بن عبيد سمعت عمر بن الخطاب رضه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
اربعة رجل مومن جيد الايمان لقي العدو فصدق الله تع تعالي حتى قتل فذلكما الذي يرفع
الناس اليه اعينهم يوم القيمة هكذا ورفع راسه حتى وقعت القلنسوة من راسه قال الراوي
فلا ادري قلنسوة عمر او قلنسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجل جيد الايمان اذا لقي العدو
فكانما يضرب وجهه بشوك الطلح اتاه سهم فقتله فهو الدرجة الثانية ورجل مومن خلط
عملا صالحا وآخر سيا لقي العدو فصدق الله تعالى حتى قتل فذلك في الدرجة الثالثة ورجل
مومن اسرف علي نفسه اسرافا كثيرا لقي العدو فصدق الله تع حتى قتل فذلك في الدرجة الرابعة
وقال مجاهد رجلان خرجا علي ملا من الناس فقالوا ان رزقنا الله لنصدقن فرزقهما
الله تع فبخلوا به فنزلت ومنهم من عاهد الله لين آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين
فلما آتيهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الي يوم يلقونه
بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون وقال بعضهم انما هو شي نووه في انفسهم لم يتكلموا
به فجعل العزم عهدا وجعل الخلف فيه كذبا والوفاء به صدقا وهذا الصدق اشد من الصدق
الثالث فان النفس قد تسخو بالعزم ثم تكيع عن الوفاء لشدته عليها ولهيجان الشهوات
عند التمكن وحصول الاسباب ولذلك استثنى عمر رضه فقال لان اقدم فيضرب عنقي احب
الي من ان اتامر على قوم فيهم ابو بكر اللهم الا ان يسول نفسي عند القتل شيا لا اجده الان
لاني لا آمن ان يثقل عليها ذلك فتتغير عن عزمها اشار بذلك الي شدة الوفاء بالعزم وقال
ابو سعيد الخراز رايت في المنام ملكين كانهما نزلا من السماء فقالا لي ما الصدق قلت الوفاء
بالعهد فقالا لي صدقت وعرجا الي السماء الصدق الخامس في الاعمال وهو ان يجتهد
حتى لا يدل اعماله الظاهرة على امر في باطنه لا يتصف هو به لا بان يترك الاعمال ولكن بان
يستجر الباطن الي تصديق الظاهر وهذا يخالف ما ذكرنا من ترك الريا لان المرائي هو الذي
يقصد ذلك ورب واقف علي هيئة الخشوع في صلوته ليس يقصد به مشاهدة غيره ولكن قلبه
غافل عن الصلوة فمن ينظر اليه يراه قايما بين يدي الله تع وهو بالباطن قايم في السوق بين
يدي شهوة من شهواته فهذه اعمال تعرب بلسان الحال عن الباطن اعرابا هو فيه كاذب

وهو مطالب بالصدق في الاعمال وكذلك قد يمشي الرجل على هيئة السكون والوقار وليس باطنه
موصوفا بذلك الوقار فهذا غير صادق في عمله وان لم يكن ملتفتا الى الخلق ولا مرائيا اياهم ولا ينجو
عن هذا الا باستواء السريرة والعلانية بان يكون باطنه مثل ظاهره او خيرا من ظاهره ومن خيفة
ذلك اختار بعضهم تشويش الظاهر ولبس ثياب الاشرار كيلا يظن به الخير بسبب ظاهره فيكون كاذبا
في دلالة الظاهر على الباطن فاذا مخالفة الظاهر الباطن ان كان عن قصد سمي رياء ويفوت
به الاخلاص وان كان من غير قصد فيفوت به الصدق ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم
اجعل سريرتي خيرا من علانيتي واجعل علانيتي صالحة قال يزيد بن الحارث اذا استوت سريرة
العبد وعلانيته فذلك النصف وان كانت سريرته افضل من علانيته فذلك الفضل وان كانت علانيته
افضل من سريرته فذلك الجور وانشدوا اذا السر والاعلان في المومن استوى فقد عز في الدارين
واستوجب الثنا فان خالف الاعلان سرا فما له على سعيه فضل سوى الكد والعنا كما خالص الدينار
في السوق نافق ومغشوشه المردود لا يقتضي المنى وقال عطية بن عبد الغافر اذا وافقت سريرة
المومن علانيته باهى الله به الملايكة يقول هذا عبدي حقا وقال معوية بن قرة من يدلني على
بكاء بالليل بسام بالنهار وقال عبد الواحد كان الحسن اذا امر بشي كان من اعمل الناس
له واذا نهي عن شي كان من اترك الناس له ولم ار احدا قط اشبه سريرة بعلانية منه وكان ابو
عبد الرحمن الزاهد يقول الهي اني عاملت الناس فيما بيني وبينهم بالامانة وعاملت فيما بيني
وبينك بالخيانة ويبكي وقال ابو يعقوب النهرجوري الصدق موافقة الحق في السر والعلانية
فاذن مساواة السريرة العلانية احد انواع الصدق الصدق السادس وهو اعلى الدرجات
واعزها الصدق في مقامات الدين كالصدق في الخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والحب
والتوكل وساير هذه الامور فان هذه الامور لها مبادي فيطلق الاسم بظهورها ثم لها غايات
وحقايق والصادق المحقق من نال حقيقتها واذا غلب الشي وتمت حقيقته يسمى صاحبه
صادقا فيه كما يقال فلان صدق القتال ويقال هذا هو الخوف الصادق وهذه هي الشهوة الصادقة
وقال الله تع انما المومنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الاية وقال الله تع ولكن البر من آمن بالله
واليوم الآخر الى قوله والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا وسيل ابوذر
عن الايمان فقرا هذه الاية فقيل له سالناك عن الايمان فقال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
الايمان فقرا هذه الاية ولنضرب الخوف مثلا فما من عبد يومن بالله الا وهو خايف من الله خوفا

ينطلق عليه الاسم ولكنه خوف غير صادق اي غير بالغ درجة الحقيقة اما تراه اذا خاف سلطانا او قاطع
طريق في سفره كيف يصفر لونه وترتعد فرايصه ويتنغص عليه عيشه ويتعذر عليه اكله ونومه ويتقسم
عليه فكره حتى لا ينتفع به اهله وولده وقد ينزعج عن الوطن فيستبدل بالانس الوحشة وبالراحة التعب
والمشقة والتعرض للاخطار كل ذلك خوفا من درك المحذور ثم انه يخاف النار ولا يظهر عليه شي من ذلك
عند جريان معصية عليه ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لم ار مثل النار نام هاربها ولم ار مثل الجنة
نام طالبها فالتحقيق في هذه الامور عزيز جدا ولا غاية لهذه المقامات حتى ينال تمامها ولكن لكل
عبد منه حظ بحسب حاله اما ضعيف واما قوي فاذا قوي سمي صادقا فيه فمعرفة الله وتعظيمه والخوف
منه لا نهاية له ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبرئيل احب ان اراك في صورتك التي هي صورتك
فقال لا تطيق ذلك قال بلى ارني قال فواعده البقيع في ليلة مقمرة فاتاه فنظر النبي صلى الله عليه وسلم فغشي
عليه فافاق وقد عاد جبرئيل بصورته الاولى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما ظننت ان احدا من خلق الله
هكذا قال كيف لو رايت اسرافيل ان العرش لعلى كاهله وان رجليه قد مرقتا تخوم الارضين السفلى
وانه ليتصاغر من عظمة الله حتى يصير كالوضع يعني كالعصفور الصغير فانظر ما الذي يغشيه من العظمة
والهيبة حتى يرجع الى ذلك الحد وسائر الملائكة ليسوا كذلك لتفاوتهم في المعرفة فهذا هو الصدق في
التعظيم وقال جابر قال النبي صلعم مررت ليلة اسري بي وجبرئيل بالملاء الاعلى كالحلس البالي
من خشية الله تع يعني الكساء الذي يلقى على ظهر البعير وكذلك الصحابة كانوا خائفين وما كانوا بلغوا
خوف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك قال ابن عمر رضي الله عنهما ما تبلغ حقيقة الايمان حتى تنظر الى
الناس كلهم حمقى في دين الله وقال مطرف ما من الناس احد الا وهو احمق فيما بينه وبين ربه الا ان
بعض الحمقى اهون من بعض وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى ينظر الى الناس
كالاباعر في جنب الله ثم يرجع الى نفسه فيجدها احقر حاقرة فالصادق اذا في جميع هذه المقامات
عزيز ثم درجات الصدق لا نهاية لها وقد يكون للعبد صدق في بعض الامور دون بعض فان كان
صادقا في الجميع فهو الصديق حقا قال سعد بن معاذ رضي الله عنه ثلث انا فيهن قوي وما سواهن
ضعيف ما صليت صلوة منذ اسلمت فحدثت نفسي حتى افرغ منها ولا تبعت جنازة فحدثت نفسي
بغير ما هي قائلة وما هو مقول لها حتى يفرغ من دفنها وما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قولا الا علمت
انه حق فقال ابن المسيب ما ظننت ان هذه الخصال تجتمع الا في النبي صلى الله عليه وسلم فهذا صدق
في هذه الامور وكم من اجلة الصحابة قد ادوا الصلوة واتبعوا الجنائز ولم يبلغوا هذا المبلغ فهذا هي درجات

الصدق ومعانيه والكلمات المأثورة عن المشايخ في حقيقة الصدق في الاغلب لاستعرض الآحاد
هذه المعاني نعم قد قال ابو بكر الوراق الصدق ثلثه صدق التوحيد وصدق الطاعة وصدق
المعرفة فصدق التوحيد لعامة المومنين قال الله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله اوليكهم الصديقون
وصدق الطاعة لاهل العلم والورع وهذه المعرفة لاهل الولاية الذين هم اوتاد الارض
وكل هذا يدور على ما ذكرناه في الصدق السادس وذلك ذكر اقسام ما فيه الصدق وهو ايضا
غير محيط بجميع الاقسام وقال جعفر الصادق الصدق هو المجاهدة وان لا تختار على الله غير الله
كما لم يختر عليك غيرك فقال تع هو اجتباكم وقيل قد اوحى الله تع الى موسى عليه السلم انى
إذا احببت عبدا ابتليته ببلايا تقوم لها الجبال لانظر كيف صدقه فان وجدته صابرا
اتخذته وليا حبيبا وان وجدته جزوعا يشكوني الى خلقي خذلته ولم ابال فاذن من علامات

الصدق كتمان المصايب والطاعات جميعا
وكراهة اطلاع الخلق عليها والله اعلم
تم كتاب النيه والصدق والاخلاص بحمد الله
وحسن توفيقه والصلوة على
النبي محمد وآله اجمعين

م

كتاب المحاسبة والمراقبة

وهو الكتاب الثامن من ربع المنجيات

بسم الله الرحمن الرحيم رب أعن

الحمد لله القايم علي كل نفس بما كسبت الرقيب علي كل جارحة بما اجترحت المطلع علي ضماير القلوب
اذا هجست الحسيب عباده علي الخواطر اذا اختلجت الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في
السموات والارض تحركت او سكنت المحاسب علي النقير والقطمير والقليل والكثير من الاعمال ان
خفيت المتفضل بقبول طاعات العباد وان صغرت المتطول بالعفو عن معاصيهم وان كثرت
وانما يحاسبهم لتعلم كل نفس ما احضرت وتنظر في ما قدمت واخرت فتعلم انه لولا لزومها
المراقبة والمحاسبة في الدنيا لشقيت في صعيد القيمة وهلكت وبعد المجاهدة والمحاسبة
والمراقبة لولا فضل الله بقبول بضاعته المزجاة لخابت وخسرت فسبحان من عمت نعمه كافة
العباد وشملت واستغرقت رحمته الخلايق في الدنيا والآخرة وغمرت فبنفحات فضله اتسعت
القلوب للايمان وانشرحت وبيمن توفيقه تقيدت الجوارح بالعبادات وتادبت وبحسن
هدايته انجلت عن القلوب ظلمات الجهل وانقشعت وبتاييده ونصرته انقطعت مكايد
الشيطان واندفعت وبلطف عنايته يترجح كفة الحسنات اذا ثقلت وبتيسيره تيسرت
من الطاعات ما تيسرت فمنه العطا والجزا والابعاد والادنا والاسعاد والاشقا والصلوة
علي محمد سيد الانبيا وعلي آله السادة الاصفيا وعلي اصحابه قادة الاتقيا وسلم كثيرا

اما بعد فقد قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا
وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين وقال الله تع ووضع الكتاب
فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة
الا احصيها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا وقال الله تع يوم يبعثهم الله جميعا
فينبيهم بما عملوا احصاه الله ونسوه والله علي كل شي شهيد وقال الله تع يومئذ يصدر الناس
اشتاتا ليروا اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال تع
ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون وقال اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم
وقال الله تع يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه
امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه وقال الله تع واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه فعرف

ارباب البصاير من جملة العباد ان الله لهم بالمرصاد وانهم سيناقشون في الحساب ويطالبون بمثاقيل
الذر من الخطرات واللحظات وتحققوا انه لا ينجيهم من هذه الاخطار الا لزوم المحاسبة وصدق
المراقبة ومطالبة النفس في الانفاس والحركات ومحاسبتها في الخطرات واللحظات فمن حاسب
نفسه قبل ان يحاسب نفسه خف في القيمة حسابه وحضر عند السوال جوابه وحسن منقلبه ومآبه
ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت في عرصات القيمة وقفاته وقادته الي الخزي
والمقت سيآته فلما انكشف لهم ذلك علموا انه لا ينجيهم منه الا طاعة الله وقد امرهم بالصبر والمرابطة
فقال يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا فرابطوا انفسهم اولا بالمشارطة ثم بالمراقبة ثم
بالمحاسبة ثم بالمعاقبة ثم بالمجاهدة ثم بالمعاتبة فكانت لهم في المرابطة ست مقامات ولابد
من شرحها وبيان حقيقتها وفضيلتها وتفصيل الاعمال فيها واصلها المحاسبة ولكن كل حساب
فيه مشارطة ومراقبة ويتبعه عند الخسران معاتبة ومعاقبة فلنذكر شرح هذه المقامات

المقام الاول من المرابطة المشارطة اعلم ان مطلب المتعاملين في التجارات المشتركين
في البضايع عند المحاسبة سلامة الربح وكما ان التاجر يستعين بشريكه فيسلم اليه المال حتى يتجر
ثم يحاسبه فكذلك العقل هو التاجر في طريق الآخرة وانما مطلبه وربحه تزكية النفس اذ بذلك فلاحها
قال الله تعالى قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها وانما فلاحها بالاعمال الصالحة فالعقل يستعين
بالنفس في هذه التجارة اذ يستعملها ويستسخرها فيما يزكيها كما يستعين التاجر بشريكه وغلامه
الذي يتجر في ماله وكما ان الشريك يصير خصما منازعا يجاذبه في الربح فيحتاج الي ان يشارطه اولا
ويراقبه ثانيا ويحاسبه ثالثا ويعاتبه او يعاقبه رابعا فكذلك العقل يحتاج الي مشارطة النفس
اولا فيوظف عليها الوظايف ويشترط عليها الشروط ويرشدها الي طريق الفلاح ويجزم عليها الامر
بسلوك تلك الطرق ثم لا يغفل عن مراقبتها لحظة فانه لو اهملها لم ير منها الا الخيانة وتضييع راس
المال كالعبد الخاين اذا خلا له الجو وانفرد بالمال ثم بعد الفراغ ينبغي ان يحاسبها ويطالبها بالوفاء
بما شرط فان هذه تجارة ربحها الفردوس الاعلى وبلوغ سدرة المنتهى مع الانبياء والشهداء
فتدقيق الحساب في هذا مع النفس اهم كثيرا من تدقيقه في ارباح الدنيا مع انها محتقرة
بالاضافة الي نعيم العقبى ثم كيف ما كانت فمصيرها الي التصرم والانقضاء ولا خير في خير لا يدوم
بل شر لا يدوم لان الشر الذي لا يدوم اذا انقطع بقي الفرح بانقطاعه دايما وقد انقضى الشر والخير
الذي لا يدوم يبقى الاسف على انقطاعه دايما وقد انقضى الخير ولذلك قيل أشد الغم عندي في سرور

يقن عنه صاحبه اثنا لا نحتم على كل ذي حزم آمن بالله واليوم الآخر ان لا يغفل عن محاسبة
نفسه والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها وخطراتها وخطواتها فان كل نفس من
انفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها يمكن ان يشتري بها كنز من الكنوز لا يتناهى نعيمها
ابد الآباد فانقضاؤها ضايعة او مصروفة الى ما يجلب الهلاك خسران عظيم هايل لا تسمح
به نفس عاقل فاذا اصبح العبد وفرغ من فريضة الصبح ينبغي ان يفرغ قلبه ساعة لمشارطة
النفس كما ان التاجر عند تسليم البضاعة الى الشريك العامل يفرغ المجلس لمشارطته فيقول
للنفس مالي بضاعة الا العمر ومهما فني نفد في راس المال ووقع الياس عن التجارة
وطلب الربح وهذا اليوم الجديد قد امهلني الله تع فيه وانسا في اجلي وانعم علي به ولو
توفاني لكنت اتمنى ان يرجعني الى الدنيا يوما واحدا حتى اعمل فيه صالحا واحسبي انك توفيت
ثم رددت فاياك ثم اياك ان تضيعي هذا اليوم فان كل نفس من الانفاس هو جوهرة لا قيمة
لها واعلمي ان اليوم والليلة اربع وعشرون ساعة وقد ورد في الخبر انه ينشر للعبد بكل يوم
وليلة اربع وعشرون ساعة وقد ورد في الخبر انه ينشر للعبد بكل يوم وليلة اربع وعشرون
خزانة مصفوفة فيفتح له منها خزانة فيراها مملوة نورا من حسناته التي عملها في تلك الساعة
فيناله من الفرح والسرور والاستبشار بمشاهدة تلك الانوار التي هي وسيلته عند الملك
الجبار ما لو وزع على اهل النار لادهشهم ذلك الفرح عن الاحساس بالم النار ويفتح له خزانة
اخرى سوداء مظلمة يفوح بها نتنها ويغشاه ظلامها وهي الساعة التي عصى الله فيها
فيناله من الهول والفزع ما لو قسم على اهل الجنة لتنغص عليهم نعيمها ويفتح له خزانة اخرى
فارغة ليس فيها ما يغيره ولا ما يسوءه وهي الساعة التي نام فيها او غفل او اشتغل بشيء
من مباحات الدنيا فيتحسر على خلوها ويناله من غبن ذلك ما يناله القادر على الربح الكثير والملك
الكبير اذا اهمله وتساهل فيه حتى فاته وناهيك به حسرة وغبنا وهكذا يعرض عليه خزاين
اوقاته طول عمره فيقول لنفسه اجتهدي اليوم في ان تعمري خزاينك ولا تدعيها فارغة
عن كنوزك التي هي اسباب ملكك ولا تميلي الى الكسل والدعة والاستراحة فيفوتك من درجات
عليين ما يدركه غيرك ويبقى عندك حسراتها لا تفارقك وان دخلت الجنة فالم الغبن والحسرة
لا يطاق وان كان دون الم النار وقد قال بعضهم هب ان المسيء قد عفي عنه اليس قد فاته
ثواب المحسنين اشار به الى الغبن والحسرة وقد قال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك

يوم التغابن فهذه وصيته لنفسه في اوقاته ثم استانف له وصية في اعضايه السبعة العين
والاذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل وسلمها اليه فانها رعايا خادمة له في التجارة
وبها يتم اعمال هذه التجارة وان لجهنم سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم وانما يتعين تلك
الابواب لمن عصى الله بهذه الاعضاء فيوصيها بحفظها عن معاصيها اما العين فيحفظها عن
النظر الى عورة مسلم او وجه من ليس بمحرم او النظر الى مسلم بعين الاحتقار بل عن كل فضول
عنه فان الله يسال عبده عن فضول النظر كما يساله عن فضول الكلام ثم اذا صرفها عن هذا
لم تقتنع به حتى يشغلها بما فيها تجارتها وربحها وهي التي خلقت له من النظر الى عجايب صنع
الله بعين الاعتبار والنظر الى اعمال الخير للاقتداء والنظر في كتاب الله وسنة رسوله و
مطالعة كتب الحكمة للاتعاظ والاستفادة وهكذا ينبغي ان يفصل عليه الامر في عضو
عضو لا سيما اللسان والنطق اما اللسان فلانه منطلق بالطبع ولا مونة عليها في الحركة
وجنايتها عظيمة بالغيبة والكذب والنميمة وتزكية النفس ومذمة الخلق والاطعمة واللعن
والدعاء على الاعداء والمماراة في الكلام وغير ذلك مما ذكرناه في آفات اللسان فهي بصدد
ذلك كله مع انها خلقت للذكر والتذكير وتكرار العلم والتعليم وارشاد عباد الله الى طريق الله
واصلاح ذات البين وساير خيراتها فليشترط على نفسه ان لا يحرك اللسان طول نهاره الا
في الذكر فنطق المومن ذكر ونظره عبرة وصمته فكرة وما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد واما
البطن فيكلفه ترك الشره وتقليل الاكل من الحلال واجتناب الشبهات ويمنعها من
الشهوات ويقتصر على قدر الضرورة ويشترط عليها انها ان خالفت شيا من ذلك عاقبها بالمنع
عن شهواتها ليفوتها اكثر مما نالته بشهواتها وهكذا يشترط عليها في جميع الاعضاء واستقصاء
ذلك يطول ولا يخفى معاصي الاعضاء وطاعاتها ثم يستانف وصيتها في وظايف الطاعات
التي يتكرر عليه في اليوم والليل ثم في النوافل التي يقدر عليها ويقدر على الاستكثار منها
ويرتب عليها تفصيلها وكيفيتها وكيفية الاستعداد لها باسبابها وهذه شروط يفتقر اليها
كل يوم ولكن اذا تعود الانسان شرط ذلك على نفسه اياما وطاوعته نفسه في الوفاء بجميعها
استغنى عن المشارطة فيها وان اطاع في بعضها بقيت الحاجة الى تجديد المشارطة فيما بقي
ولكن لا يخلو كل يوم عن مهم جديد وواقعة حادثة لها حكم جديد ولله عليه فيه حق ويكثر هذا
على من يشتغل بشيء من اعمال الدنيا من ولاية او تجارة او تدريس اذ قلما يخلو يوم عن واقعة

جديدة يحتاج الي ان يستوفي حق الله فيها فعليه ان يشترط علي نفسه الاستقامة فيها والانقياد
للحق في مجاريها ويحذرها مغبة الاهمال ويعظها كما يوعظ العبد المتمرد الابق فان النفس بالطبع
متمردة عن الطاعات مستعصية عن العبودية ولكن الوعظ والتاديب يوثر فيها وذكر فان الذكرى
تنفع المؤمنين فهذا وما يجري مجراه هو اول مقام المرابطة مع النفس وهي محاسبة والمحاسبة تارة
تكون بعد العمل وتارة قبله للتحذير قال الله تع واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه وهذا
للمستقبل وكل نظر في كثرة ومقدار لمعرفة زيادة ونقصان فانه يسمى محاسبة فالنظر فيما بين يدي العبد
في نهاره ليعرف زيادته من نقصانه من المحاسبة وقد قال الله تبارك وتعالى اذا ضربتم في سبيل
الله فتبينوا وقد قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا وقال الله تعالى
ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ذكر ذلك تحذيرا وتنبيها للاحتراز منه في المستقبل
وروي عبادة بن الصامت انه عليه السلم قال لرجل ساله ان يوصيه ويعظه اذا اردت امرا فتدبر
عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان غيا فانته وقال بعض الحكماء اذا اردت ان يكون
العقل غالبا للهوى فلا تعمل بقضاء الشهوة حتى ينظر العاقبة فان مكث الندامة في القلب اكثر
من مكث خفة الشهوة وقال لقمان ان المؤمن ابصر العاقبة فامن الندامة وروي شداد بن اوس
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع
نفسه هواها وتمنى على الله دان نفسه اي حاسب ويوم الدين هو يوم الحساب وقوله انا لمدينون اي
لمحاسبون وقال عمر ابن الخطاب رضه حاسبوا قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وتهيؤا للعرض
الاكبر وكتب الى ابي موسى الاشعري حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة وقال لكعب كيف
تجد في كتاب الله قال ويل لديان الارض من ديان السماء فعلاه بالدرة وقال الا من حاسب نفسه فقال
كعب والله يا امير المؤمنين انها الي جنبها في التورية ما بينهما حرف الا من حاسب نفسه وهذا كله
اشارة الي المحاسبة للمستقبل اذ قال دان نفسه وعمل لما بعد الموت ومعناه وزن الامور
اولا وقدرها ونظر فيها وتدبرها ثم اقدم عليها ما ذكرناه فلا يبقى الا المراقبة لها عند الخوض في الاعمال
وملاحظتها بالعين الكالية فانها ان تركت طغت وفسدت ولنذكر فضيلة المراقبة ثم درجاتها
اما الفضيلة فقد سال جبريل النبي عن الاحسان فقال ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه
يراك وقد قال الله تبارك وتع افمن هو قايم على كل نفس بما كسبت وقال الله تع الم تعلم بان الله يرى
وقال الله تع ان الله كان عليكم رقيبا وقال الله تع والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم

قايمون وقال ابن المبارك لرجل راقب الله تعالى فسأله عن تفسيره فقال كن ابدا كانك ترى الله عز
وجل وقال عبد الواحد بن زيد اذا كان سيدي رقيبا علي فما ابالي بغيره وقال ابو عثمان المغربي افضل
ما يلزم الانسان نفسه في هذه الطريقة المحاسبة والمراقبة وسياسة عمله بالعلم وقال ابن عطا
افضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الاوقات وقال الجريري امرنا هذا مبني على اصلين ان
تلزم نفسك المراقبة لله عز وجل ويكون العلم على ظاهرك قايما وقال ابو عثمان قال لي ابو حفص
اذا جلست للناس فكن واعظا لنفسك وقلبك ولا يغرنك اجتماعهم عليك فانهم يراقبون ظاهرك
والله رقيب على باطنك وحكي انه كان لبعض مشايخ هذه الطبقة تلميذ شاب وكان يكرمه
فقال له بعض اصحابه كيف تكرم هذا وهو شاب ونحن شيوخ فدعا بعدة طيور وناول كل واحد
منهم طيرا وسكينا وقال ليذبح كل واحد منكم الطير في موضع لا يراه احد ودفع الى الشاب مثل ذلك
وقال اذبحه حيث لا يراك احد فرجع كل واحد بطيره مذبوحا ورجع الشاب والطير حي في يده فقال
ما لكم تذبح وقد ذبح اصحابك فقال لم اجد موضعا لا يراني فيه احد اذ الله مطلع علي في كل مكان فاستحسنوا
مراقبته وقالوا حق لك ان تكرم وحكي ان زليخا لما دخلت بيوسف قامت فغطت وجه صنمها
فقال يوسف ما لك استحيين من مراقبة جماد ولا استحيي من مراقبة الملك الجبار وحكي عن بعض
الاحداث انه راود جارية عن نفسها فقالت الا تستحيي فقال ممن استحيي وما يرانا الا الكواكب فقالت
واين مكوكبها وقال رجل للجنيد رضي الله عنه بم استعين على غض البصر قال بعلمك ان نظر الناظر اليك
اسبق من نظرك الى المنظور اليه وقال الجنيد رضي انما يتحقق بالمراقبة من يخاف فوت حظه من ربه
عز وجل وعن مالك ابن دينار قال جنات عدن من جنات الفردوس وفيها حور خلقن من ورد الجنة قيل له
ومن يسكنها قال يقول الله عز وجل انما يسكن جنات عدن الذين اذا هموا بالمعاصي ذكروا عظمتي فراقبوني
والذين انثنت اصلابهم من خشيتي وعزتي وجلالي اني لاهم بعذاب اهل الارض فاذا نظرت الى اهل
الجوع والعطش من مخافتي صرفت عنهم العذاب وسئل المحاسبي عن المراقبة فقال اولها علم القلب بقرب
الرب تع وقال المرتعش المراقبة مراعاة السر لملاحظة الغيب مع كل لحظة ولفظة ويروى ان الله تعالى
قال للملائكة انتم موكلون بالظواهر وانا رقيب على البواطن وقال محمد بن علي الترمذي اجعل مراقبتك
لمن لا تغيب عن نظره اليك واجعل شكرك لمن لا ينقطع نعمه عنك واجعل طاعتك لمن لا تستغني عنه
واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه وقال سهل لم يتزين القلب بشي افضل ولا اشرف
من علم العبد بان الله تع شاهده حيث كان وسئل بعضهم عن قوله تع رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن

خشي ربه فقال معناه ذلك لمن راقب ربه عز وجل وحاسب نفسه فتزود لمعاده. وسئل ذو النون بم
ينال العبد الجنة فقال بخمس استقامة ليس فيها روغان واجتهاد ليس معه سهو ومراقبة الله تعالى في
السر والعلانية وانتظار الموت بالتأهب له ومحاسبة نفسك قبل ان تحاسب وقيل اذا ما خلوت الدهر
يوما فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا ان ما يخفى عليه يغيب
الم تر ان اليوم اسرع ذاهب وان غدا للناظرين قريب وقال حميد الطويل لسليمان بن علي عظني فقال
لئن كنت اذا عصيت الله خاليا ظننت انه يراك فقد اجترأت على امر عظيم ولئن كنت تظن انه لا يراك فقد
كفرت قال سفيان الثوري عليك بالمراقبة ممن لا يخفى عليه خافية وعليك بالرجاء ممن يملك الوفا وعليك بالحذر
ممن يملك العقوبة وقال فرقد السبخي ان المنافق ينظر فاذا لم ير احدا دخل مدخل السوء وانما يراقب الناس
ولا يراقب الله تع وقال عبد الله بن دينار خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى مكة فعرسنا في بعض الطريق
فانحدر عليه راعي من الجبل فقال له يا راعي بعني شاة من الغنم فقال اني مملوك فقال قل لسيدك اكلها
الذيب قال فاين الله تع قال فبكى عمر ثم غدا الى المملوك فاشتراه من مولاه واعتقه وقال اعتقتك في الدنيا
هذه الكلمة وارجوا ان يعتقك في الآخرة بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها اعلم ان حقيقة
المراقبة هي ملاحظة الرقيب وانصراف الهم اليه فمن احترز من امر من الامور بسبب غيره يقال انه
يراقب فلانا ويراعي جانبه ونعني بهذه المراقبة حالة للقلب يثمرها نوع من المعرفة ويثمر تلك الحالة
اعمالا في الجوارح وفي القلب اما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والتفاته اليه وملاحظته
اياه وانصرافه اليه واما المعرفة التي تثمر هذه الحالة فهو العلم بان الله مطلع على الضماير عالم بالسراير رقيب
على اعمال العباد قايم على كل نفس بما كسبت وان سر القلب في حقه مكشوف كما ان ظاهر الآية
البشرة للخلق مكشوف بل اشد من ذلك فهذه المعرفة اذا صارت يقينا اعني انها خلت عن الشك
ثم استولت بعد ذلك على القلب وقهرته فرب علم لا شك فيه لا يغلب على القلب كالعلم بالموت
فاذا استولت على القلب استجرت القلب الى مراعاة جانب الرقيب وصرفت همه اليه والموقنون
بهذه المعرفة هم المقربون وهم ينقسمون الى الصديقين والى اصحاب اليمين فمراقبتهم على درجتين
الدرجة الاولى مراقبة المقربين من الصديقين وهو مراقبة التعظيم والاجلال وهو ان يصير القلب مستغرقا
بملاحظة ذلك الجلال ومنكسرا تحت الهيبة فلا يبقى فيها متسع للالتفات الى الغير اصلا وهذه مراقبة
لا نطول النظر في تفصيل اعمالها فانها مقصورة على القلب اما الجوارح فانها تتعطل عن التلفت
الى المباحات فضلا عن المحظورات واذا تحركت بالطاعات كانت كالمستعمل بها فلا يحتاج الى تدبير

رتبت في حفظها على سنن السداد برايت ردا لرعية من ملك كلية الراعي والقلب هو الراعي فاذا
صار مستوفي بالمعبود صارت الجوارح مستعملة جارية على السداد والاستقامة من غير تكلف وهذا
هو الذي صار همه هما واحدا فكفاه الله ساير الهموم ومن نال هذه الدرجة فقد يغفل عن الخلق حتى لا
يبصر من يحضر عنده وهو فاتح عينيه ولا يسمع ما يقال له مع انه لا صمم به وقد يمر على ابيه مثلا فلا يكلمه حتى
كان بعضهم يجري عليه ذلك فقال لمن عاتبه اذا مررت بي فحركني ولا تستبعد هذا فانك تجد نظير هذا
في القلوب المعظمة لملوك الارض حتى ان خدم الملوك قد لا يحسون بما يجري عليهم في مجالس الملوك
لشدة استغراقهم بهم بل قد يشتغل القلب بمهم حقير من مهمات الدنيا فيغوص الرجل في الفكر فيه
ويمشي وربما يتخطى الموضع الذي قصده وينسى الشغل الذي نهض له وقد قيل لعبد الواحد بن زيد
هل تعرف في زمانك هنا رجلا قد اشتغل بحاله عن الخلق قال ما اعرفه الا رجلا سيدخل عليكم الساعة
فما كان الا سريعا حتى دخل عتبة الغلام فقال له عبد الواحد بن زيد من اين جئت يا عتبة قال جئت
من موضع كذا وكان طريقه على السوق فقال من لقيت في الطريق فقال ما رايت احدا وروي عن يحيى
بن زكريا انه مر بامراة فدفعها على وجهها فقيل له لم فعلت هذا قال ما ظننتها الا جدارا وحكى
بعضهم انه قال مررت بجماعة يترامون وواحد جالس بعيدا منهم فتقدمت اليه فاردت ان اكلمه فقال
ذكر الله تعالى اشهى فقلت انت وحدك فقال معي ربي وملكاي فقلت من سبق من هؤلاء فقال من غفر الله
تعالى له فقلت اين الطريق فاشار نحو السماء وقام ومشى وقال اكثر خلقك شاغل عنك فهذا كلام مستغرق
بمشاهدة الله تعالى لا يتكلم الا منه ولا يسمع الا فيه فهذا لا يحتاج الى مراقبة لسانه وجوارحه فانها لا تتحرك
الا بما هو فيها ودخل الشبلي على ابي الحسين النوري وهو معتكف فوجده ساكنا حسن الاجتماع لا يتحرك
من ظاهره شيا فقال له من اين اخذت المراقبة والسكون فقال من سنور كانت لنا اذا ارادت الصيد
رابطت راس الجحر لا تتحرك لها شعرة وقال ابو عبد الله بن خفيف خرجت من مصر اريد الرملة للقاء ابي
علي الروذباري فقال لي عيسى بن يونس المصري المعروف بالزاهد ان في صور شابا وكهلا قد اجتمعا
على المراقبة ولو نظرت اليهما نظرة لعلك تستفيد منهما فدخلت صور وانا جائع وعطشان وفي وسطي
خرقة وليس على كتفي شيء فدخلت المسجد فاذا بشخصين قاعدين مستقبلي القبلة فسلمت عليهما
فما اجاباني فسلمت ثانية وثالثة فلم اسمع الجواب فقلت نشدتكما بالله الا رددتما علي السلام فرفع
الشاب راسه من مرقعته فنظر الي وقال يا ابن خفيف الدنيا قليل وما بقي من القليل الا القليل
فخذ من القليل الكثير يا ابن خفيف ما اقل شغلك حتى تفرغ الى لقائنا فاخذ كليتي فنظر الي وطاطا

راسه في المكان فبقيت عندهما حتي صلينا الظهر والعصر فذهب جوعي وعطشي وعنائي فلما كان

العصر قلت عظني فرفع راسه الي وقال يا ابن الخفيف نحن اصحاب المصايب ليس لنا لسان العظة فبقيت

عندهما ثلثه ايام لا اكل ولا اشرب ولا انام ولا رايتهما اكلا ولا شربا ولا ناما فلما كان في اليوم

الثالث قلت في سري احلفهما ان يعظاني لعلي انتفع بعظتهما فرفع الشاب راسه وقال لي يا ابن

خفيف عليك بصحبة من يذكرك الله رؤيته ويقع هيبته علي قلبك يعظك بلسان فعله ولا يعظك

بلسان قوله والسلام فهذه درجة المراقبين الذين غلب علي قلبهم الاجلال والتعظيم فلم يبق

فيهم متسع لغير ذلك الدرجة الثانيه مراقبة الورعين من اصحاب اليمين وهم قوم غلب يقين اطلاع

الله علي ظاهرهم وباطنهم علي قلوبهم ولم يدهشهم ملاحظة الجلال بل بقيت قلوبهم علي حد الاعتدال

متسعة للتلفت الي الاحوال والاعمال الا انها مع ممارسة الاعمال لا تخلوا عن المراقبه نعم غلب عليهم

الحيا من الله تع فلا يقدمون ولا يحجمون الا بعد التثبت فيه ويمتنعون عن كل ما يفتضحون به في القيمه

فانهم يرون الله في الدنيا مطلعا عليهم فلا يحتاجون الي انتظار القيمه ويعرف اختلاف الدرجتين

بالمشاهدات فانك في خلوتك قد تتعاطي اعمالا فيحضرك صبي او امراة فتعلم انه مطلع عليك فتستحي

منه فتحسن جلوسك وتراعي احوالك لا عن اجلال وتعظيم بل عن حيا فان مشاهدته وان كان

لا يدهشك ولا يستغرقك فانه يهيج الحيا منك وقد يدخل عليك ملك من الملوك او كبير من الاكابر

فيستغرقك التعظيم حتى تترك كل ما انت فيه شغلا به لا حيا منه فهكذا يختلف مراتب العباد في

مراقبة الله تع ومن كان في هذه الدرجة فيحتاج الي ان يراقب جميع حركاته وسكناته وخطراته

ولحظاته وبالجملة جميع اختياراته وله فيها نظران نظر قبل العمل ونظر في العمل اما قبل العمل

فلينظر ان ما ظهر له وتحرك لفعله خاطره اهو لله تع خاصة او هو في هوي النفس ومتابعة الشيطان

فيتوقف فيه ويتثبت حتى ينكشف له ذلك بنور الحق فان كان لله امضاه وان كان لغير الله استحيي

من الله وانكف ثم لام نفسه علي رغبته فيها وهمه بها وميله اليها وعرفها سوء فعلها وسعيها في

فضيحتها وانها عدوة نفسها ان لم يتداركها الله بعصمته وهذا التوقف في بداية الامور الي حد

البيان واجب محتوم لا محيص لاحد عنه فان في الخبر انه ينشر للعبد في كل حركة من حركاته

وان صغرت ثلثه دواوين الديوان الاول لم والثاني كيف والثالث لمن ومعنى لم اي لم فعلت

هذا اكان عليك ان تفعله لمولاك او ملت اليه بشهوتك وهواك فان سلم عنه بان كان عليه

ان يعمل ذلك لمولاه سيل عن الديوان الثاني فقيل كيف فعلت فان لله في كل عمل شرطا وحكما

لا يدرك قدره ووقته وصفته الا بعلم فيقال له كيف فعلت ابعلم محقق ام بجهل وظن فان
سلم من هذا نشر الديوان الثالث وهو المطالبة بالاخلاص فيقال لمن عملت لوجه الله خالصا
ووفاء بقولك لا اله الا الله فيكون اجرك على الله او لمراياة خلق مثلك فخذ اجرك منه ام عملته
لتنال عاجل دنياك فقد وفيناك نصيبك من الدنيا ام عملت بسهو وغفلة فقد سقط اجرك
وحبط عملك وخاب سعيك وان عملت لغيري فقد استوجبت مقتي وعقابي اذ كنت عبدا لي تاكل
رزقي وترفه بنعيمي ثم تعمل لغيري اما سمعتني اقول ان الذين يدعون من دون الله عباد امثالكم
ان الذين يعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه ويحك اما
سمعتني اقول الا لله الدين الخالص فاذا عرف العبد انه بصدد هذه المطالبات والتوبيخات
طالب نفسه قبل ان يطالب واعد للسؤال جوابا وللجواب صوابا فلا يبدي ولا يعيد الا بعد التثبت
ولا يحرك جفنا ولا انملة الا بعد التامل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ ان الرجل ليسال عن
كحل عينيه وعن فتة الطين باصبعيه وعن لمسه ثوب اخيه قال الحسن كان احدهم اذا اراد ان
يتصدق بصدقة نظر وتثبت فان كان لله امضاه وقال الحسن رحم الله عبدا وقف عند همه فان
كان له مضى وان كان عليه تاخر وقال في حديث سعد حين اوصاه سلمان اتق الله عند همك
اذا هممت وقال محمد بن علي ان المؤمن وقاف متاني يقف عند همه ليس كحاطب ليل فهذا
هو النظر الاول في هذه المراقبة ولا يخلص من هذا الا العلم المتين والمعرفة الحقيقية باسرار
الاعمال واغوار النفس ومكايد الشيطان فمن لم يعرف نفسه وربه وعدوه الشيطان ولم يعرف
ما يوافق هواه ولم يميز بينه وبين ما يحب الله ويرضاه في نيته وهمته وفكرته وسكونه وحركته
فلا يسلم في هذه المراقبة بل الاكثرون يرتكبون بالجهل فيما يكرهه الله وهم يحسبون انهم
يحسنون صنعا ولا تظن ان الجاهل بما يقدر على التعلم فيه يعذر هيهات بل طلب العلم
فريضة على كل مسلم ولهذا كانت ركعتان من عالم افضل من الف ركعة من غير عالم لانه يعلم افات
النفوس ومكايد الشيطان ومواضع الغرور فيتقيه والجاهل لا يعرفه فكيف يحترز منه فلا يزال
الجاهل في تعب والشيطان منه في فرح وشماتة فنعوذ بالله من الجهل والغفلة فهو راس كل
شقاوة واساس كل خسران فحكم الله على كل عبد ان يراقب نفسه عند همه بالفعل وسعيه بالجارحة
فيتوقف عن الهم وعن السعي حتى ينكشف له بنور العلم انه لله فيمضيه او هو هوى النفس فيتقيه
وينزجر القلب عن الفكر فيه وعن الهم به فان الخطرة الاولى في الباطل اذا لم تدفع اورثت الرغبة

والرغبة تورث الهم والهم يورث حزم القصد والقصد يورث الفعل والفعل يورث البوار
والمقت فينبغي ان يحسم مادة الشر من منبعه الاول وهو الخاطر فان جميع ما وراءه يتبعه ومهما
اشكل على العبد ذلك واظلمت الواقعة فلم ينكشف له فيتفكر فيه بنور العلم ويستعيذ بالله من
مكر الشيطان بواسطة الهوى فان عجز عن الاجتهاد والفكر بنفسه فليستضئ بنور علماء الدين
وليفر من العلماء المقبلين على الدنيا فراره من الشيطان بل اشد فقد اوحى الله تع الى داود عليه السلم
لا تسال عني عالما اسكره حب الدنيا فيقطعك عن محبتي اولئك قطاع الطريق على عبادي فالقلوب
المظلمة بحب الدنيا وشدة الشره والتكالب عليها محجوبة عن نور الله تع فان مستقى انوار القلوب
حضرة الربوبية فكيف يستضئ بها من استدبرها واقبل على عدوها وعشق ضدها وهي شهوات
الدنيا فليكن همة المريد ولا في احكام العلم او في طلب عالم معرض عن الدنيا او ضعيف الرغبة
فيها ان لم يجد من هو عديم الرغبة فيها وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تع يحب البصر النافذ
عند ورود الشبهات والعقل الكامل عند مجيء الشهوات جمع بين الامرين ومما متلازمان حقا
فمن ليس له عقل وازع عن الشهوات فليس له بصر نافذ في الشبهات ولذلك قال النبي صلى الله عليه
وسلم من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه ابدا فما قدر العقل الضعيف الذي سعد الادمي به
حتى يحتاج الى محوه ومحقه بمقارفة الذنوب ومعرفة آفات الاعمال قد اندرست في هذه الاعصار
فان الناس كلهم هجروا هذه العلوم واشتغلوا بتوسط الخلق في الخصومات الثايرة من اتباع
الشهوات وقالوا هو الفقه واخرجوا هذا العلم الذي هو فقه الدين عن جملة العلوم وتجردوا
لفقه الدنيا الذي ما قصد به الا دفع الشواغل عن القلوب ليتفرغ لفقه الدين فكان فقه الدنيا
من الدين بواسطة هذا الفقه وفي الخبر انتم اليوم في زمان خيركم فيه المسارع وسياتي عليكم
زمان خيركم فيه المتثبت ولهذا توقف طايفة من الصحابة في القتال مع اهل العراق واهل الشام
لما اشكل عليهم كسعد وابن عمر واسامة ومحمد بن مسلمة وغيرهم فمن لم يتوقف عند الاشتباه كان
متبعا لهواه معجبا برايه وكان ممن وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال فاذا رايت شحا مطاعا
وهوى متبعا واعجاب كل ذي راي برايه فعليك بخاصة نفسك وكان من خاض في شبهة
بغير تحقيق فقد خالف قول الله تع ولا تقف ما ليس لك به علم وقول النبي صلى الله عليه وسلم اياكم والظن
فان الظن اكذب الحديث واراد به ظنا بغير دليل كما يستفتي بعض العوام قلبه فيما اشكل عليه
ويتبع ظنه ولصعوبة هذا الامر وعظمه كان دعاء الصديق رضي الله عنه اللهم ارني الحق حقا وارزقني

اتباعه وارني الباطل باطلا وارزقني اجتنابه ولا تجعله علي متشابها فاتبع الهوى وقال عيسى عليه السلم
الامور ثلثه امر استبان رشده فاتبعه وامر استبان غيه فاجتنبه وامر اشكل عليك فكله الي
عالمه وقد كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ بك من ان اقول في العلم بغير علم فاعظم
نعمة لله تع على عباده هو العلم وكشف الحق والايمان عبارة عن نوع كشف وعلم ولذلك قال الله تع
امتنانا على عبده وكان فضل الله عليك عظيما واراد به العلم وقال الله تع فاسالوا اهل الذكر ان كنتم
لا تعلمون وقال الله تع ان علينا للهدى وقال الله تعالى ان علينا بيانه وعلى الله قصد السبيل وقال علي رضي
الهوى شريك العمى ومن التوفيق التوقف عند الحيرة ونعم طارد الهم اليقين وعاقبة الكذب الذم
وفي الصدق السلامة ورب بعيد اقرب من قريب وغريب من لم يكن له حبيب والصديق من صدق
غيبه ولا يعدمك من حبيب سوء ظن نعم الخلق التكرم والحياء سبب الى كل جميل واوثق العرى
التقوى واوثق سبب اخذت به سبب بينك وبين الله تع انما لك من دنياك ما اصلحت به مثواك والرزق
رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك فان لم تاته اتاك وان كنت جازعا على ما اضعت من يدك فلا تجزع
على ما لم يصل اليك واستدل على ما لم يكن بما كان فانما الامور اشباه وانما المرء ليسره درك ما لم يكن ليفوته
ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فما نالك من دنياك فلا تكثرن به فرحا وما فاتك منها فلا تتبعه نفسك
اسفا وليكن سرورك بما قدمت واسفك على ما خلفته وشغلك لآخرتك وهمك فيما بعد الموت وغرضنا
من نقل هذا كله قوله ومن التوفيق التوقف عند الحيرة فاذن النظر الاول للمراقب نظره في الهم والحركة
اهي لله ام للهوى وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ثلث من كن فيه استكمل ايمانه لا يخاف في الله لومة لايم ولا
يرائي بشيء من عمله واذا عرض له عملان احدهما للدنيا والآخر للآخرة آثر الآخرة على الدنيا واطرح ما ينكشف
له في حركاته ان يكون مباحا ولكن لا يعنيه فيتركه لقوله عليه السلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه
النظر الثاني للمراقبة عند الشروع في العمل وذلك بتفقد كيفية العمل ليقضي حق الله فيه ويحسن
النيه في اتمامه ويكمل صورته ويتعاطاه على اكمل ما يمكنه وهذا ملازم له في جميع احواله فانه لا يخلو في
جميع احواله عن حركة وسكون فاذا راقب الله في جميع ذلك قدر على عبادة الله تعالى فيها بالنيه وحسن
الفعل ومراعاة الادب فان كان قاعدا مثلا فينبغي ان يقعد مستقبل القبلة لقول النبي صلى الله عليه
وسلم خير المجالس ما استقبل به القبله ولا يجلس متربعا اذ لا يجالس الملوك كذلك وملك الملوك مطلع
عليه قال ابرهيم بن ادهم جلست مرة متربعا فسمعت هاتفا يقول اهكذا تجالس الملوك فلم اجلس بعد
ذلك كذلك وان كان ينام فينام على اليد اليمنى مستقبل القبله مع ساير الآداب التي ذكرناها في مواضعه

فكل ذلك داخل في المراقبة بل لو كان في قضاء الحاجة فمراعاته لادابها وفاء بالمراقبة فاذن لا يخلو
العبد اما ان يكون في طاعة او معصية او مباح فمراقبته في الطاعة بالاخلاص والاكمال ومراعاة
الادب وحراسته عن الآفات وان كان في معصية فمراقبته في الطاعة بالاخلاص والاكمال
ومراعاة الادب وحراسته عن الآفات وان كان في معصية فمراقبته بالتوبة والندم والاقلاع
والحياء والاشتغال بالتكفير وان كان في مباح فمراقبته مراعاة الادب ثم بشهود المنعم
في النعمة وبالشكر عليه ولا يخلو العبد في جملة احواله من بلية لابد له من الصبر عليها ونعمة
لابد له من الشكر عليها وكل ذلك من المراقبة بل لا ينفك العبد في كل حال من فرض لله عليه
اما فعل يلزمه مباشرته او محظور يلزمه تركه او ندب حث عليه ليسارع به الى مغفرة الله ويسابق
به عباد الله او مباح فيه صلاح جسمه وقلبه وفيه عون له على طاعته ولكل واحد من ذلك
حدود لابد من مراعاتها بدوام المراقبة ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه فينبغي ان
يتفقد العبد نفسه في جميع اوقاته في هذه الاقسام الثلثة فاذا كان فارغا من الفرايض
وقدر على الفضائل فينبغي ان يلتمس افضل الاعمال ليشتغل بها فانه ربح وهو قادر على
دركه فهو مغبون والارباح تنال بمزايا الفضائل فبذلك ياخذ العبد من دنياه لآخرته كما قال
الله تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا وكل ذلك انما يمكن بصبر ساعة واحدة فان الساعات
ثلث ساعة مضت لا تعب على العبد فيها كيف ما انقضت في مشقة او في رفاهية وساعة
مستقبلة لم تاته بعد لا يدرى العبد ايعيش اليها ام لا ولا يدري ما يقضي الله فيها وساعة
راهنة ينبغي ان يجاهد فيها نفسه ويراقب فيها ربه فان لم ياته الساعة الثانية لم يتحسر على فوات
هذه الساعة وان اتته الساعة الثانية استوفى حقه منها كما استوفى من الاولى ولا يطول امله
خمسين سنة فيطول عليه العزم على المراقبة فيها بل يكون ابن وقته كانه في آخر انفاسه
فلعله آخر انفاسه وهو لا يدري واذا امكن ان يكون آخر انفاسه فينبغي ان يكون على وجه
لا يكره ان يدركه الموت وهو على تلك الحالة ويكون جميع احواله مقصورة على ما رواه ابو ذر رضي الله عنه لا يكون
المؤمن ظاعنا الا في ثلث تزود لمعاد او مرمة لمعاش او لذة في غير حرام وبمعناه على العاقل ان
يكون له اربع ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر في صنع
الله تعالى وساعة يخلو فيها للمطعم والمشرب فان هذه الساعة عون له على الساعات ثم هذه الساعة
التي هو فيها مشغول الجوارح بالمطعم والمشرب لا ينبغي ان يخلو عن عمل هو افضل الاعمال وهو الذكر

والفكر فان الطعام الذي يتناوله شلا فيه من العجايب ما لو تفكر فيه وفطن له كان ذلك افضل
من كثير من اعمال الجوارح والناس فيه اقسام قسم ينظرون اليه بعين التبصرة والاعتبار فينظرون
في عجايب صنعتها وكيفية ارتباط قوام الحيوانات بها وكيفية تقدير الله لاسبابها وخلق الشهوة
الباعثة اليها وخلق الالات المسخرة للشهوة فيها كما فصلنا بعضه في كتاب الشكر وهذا مقام
ذوي الالباب وقسم ينظرون فيه بعين المقت والكراهة ويلاحظون وجه الاضطرار اليها
ويودهم لو استغنوا عنها ولكن يرون انفسهم مقهورين فيها مسخرين لشهواتها وهذا مقام
الزاهدين وقوم يرون في صنعة الصانع ويترقون منها الي صفات الخالق فيكون مشاهدة
ذلك سببا لتذكرا بواب من الفكر تنفتح عليهم بسببه وهو اعلي المقامات وهو مقامات العارفين
وعلامات المحبين اذ المحب اذا رأي صنعة حبيبه وكتابه وتصنيفه نسي الصنعة واشتغل
قلبه بالصانع وكل ما يتردد العبد فيه صنع الله تع فله في النظر منها الي الصانع مجال رحب ان فتحت
له ابواب الملكوت وذلك عزيز جدا وقسم رابع ينظرون اليها بعين الرغبة والحرص فيتاسفون
علي ما فاتهم منها ويفرحون بما حضرهم من جملتها ويذمون منها ما لا يوافق هواهم ويعيبونها
ويذمون فاعلها فيذمون الطبخ والطباخ ولا يعلمون ان الفاعل للطبخ والطباخ ولقدرته
وعلمه هو الله تع وان من ذم شيا من خلق الله بغير اذن الله فقد ذم الله ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم
لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر فهذه هي المرابطة الثانية بمراقبة الاعمال علي الدوام والاتصال
وشرح ذلك يطول وفيما ذكرناه تنبيه علي المنهاج لمن احكم الاصول المرابطة الثالثة محاسبة
النفس بعد العمل فلنذكر فضيلة المحاسبة ثم حقيقتها اما الفضيلة فقد قال الله تع يا ايها الذين
آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد وهذه اشارة الي المحاسبة علي ما مضي من الاعمال
ولذلك قال عمر رضي الله عنه حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وفي الخبر ان النبي صلعم
جاءه رجل فقال يا رسول الله اوصني فقال امستوص انت قال نعم قال اذا هممت بامر فتدبر
عاقبته وان كان رشدا فامضه وان كان غيا فانته عنه وفي الخبر ينبغي ان يكون للعاقل
اربع ساعات ساعة يحاسب فيها نفسه وقال الله تع وتوبوا الى الله جميعا ايها المومنون والتوبة
نظر في الفعل بعد الفراغ منه بالندم عليه وقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر الله واتوب
اليه في اليوم مائة مرة وقال الله تبارك وتع ان الذين اتقوا اذا مسهم طايف من الشيطان
تذكروا فاذا هم مبصرون وعن عمر رضي الله عنه انه كان يضرب قدميه بالدرة اذا جنه الليل

ويقول لنفسه ماذا عملت اليوم وعن ميمون بن مهران انه قال لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب
نفسه اشد من محاسبة شريكه والشريكان يتحاسبان بعد العمل وروي عن عايشة رضي الله عنها
ان ابا بكر رضي الله عنه قال لها عند الموت ما احد من الناس احب الي من عمر ثم قال لها
كيف قلت فما احد من الناس احب الي من عمر فقال لا ما احد اعز علي من عمر فانظر كيف
نظر بعد الفراغ من الكلمة فيدبرها وابدلها بكلمة غيرها وحديث ابي طلحة حين شغله
الطير في صلوته فتدبر شغله فجعل حايطه صدقة لله ندما ورجاء للعوض مما فاته وفي حديث
ابن سلام انه حمل حزمة من حطب فقيل له يا ابا يوسف وقد كان في بيتك من غلمانك من
يكفيك قال اردت ان اجرب قلبي هل ينكره قال الحسن المومن قوام على نفسه يحاسبها لله
وانما خف الحساب على قوم حاسبوا انفسهم في الدنيا وانما شق الحساب يوم القيمة
على قوم اخذوا هذا الامر من غير محاسبة ثم فسر المحاسبة فقال ان المومن يفجاه الشي يعجبه
فيقول والله انك لتعجبني وانك لمن حاجتي ولكن هيهات حيل بيني وبينك وهذا حساب قبل
العمل ثم قال ويفرط منه الشي فيرجع الي نفسه فيقول ما اردت بهذا والله لا اعذر والله لا اعود
لهذا ابدا ان شاء الله وقال انس بن مالك سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوما وقد خرجت
معه حتى دخل حايطا سمعته يقول بيني وبينه جدار وهو في الحايط عمر بن الخطاب رضي
امير المومنين بخ بخ والله لتتقين الله او ليعذبنك وقال الحسن في قوله ولا اقسم بالنفس اللوامة
قال لا يلقى المومن الا يعاتب نفسه فاذا اردت بكلمتي ماذا اردت بشربتي ما اذا اردت
باكلتي والفاجر يمضي قدما لا يعاتب نفسه وقال مالك ابن دينار رحمه الله رحم الله عبدا قال
لنفسه الست صاحبة كذا ثم ذمها ثم خطمها ثم الزمها كتاب الله تع وكان له قايدا وهذا من مقت
النفس كما سياتي وقال ميمون بن مهران التقي اشد محاسبة لنفسه من سلطان غاشم ومن
شريك شحيح وقال ابرهيم التيمي مثلت نفسي في الجنة آكل من ثمارها واشرب من انهارها واعانق
ابكارها ثم مثلت نفسي في النار آكل من زقومها واشرب من صديدها واعالج سلاسلها
واغلالها فقلت لنفسي يا نفس اي شي تريدين فقالت اريد ان ارد الي الدنيا فاعمل صالحا قلت
فانت في الامنية فاعملي فقال مالك بن دينار سمعت الحجاج يخطب وهو يقول امرو حاسب نفسه
قبل ان يصير الحساب الى غيره امرو اخذ بعنان عمله فنظر ماذا يريد به امرو نظر في مكياله
امرو نظر في ميزانه فما زال يقول امرو امرو حتى ابكاني وحكي صاحب الاحنف بن قيس قال

كنت اصحبه وكان عامة صلوته بالليل الدعاء وكان يجي الي المصباح فيضع اصبعه فيه حتى يحس
بالنار ثم يقول يا احنيف ما حملك علي ما صنعت يوم كذا ما حملك على ما صنعت يوم كذا **بيان
حقيقة المحاسبة بعد العمل** اعلم ان العبد كما يكون له وقت اول النهار يشارط
فيها على نفسه على سبيل التوصية بالحق ينبغي ان يكون له في آخر النهار ساعة يطالب النفس
ويحاسبها على جميع حركاتها وسكناتها كذلك يفعل التجار في الدنيا مع الشركاء في آخر كل سنة
حرصا على الدنيا وخوفا من ان يفوتهم منها ما لو فاتهم لكانت الخيرة في فواته ولو حصلت لهم
لكان لا يبقى الا اياما قلايل وكيف لا يحاسب العاقل فيما يتعلق به خطر الشقاوة والسعادة
ابد الآباد ما هذه المساهلة الا عن الغفلة والخذلان وقلة التوفيق نعوذ بالله منه ومعنى المحاسبة
مع الشريك ان ينظر في رأس المال وفي الربح والخسران لتبين له الزيادة من النقصان فان كان
من فضل حاصل استوفاه وشكره وان كان من خسران طالبه بضمانه وكلفه تداركه في المستقبل
فكذلك رأس مال العبد الفرايض وربحه النوافل والفضايل وخسرانه المعاصي وموسم هذه التجارة
جملة النهار ومعامله نفسه الامارة بالسوء فليحاسبها على الفرايض فان اداها على وجهها شكر
الله عليه ورغبها في مثلها وان فوتها من اصلها طالبها بالقضاء وان اداها ناقصة كلفها
الجبران بالنوافل وان ارتكب معصية اشتغل بعقابها وتعذيبها ومعاتبتها ليستوفي منها
ما يتدارك به ما فرط كما يصنع التاجر لشريكه وكما انه يفتش في حساب الدنيا عن الحبة والقيراط
فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان حتى لا يغبن في شي منها ينبغي ان يتقي غبن النفس ومكرها
فانها خداعة ملبسة مكارة فليطالبها اولا بتصحيح الجواب عن جميع ما تكلم به طول نهاره وليتكفل
بنفسه من الحساب ما سيتولاه غيره في صعيد القيمة وهكذا عن نظره بل عن خواطره وافكاره
وقيامه وقعوده واكله وشربه ونومه وحتى عن سكوته انه لم سكت وعن سكونه لم سكن فاذا
عرف مجموع الواجب على النفس وصح عنده قدر ما ادي الحق فيه كان ذلك القدر محسوبا له فيظهر له
الباقي عليه فليثبته عليه وليكتبه على صحيفة قلبه كما يكتب الباقي الذي على شريكه على قلبه
وعلى جريدته ثم النفس غريم يمكن ان يستوفي منه الديون اما بعضها فبالغرامة والضمان وبعضها
برد عينها وبعضها بالعقوبة لها على ذلك ولا يمكن شي من ذلك الا بعد تحقيق الحساب وتميز
الباقي من الحق الواجب عليه فاذا حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالبة والاستيفاء وينبغي ان
يحاسب النفس على جميع العمر يوما يوما وساعة ساعة في جميع الاعضاء الظاهرة والباطنة كما

نقل عن توبة ابن الصمة وكان بالرقة وكان محاسبا لنفسه فحاسب يوما واذا هو ابن ستين سنة فحسب
ايامها فاذا هي احد وعشرون الف يوم وخمسمائة يوم فصرخ وقال يا ويلتا القى المليك باحد وعشرين
الف ذنب ثم خر مغشيا عليه فاذا هو ميت فسمعوا قايلا يقول يا لك ركضة الي الفردوس الاعلى فهكذا
ينبغي ان يحاسب على الانفاس وعن معصيته بالقلب والجوارح في كل ساعة ولو رمي العبد بكل
معصية حجرة في داره لامتلأت داره في مدة قريبة من عمره ولكنه تساهل في حفظه والملكان
يحفظان عليه احصاه الله ونسوه المرابطة الرابعة في معاقبة النفس على تقصيرها مهما حاسب نفسه
فلم يسلم عن مقارفة معصية وارتكاب تقصير في حق الله تعالى لا ينبغي ان يهملها فانه ان اهملها
سهل عليه مقارفة المعاصي وانست به وعسر فطامها وكان ذلك سبب هلاكها بل ينبغي ان يعاقبها
فاذا اكل لقمة شبهة بشهوة نفس ينبغي ان يعاقب البطن بالجوع واذا نظر الي غير محرم ينبغي ان
يعاقب العين بمنع النظر وكذلك يعاقب كل طرف من الاطراف بمنعها عن شهواتها هكذا كانت
عادة سالكي طريق الآخرة فقد روي عن منصور ابن ابرهيم ان رجلا من العباد كلم امراة فلم يزل
حتى وضع يده على فخذها فوضع يده في النار حتى نشت وروي انه كان في بني اسرائيل رجل يتعبد
في صومعته فمكث بذلك زمانا طويلا فاشرف ذات يوم فاذا هو بامراة فافتتن بها فاخرج
رجله لينزل اليها فادركه الله بسابقة فقال ما هذا الذي اريد ان اصنع فرجعت اليه نفسه وعصمه
الله فندم فلما اراد ان يعيد رجله الي الصومعة قال هيهات هيهات رجل خرجت تريد ان
تعصي الله تعود معي في صومعتي لا يكون ذلك والله ابدا فتركها معلقة من الصومعة يصيبها الامطار
والرياح والثلج والشمس حتى تقطعت فسقطت فشكر الله له بذلك وانزل في بعض الكتب ذكره
ويحكى ان غزوان وابا موسى كانا في بعض مغازيهم فتكشفت جارية فنظر اليها غزوان فرفع يده
فلطم عينيه حتى تورمت وقال انك للحاظة الي ما يضرك ويحكى عن الجنيد قال سمعت ابن الكريني اصابتني
ليلة جنابة احتجت ان اغتسل وكانت ليلة باردة فقد وجدت في نفسي تاخيرا وتقصيرا فحدثتني
نفسي بالتاخير حتى اصبح واسخن الماء او ادخل الحمام ولا اعين على نفسي فقلت واعجباه انا اعامل
الله في طول عمري فيجب له علي حق فلا اجد في المسارعة واجد الوقوف والتاخر آليت لا اغتسلت
الا في مرقعتي هذه وآليت ان لا انزعها ولا اعصرها ولا اجففها في الشمس ونظر بعضهم نظرة
واحدة الي امراة فجعل على نفسه ان لا يشرب الماء البارد طول حيوته فكان يشرب الماء الحار
لينغص على نفسه العيش ويحكي ان حسان ابن ابي سنان مر بغرفة فقال متى بنيت هذه ثم

اقبل علي نفسه فقال تسالين عما لا يعنيك لاعاقبنك بصوم سنة فصامها وقال مالك بن ضيغم جاء
رباح القيسي يسال عن ابي بعد العصر فقلنا انه نايم فقال نوم هذه الساعة هذا وقت نوم ثم ولي
منصرفا فاتبعناه رسولا وقلنا الا نوقظه لك فجاء الرسول وقال هو اشغل من يفهم شيا ادركته وهو
يدخل المقابر وهو يعاتب نفسه ويقول اقلت نوم هذه الساعة افكان هذا عليك ينام الرجل متى
شاء وما يدريك ان هذا ليس وقت نوم تتكلمين ما لا تعلمين اما ان لله عهدا لا انقضه ابدا لا
اوسدك الارض لنوم حولا الا لمرض حايل او لعقل زايل سوأة لك سوأة اما تستحيين كم توبخين وعن
غيك لا تنتهين قال وجعل يبكي وهو لا يشعر بمكاني فلما رايت ذلك انصرفت وتركته ويحكى ان تميم
الداري نام ليلة لم يقم لتهجد فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذي صنع وعن طلحة رضي الله عنه قال
انطلق رجل ذات يوم فنزع ثيابه وتمرغ في الرمضاء ويقول لنفسه ذوقي نار جهنم اشد حرا اجيفة
بالليل بطالة بالنهار قال فبينا هو كذلك اذ ابصر النبي عليه السلم في ظل شجرة فاتاه فقال
غلبتني نفسي فقال له النبي عليه السلم الم يكن لك بد من الذي صنعت اما لقد فتحت لك ابواب
السماء ولقد باهى الله بك الملايكة ثم قال لاصحابه تزودوا من اخيكم فجعل الرجل يقول له يا فلان ادع
لي يا فلان ادع لي يا فلان فقال عليه السلم عمهم فقال اللهم اجعل التقوى زادهم واجمع على الهدى
امرهم فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم سدده فقال الرجل اللهم اجعل الجنة مابهم وقال
حذيفة بن قتاده قيل لرجل كيف تصنع بنفسك في شهوتها فقال ما في الارض نفس ابغض
الي منها فكيف اعطيها شهوتها ودخل ابن السماك على داود الطايي حين مات وهو في بيته
على التراب فقال يا داود سجنت نفسك قبل ان تسجن وعذبت نفسك قبل ان تعذب فاليوم
ترى ثواب من كنت له تعمل وعن وهب بن منبه ان رجلا تعبد زمانا ثم بدت له الى الله حاجة
فقام سبعين سبتا ياكل في كل سبت احدى عشرة تمرة ثم سال حاجته فلم يعطها فرجع الى نفسه
وقال منك اتيت لو كان فيك خير لاعطيت فنزل اليه ملك وقال يا ابن آدم ساعتك هذه خير من عبادتك
التي مضت وقد قضى الله حاجتك وقال عبد الله بن قيس كنا في غزاة لنا فحضر عدوهم فصيح في الناس
فقاموا الى المصاف في يوم شديد الريح واذا رجل امامي وهو يخاطب نفسه ويقول اي نفس الم
اشهد مشهد كذا وكذا فقلت لي اهلك وعيالك فاطعتك فرجعت الم اشهد مشهد كذا وكذا
فقلت لي اهلك وعيالك فاطعتك فرجعت والله لاعرضنك اليوم على الله اخذك او تركك فقلت
لارمقنه اليوم فرمقته فحمل الناس على عدوهم فكان في اوايلهم ثم ان العدو حمل على الناس

فانكشفوا فكان في موضعه حتى انكشفوا مرات وهو ثابت يقاتل في الله ما ذا لذلك دابه حتى رايته صريعا
فعددت به وبدابته ستين او اكثر من ستين طعنة وقد ذكرنا حديث طلحة وانه شغل قلبه في الصلوة
طير في حايطه فتصدق بالحايط كفارة له وكان عمر يضرب قدميه بالليل ويقول ماذا عملت اليوم
وعن مجمع انه رفع راسه الي السطح فوقع بصره علي امراة فجعل علي نفسه ان لا يرفع راسه الي السما
مادام في الدنيا وكان الاحنف بن قيس لا يفارقه المصباح بالليل فكان يضع اصبعه عليه
ويقول لنفسه ما حملك علي ان صنعت يوم كذا وكذا وانكر وهيب بن الورد شيا علي نفسه فنتف
علي شعرات علي صدره حتى عظم المه ثم جعل يقول لنفسه ويحك انما اريد بك الخير وراى محمد بن
بشر داود الطائي وهو ياكل عند افطاره خبزا بغير ملح فقال له لو اكلت بملح فقال ان نفسي لتدعوني
الي الملح منذ سنة ولا ذاق داود ملحا مادام في الدنيا فهكذا عقوبة اولي الحزم لانفسهم والعجب
انك تعاقب عبدك وامتك واهلك وولدك علي ما يصدر منهم من سوء خلق وتقصير في امر وتخاف
انك لو تجاوزت عنهم خرج امرهم من الاختيار وبغوا عليك ثم تهمل نفسك وهي اعظم عدو لك
واشد طغيانا عليك وضررك من طغيانها اعظم من ضررك من طغيان اهلك فان غايتهم ان
يشوشوا عليك معيشة الدنيا ولو عقلت لعلمت ان العيش عيش الاخرة وان فيه النعيم المقيم
الذي لا اخر له وانما نفسك هي التي تنغص عليك عيش الاخرة فهي بالمعاقبة اولي من غيرها
المرابطة الخامسة المجاهدة وهو انه اذا حاسب نفسه فراها قد قارفت معصية فينبغي ان
يعاقبها بالعقوبات التي مضت وان راها تتواني بحكم الكسل في شي من الفضائل او ورد من الاوراد
فينبغي ان يودبها بتثقيل الاوراد عليها ويلزمها فنونا من الوظايف جبرا لما فات وتداركا لما فرط
فهكذا كان يعمل عمال الله تعالى فقد عاقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين فاتته صلوة العصر في
جماعة بان تصدق بارض له قيمتها مايتا الف درهم وكان ابن عمر اذا فاتته صلوة جماعة احيا تلك
الليلة واخر ليلة صلوة المغرب حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين وفات ابن ابي ربيعة ركعتا الفجر
فاعتق رقبة وكان بعضهم يجعل علي نفسه صوم سنة او الحج ماشيا او التصدق بجميع ماله كل ذلك
مرابطة للنفس ومواخذة لها بما فيه نجاتها فان قلت ان كانت لا تطاوعني نفسي علي الاجتهاد
والمواظبة علي الاوراد فما سبيل معالجتها فاقول علاجها ان تسمعها ما ورد في الاخبار من فضل
المجتهدين ومن انفع اسباب العلاج ان تطلب صحبة عبد من عباد الله مجتهد في العبادة فتلاحظ
احواله وتقتدي به كان بعضهم يقول اذا اعترتني فترة في العبادة نظرت الي محمد بن واسع والي

اجتهاده فعملت عليه اسبوعا الا ان هذا علاج قد تعذر اذ فقد في عباد الله من يجتهد في العبادة

اجتهاد الاولين فينبغي ان نعدل من المشاهدة الى السماع فلا شي انفع من سماع احوالهم ومطالعة

اخبارهم وما كانوا فيه من الجهد الجهيد وقد انقضى تعبهم وبقي ثوابهم ونعيمهم ابد الاباد لا ينقطع

فما اعظم ملكهم وما اشد حسرة من لا يقتدي بهم فيمتع نفسه اياما قلايل بشهوات مكدرة

ثم ياتيه الموت ويحال بينه وبين كل ما يشتهيه ابد الاباد ونعوذ بالله منه ونحن نورد من اوصاف

المجتهدين وفضايله ما يحرك رغبة المريد في الاجتهاد اقتداء بهم فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم

رحم الله اقواما يحسبهم الناس مرضى وما هم بمرضى قال الحسن اجهدتهم العبادة قال الله تعالى

والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة قال الحسن يعملون ما عملوا من اعمال البر ويخافون

ان لا ينجيهم ذلك من عذاب الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن طال عمره وحسن

عمله ويروى ان الله تعالى يقول لملايكته ما بال عبادي مجتهدين فيقولون الهنا خوفتهم

شيا فخافوه وشوقتهم الى شي فاشتاقوا اليه فيقول تبارك وتعالى فكيف لو راوني عبادي

فيقولون لكانوا اشد اجتهادا وقال الحسن ادركت اقواما وصحبت طوايف منهم ما كانوا

يفرحون بشي من الدنيا اذا اقبل ولا يتاسفون على شي منها اذا ادبر ولهي كانت اهون في

اعينهم من هذا التراب الذي تطوونه بارجلكم ان كان احدكم ليعيش عمره كله ما طوى

لاحدهم ثوب ولا امر اهله بصنعة طعام قط ولا جعل بينه وبين الارض شيا قط وادركتهم

عاملين بكتاب ربهم وسنة نبيهم اذا جنهم الليل فقيام على اطرافهم يفترشون وجوههم

يجري دموعهم على خدودهم يناجون ربهم في فكاك رقابهم اذا عملوا الحسنة فرحوا بها وداموا

في شكرها وسالوا الله ان يتقبلها واذا عملوا السيية احزنتهم وسالوا الله ان يغفرها لهم

والله ما زالوا كذلك وعلى ذلك ووالله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا الا بالمغفرة ويحكى ان قوما

دخلوا على عمر بن عبد العزيز يعودونه في مرضه واذا فيهم شاب ناحل الجسم فقال له عمر

يا فتى ما الذي بلغ بك ما ارى فقال يا امير المومنين اسقام وامراض فقال سالتك بالله الا

صدقتني فقال يا امير المومنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة وصغر عندي زهرتها وحلاوتها

واستوى عندي ذهبها وحجرها وكاني انظر الى عرش ربي والناس يساقون الى الجنة والنار

فاظمات لذلك نهاري واسهرت له ليلي وقليل حقير كل ما انا فيه في جنب ثواب الله وعقابه

وقال ابو نعيم كان داود الطايي يشرب الفتيت ولا ياكل الخبز فقيل له في ذلك فقال بين

مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية ودخل رجل عليه يوما فقال ان في سقف بيتك جذعا
مكسورا فقال يا ابن اخي اني في البيت منذ عشرين سنة ما نظرت الي السقف وكانوا يكرهون
فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام وقال محمد بن عبد العزيز جلسنا الي احمد بن رزين من غدوة
الي العصر فما التفت يمنة ولا يسرة فقيل له في ذلك فقال ان الله عز وجل خلق العينين لينظر بهما
العبد الي عظمة الله عز وجل فكل من نظر بغير اعتبار كتبت عليه خطيئة وقالت امراة مسروق
ما كان يوجد مسروق الا وساقاه منتفختان من طول الصلوة وقالت والله اني كنت لاجلس خلفه
فابكي رحمة له وقال ابو الدرداء لولا ثلث ما احببت العيش يوما واحدا الظما لله بالهواجر والسجود
في جوف الليل ومجالسة اقوام ينتقون اطايب الكلام كما ينتقى اطايب التمر وكان الاسود بن يزيد
يجتهد في العبادة ويصوم في الحر حتى يخضر جسده ويصفر فكان علقمة بن قيس يقول له لم
تعذب نفسك فيقول كرامتها اريد وكان يصوم حتى يخضر جسده ويصلي حتى يسقط فدخل عليه
انس بن مالك والحسن فقالا له ان الله تعالي لم يامرك بكل هذا فقال انما انا عبد مملوك لا ادع من
الاستكانة شيئا الا جئت به وكان بعض المجتهدين يصلي كل يوم الف ركعة حتى اقعد من
رجله فكان يصلي جالسا الف ركعة فاذا صلى العصر احتبى ثم قال عجبت للخليقة كيف ارادت
بسواك بدلا منك وعجبت للخليقة كيف انست بسواك بل عجبت للخليقة كيف استنارت قلوبها
بذكر سواك وكان ثابت البناني قد حبب اليه الصلوة فكان يقول اللهم ان كنت اذنت
لاحد ان يصلي لك في قبره فاذن لي ان اصلي في قبري وقال الجنيد ما رايت اعبد من السري
اتت عليه ثمان وتسعون سنة ما روي مضطجعا الا في علة الموت وقال الحارث بن سعد مر قوم
براهب فراوا ما يصنع بنفسه من شدة اجتهاده فكلموه في ذلك فقال وما هذا عند ما يراد بالخلق
من ملاقاة الاهوال وهم غافلون قد اعتكفوا علي حظوظ انفسهم ونسوا حظهم الاكبر من ربهم فبكى
القوم عن آخرهم وعن ابي محمد المغازلي قال جاور ابو محمد الجريري بمكة سنة فلم ينم ولم يتكلم
ولم يستند الي عمود ولا الي حائط ولم يمد رجله الي حائط فعبر عليه ابو بكر الكتاني فسلم عليه
وقال له يا ابا محمد بم قدرت علي اعتكافك فقال علم صدق باطني فاعانني علي ظاهري فاطرق الكتاني
ومشى متفكرا وعن بعضهم قال دخلت علي فتح الموصلي فرايته وقد مد كفيه يبكي حتى رايت الدموع
تتحدر من بين اصابعه فدنوت منه فاذا دموعه قد خالطها صفرة فقلت له بالله يا فتح بكيت
الدم فقال لولا انك حلفتني بالله ما اخبرتك نعم بكيت دما فقلت له علي ماذا بكيت الدموع فقال

علي تخلفني عن واجب حق الله وبكيت الدم علي الدموع ليلا يكون صح لي الدموع قال فرايته بعد موته
في المنام فقلت له ما صنع الله بك قال غفر لي قلت له فما صنع بي دموعك قال قربني ربي عز وجل
وقال لي يا فتح الدموع علي ماذا قلت يا رب علي تخلفي عن واجب حقك فقال والدم علي ماذا قلت
علي دموعي ان لا تصح لي فقال يا فتح ما اردت بهذا كله وعزتي لقد صعد الي حافظاك اربعين
سنة بصحيفتك ما فيها خطيئة وقيل ان قوما ارادوا سفرا فحادوا عن الطريق فانتهوا الي راهب
منفرد عن الناس فنادوه واشرف عليهم من صومعته فقالوا يا راهب انا قد اخطانا الطريق
فكيف هو قال فاومي براسه الي السما فعلم الناس ما اراد فقالوا يا راهب انا سايلوك فهل
انت مجيبنا فقال سلوا ولا تكثروا فان النهار لن يرجع والعمر لا يعود والطالب حثيث فعجب
القوم من كلامه فقالوا يا راهب علام الخلق غدا عند مليكهم فقال علي نياتهم فقالوا اوصنا
فقال تزودوا علي قدر سفركم فان خير الزاد ما بلغ البغيه ثم ارشدهم الي الطريق وادخل راسه
في صومعته وقال عبد الواحد بن زيد مررت بصومعة راهب من رهبان الصين فناديته
يا راهب فلم يجبني فناديته الثانيه فلم يجبني فناديته الثالثه فاشرف علي وقال يا هذا
ما انا براهب انما الراهب من رهب الله في سمايه وعظمه في كبريايه وصبر علي بلايه ورضي بقضا
وحمده علي الايه وشكر علي نعمايه وتواضع لنعمته وذل لعزته واستسلم لقدرته وخضع لهيبته
وفكر في حسابه وعقابه فنهاره صايم وليله قايم قد اسهره ذكر النار ومسالة الجبار
فذلك هو الراهب واما انا فكلب عقور حبست نفسي في هذه الصومعة عن الناس ليلا
اعقرهم فقلت يا راهب فما الذي قطع الخلق عن الله بعد اذ عرفوه فقال يا اخي لم يقطع
الخلق عن الله الا حب الدنيا وزينتها لانها محل المعاصي والذنوب فالعاقل من رمي بها
عن قلبه وتاب الي الله من ذنبه فاقبل علي ما يقربه من ربه وقيل لداود الطايي لو سرحت
لحيتك فقال اني اذا لفارغ وكان اويس القرني يقول هذه ليلة الركوع فيحيي الليلة كلها
في ركعة وهذه ليلة السجود فيحيي الليلة في سجدة وقيل لما تاب عتبة الغلام كان لا يتهنا
بالطعام والشراب وقالت له امه لو رفقت بنفسك قال الرفق اطلب دعيني اتعب قليلا واتنعم
كثيرا وقيل حج مسروق فما نام قط الا ساجدا علي وجهه وقال سفيان الثوري عند الصباح
يحمد القوم السري وعند الممات يحمد القوم التقي وقال عبد الله بن داود كان احدهم اذا بلغ
اربعين طوي فراشه اي كان لا ينام طول الليل وكان كهمس بن الحسن يصلي كل يوم الف

ركعة ثم يقول لنفسه قومي يا ماوى كل شر فلما ضعف اقتصر على خمسماية ثم كان يبكي ويقول
ذهب نصف عملي وكانت ابنة الربيع بن خثيم تقول يا ابه مالي ارى الناس ينامون واراك
لا تنام فيقول لابنته يا ابنتاه ان اباك يخاف النار ولما رات ام الربيع ما يلقى الربيع
من البكاء والسهر نادته يا بني لعلك قتلت قتيلا فقال نعم يا والدتي قالت فمن هو
حتى نطلب الى اهله فيعفو عنك فوالله لو يعلمون ما انت فيه لرحموك وعفوا عنك فقال
يا والدتي هي نفسي وقال الربيع اتيت اويسا فوجدته جالسا قد صلى الفجر ثم جلست فقلت لا
اشغله عن التسبيح فمكث مكانه حتى صلى الظهر ثم قام الى الصلوة حتى صلى العصر ثم
ثبت مكانه حتى صلى المغرب ثم ثبت مكانه حتى صلى العشاء ثم ثبت مكانه حتى صلى الصبح
ثم جلس فغلبته عيناه فقال اللهم اني اعوذ بك من عين نوامة ومن بطن لا تشبع فقلت
حسبي هذا منه ثم رجعت ونظر رجل الى اويس فقال يا ابا عبد الله مالي اراك كانك
مريض فقال وما لاويس ان لا يكون مريضا يطعم المريض واويس غير طاعم وينام
المريض واويس غير نايم وقال احمد بن حرب يا عجبا لمن يعرف ان الجنة تزين فوقه وان
النار تسعر تحته كيف ينام بينهما وقال رجل من النساك اتيت ابرهيم بن ادهم فوجدته
قد صلى العشاء فقعدت ارقبه فلف نفسه بعباءة ثم رمى نفسه فلم ينقلب من جنب
الى جنب الليل كله حتى طلع الفجر واذن المؤذن فوثب الى الصلوة ولم يحدث وضوءا
فحاك ذلك في صدري فقلت له رحمك الله قد نمت الليل كله مضطجعا ثم لم تجدد الوضوء
فقال لي كنت الليلة كلها جايلا في رياض الجنة احيانا وفي اودية النار احيانا فهل في ذلك
نوم وقال ثابت البناني ادركت رجالا كان احدهم يصلي حتى ما ياتي فراشه الا حبوا وقيل
لعامر بن عبد الله كيف صبرك على سهر الليل وظماء الهواجر فقال هل هو الا اني صرفت
اكل النهار الى الليل ونوم الليل الى النهار وليس في ذلك خطير امر وكان يقول ما رايت
مثل الجنة نام طالبها وما رايت مثل النار نام هاربها وكان اذا جاء الليل قال اذهب
حر النار النوم فما ينام حتى يصبح واذا جاء النهار قال اذهب حر النار النوم فما ينام حتى يمسي
فاذا جاء الليل قال من خاف ادلج وعند الصبح يحمد القوم السرى وقال بعضهم صحبت عامر بن
عبد قيس اربعة اشهر فما رايته نام بليل ولا نهار وروي عن رجل من اصحاب علي بن ابي طالب
قال صليت خلف علي الفجر فلما سلم انفتل عن يمينه وعليه كآبة فمكث حتى طلعت الشمس ثم

قلب يده وقال والله لقد رايت اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وما ارى اليوم شيئا يشبههم كانوا يصبحون
شعثا غبرا صفرا قد باتوا لله سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين اقدامهم وجباههم كانوا
اذا ذكر الله مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت اعينهم حتى تبل ثيابهم وكان القوم باتوا
غافلين يعني من كان حوله وكان ابو مسلم الخولاني علق سوطا في مسجد بيته يخوف به نفسه
وكان يقول لنفسه قومي فوالله لازحفن بك زحفا حتى يكون الكلال منك لا مني فاذا دخلته
الفترة تناول سوطه وضرب بها ساقه ويقول انت اولى بالضرب من دابتي ويقول ايظن اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم ان يستاثروا به دوننا كلا والله لنزاحمنهم زحاما حتى يعلموا انهم قد
خلفوا وراءهم رجالا وكان صفوان بن سليم قد تعقدت ساقاه من طول القيام وبلغ من الاجتهاد
ما لو قيل له القيمة غدا ما وجد متزيدا وكان اذا جاء الشتاء اضطجع على السطح ليضربه البرد واذا كان في الصيف
اضطجع داخل البيوت ليجد الحر والغم فلا ينام وانه مات وهو ساجد وكان يقول اللهم اني احب لقاءك
فاحب لقائي وقال القسم بن محمد غدوت يوما وكنت اذا غدوت بدات بعايشة رضي الله عنها اسلم
عليها فغدوت يوما اليها فاذا هي تصلي صلوة الضحى وهي تقرا فمن الله علينا ووقينا عذاب السموم
وتبكي وتدعو وتردد الاية فقمت حتى مللت وهي كما هي فلما رايت ذلك ذهبت الى السوق فقلت
افرغ من حاجتي ثم ارجع ففرغت من حاجتي ثم رجعت وهي كما هي تردد الاية وتدعو وتبكي وقال محمد بن
اسحق لما ورد علينا عبد الرحمن بن الاسود حاجا اعتلت احدى قدميه فقام يصلي على قدم واحدة
حتى صلى الصبح بوضوء العشاء وقال علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه سيما الصالحين صفرة الالوان
من السهر وعمش العيون من البكاء وذبول الشفاه من الصوم عليهم غبرة الخاشعين وقيل للحسن ما بال
المجتهدين احسن الناس وجوها فقال انهم خلوا بالرحمن فالبسهم نورا من نوره وكان عامر بن قيس
يقول الهي خلقتني ولم تؤامرني وتميتني ولا تعلمني وخلقت معي عدوا وجعلته يجري مني مجرى الدم
وجعلته يراني ولا اراه ثم قلت لي استمسك الهي كيف استمسك ان لم تمسكني الهي في الدنيا الهموم
والاحزان وفي الاخرة الحساب والعقاب فاين الراحة والفرح وقال جعفر بن محمد كان عتبة الغلام
يقطع الليل بثلث صيحات كان اذا صلى العتمة وضع راسه بين ركبتيه يتفكر واذا مضى ثلث
الليل صاح صيحة ثم يضع راسه بين ركبتيه يتفكر فاذا كان السحر صاح صيحة قال جعفر بن محمد فحدثت
بعض المصريين فقال لا تنظر الى صيحاته انظر الى ما كان فيه بين الصيحتين حتى صاح وعن القسم بن
راشد الشيباني قال زمعة كان نازلا عندنا بالمحصب وكان له اهل وبنات فكان يقوم فيصلي

ليلا طويلا فاذا كان السحر نادي باعلى صوته ايها الركب المعرسون اكل هذا الليل ترقدون فلا تقومون

فترحلون فيتواثبون فيسمع من ههنا باك ومن ههنا داع ومن ههنا قاري ومن ههنا متوضي فاذا

طلع الفجر نادي باعلى صوته عند الصباح يحمد القوم عند السرى وقال بعض الحكما ان لله عبادا انعم

عليهم فعرفوه وشرح صدورهم فاطاعوه وتوكلوا عليه فسلموا الخلق والامر اليه فصارت قلوبهم معادن

لصفاء اليقين وبيوتا للحكمة وتوابيت للعظمة وخزاين للقدرة فهم بين الخلايق مقبلون ومدبرون

وقلوبهم تجول في الملكوت وتلوذ بمحجوب الغيوب ثم ترجع ومعها طوايف من لطيف الفوايد

ما لا يمكن واصفا ان يصفه فهم في باطن امورهم كالديباج حسنا وهم في الظاهر مناديل مبذولون

لمن ارادهم تواضعا وهذه طريقة لا يبلغ اليها بالتكلف وانما هو فضل الله يوتيه من يشا، وقال

بعض الصالحين بينما انا اسير في بعض جبال بيت المقدس اذ هبطت الي وادٍ هناك فاذا

انا بصوت قد علا ولذلك الجبال الجيبة لها دوي عال فاتبعت الصوت فاذا انا بروضة عليها

شجر ملتف واذا انا برجل قايم فيها يردد هذه الآية يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الى

قوله ويحذركم الله نفسه قال فجلست خلفه اسمع كلامه وهو يردد هذه الآية اذ صاح صيحة خر منها

مغشيا فقلت وا اسفاه هذا لشقايي ثم انتظرت افاقته فافاق بعد ساعة فسمعته وهو يقول

اعوذ بك من مقام الكذابين اعوذ بك من اعمال البطالين اعوذ بك من اعراض الغافلين ثم قال لك

خشعت قلوب الخايفين واليك فزعت آمال المقصرين ولعظمتك ذلت قلوب العارفين ثم

نفض يديه وقال ما لي وللدنيا وما للدنيا ولي عليك يا دنيا يا دنيا جنسك والآن تعمك الى محتبك

فاذهبي والى ايامهم فاخدعي ثم قال اين القرون الماضية واهل الدهور السالفة في التراب يبلون وعلى

الزمان يفنون فناديته يا عبد الله انا منذ اليوم خلفك انتظر فراغك فقال وكيف يفرغ من يبادر

الاوقات وتبادره يخاف سبقها بالموت الى نفسه ام كيف يفرغ من ذهبت ايامه وبقيت

آثامه ثم قال انت لها ولكل شدة اتوقع نزولها ثم لهى عني ساعة وقرا وبدا لهم من الله ما لم يكونوا

يحتسبون ثم صاح صيحة اخرى اشد من الاولى خر مغشيا عليه فقلت قد خرجت نفسه قد

دنوت منه فاذا هو يضطرب ثم افاق وهو يقول من انا ما خطري هب لي اساءتي بفضلك

وجللني بسترك واعف عني ذنوبي بكريم وجهك اذا وقفت بين يديك فقلت له يا الذي ترجوه

لنفسك وتثق به الا كلمتني فقال عليك بكلام من ينفعك كلامه ودع كلام من اوبقته ذنوبه

اني لفي هذا الموضع منذ ما شاء الله اجاهد ابليس ويجاهدني فلم يجد عونا علي ليخرجني مما

انا فيه غيرك فاليك عني يا مخدوع فقد عطلت علي لساني ووصلت الي حديثك شعبة من قلبي فانا اعوذ
بالله من شرك ثم ارجوان يعيذني من سخطه ويتفضل علي برحمته قال فقلت هذا ولي الله اخاف ان
اشغله فاعاقب في موضعي هذا فانصرفت وتركته وقال بعض الصالحين بينما انا اسير في مسيري
اذ ملت الي شجرة لاستريح تحتها فاذا بشيخ قد اشرف علي فقال لي يا هذا قم فان الموت لم يمت
ثم هام علي وجهه فاتبعته فسمعته وهو يقول كل نفس ذائقة الموت اللهم بارك لي في الموت
فقلت وفيما بعد الموت فقال من ايقن بما بعد الموت شمر ميزر الحذر ولم يكن له في الدنيا
مستقر ثم قال يا من لوجهه عنت الوجوه بيض وجهي بالنظر اليك واملاء قلبي من المحبة لك واجرني
من ذلة التوبيخ غدا عندك فقد آن لي الحياء منك وحان لي الرجوع عن الاعراض عنك ثم قال
لولا حلمك لم يسع اجلي ولولا عفوك لم ينبسط فيما عندك املي ثم مضي وتركني وقد انشدوا
نحيل الجسم مكتئب الفؤاد   تراه بقنة او بطن وادي   ينوح علي معاصي فادحات   يكدر ثقلها صفو الرقاد
فان هاجت مخاوفه وزادت   فدعوته اغثني يا عمادي   فانت بما الاقيه عليم   كثير الصفح عن زلل العباد
وقيل الذ من التلذذ بالغواني   اذا اقبلن في حلل حسان   منيب فر من اهل ومال   يسيح الي
مكان من مكان   ليخمل ذكره ويعيش فردا   ويظفر في العبادة بالامان   تلذذه التلاوة اين ولي
وذكر بالفؤاد وباللسان   وعند الموت ياتيه بشير   يبشر بالنجاة من الهوان   فيدرك ما اراد وما تمني
من الراحات في غرف الجنان   وكان كرز بن وبرة يختم القرآن في كل يوم ثلث مرات ويجاهد
نفسه في العبادات غاية المجاهدة فقيل له قد اجهدت نفسك فقال كم عمر الدنيا فقيل سبعة
الآف سنة فقال كم مقدار يوم القيمة فقيل خمسون الف سنة قال فكيف يعجز احدكم ان يعمل
سبع يوم حتي يامن ذلك اليوم يعني انك لو عشت عمر الدنيا واجتهدت سبعة الاف سنة
وتخلصت من يوم واحد كان مقداره خمسين الف سنة لكان ربحك كثيرا وكنت بالزهد
فيه جديرا فكيف وعمرك قصير والآخرة لا غاية لها فهكذا كانت سيرة السلف الصالحين
في مرابطة النفس ومراقبتها فمهما تمردت نفسك عليك وامتنع من المواظبة على العبادة
طالع احوال هؤلاء فانه قد عز الآن وجود مثلهم ولو قدرت علي مشاهدة من اقتدي بهم
فهو انجع في القلب وابعث علي الاقتداء فليس الخبر كالمعاينة واذا عجزت عن هذا فلا تغفل
عن سماع احوال هؤلاء فان لم تكن ابل فمعزي وخير نفسك بين الاقتداء بهم والكون في غمارهم
وهم العقلاء والحكماء وذوو البصائر في الدين وبين الاقتداء بالجهلة الغافلين من اهل

عصرك ولا ترض لها ان تنخرط في سلك الحمقى وتقنع بالتشبه بالاغنياء وتوثر مخالفة العقلا
فان حدثتك نفسك بان هؤلاء رجال اقوياء لا يطاق الاقتدا بهم فطالع احوال النسا المجتهدات
وقل لها الا تستنكفين يا نفس ان تكوني اقل من امراة فاخسس برجل يقصر عن امراة في
امر دينها ودنياها ولنذكر الآن نبذة من احوال المجتهدات فقد روي عن حبيبة العدوية
انها كانت اذا صلت العتمة قامت على سطح لها وشدت عليها درعها وخمارها ثم قالت
الهي قد غارت النجوم ونامت العيون وغلقت الملوك ابوابها وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا
مقامي بين يديك ثم تقبل على صلوتها فاذا كان السحر وطلع الفجر قالت الهي هذا الليل قد ادبر
وهذا النهار قد اسفر فليت شعري اقبلت مني ليلتي فاهنا او رددتها علي فاعزى وعزتك
هذى دأبي ودأبك ما ابقيتني وعزتك لو انتهرتني من بابك ما برحته لما وقع في نفسي من
جودك وكرمك ويروى عن عجردة انها كانت تحيي الليل وكانت مكفوفة فاذا كان السحر
نادت بصوت لها محزون اليك قطع العابدون دجى الليالي يستبقون الى رحمتك وفضل
مغفرتك فبك يا الهي اسئلك لا بغيرك ان تجعلني في اول زمرة السابقين وان ترفعني لديك
في درجة المقربين وان تلحقني بعبادك الصالحين وانت ارحم الرحما واعظم العظما واكرم
الكرما يا كريم ثم تخر ساجدة فيسمع لها وجبة ثم لا تزال تدعو وتبكي الى الفجر وقال يحيى
بن بسطام كنت اشهد مجلس شعوانة فكنت ارى ما تصنع من النياحة والبكاء فقلت لصاحب
لي لو اتيناها اذا خلت فامرناها بالرفق بنفسها قال انت وذاك قال فاتيناها فقلت لها
لو رفقت بنفسك واقصرت عن هذا البكاء شيئا لكان اقوى لك على ما تريدين قال
فبكت ثم قالت والله لوددت ان ابكي حتى تنفد دموعي ثم ابكي دماً حتى لا يبقى قطرة
من دم في جارحة من جوارحي واني لي بالبكاء فلم تزل ترددو اني لي بالبكاء حتى غشي عليها
وقال محمد بن معاذ حدثتني امراة من المتعبدات قالت رايت في منامي كاني ادخلت
الجنة فاذا اهل الجنة قيام على ابوابهم فقلت ما شان اهل الجنة قيام فقال لي قائل
خرجوا ينظرون الى هذه المراة التي زخرف الجنان لقدومها قلت ومن هذه المراة قالوا
امة سوداء من اهل الايلة يقال لها شعوانة فقالت قلت اختي والله قالت فبينا انا كذلك
اذا اقبل بها على نجيبة يطير بها في الهواء فلما رايتها ناديت يا اختي اما ترين مكاني من
مكانك فلو دعوت لي مولاك فالحقني بك قالت فتبسمت الي وقالت لم يأن لقدومك ولكن

احفظي عني اثنتين الزمي الحزن في قلبك وقدمي محبة الله على هواك لا يضرك متى مت وقال
عبد الله بن الحسن كانت لي جارية رومية وكنت بها معجبا وكانت في بعض الليالي نايمة الى
جنبي فانتبهت فلمستها ولم اجدها فقمت اطلبها فاذا هي ساجدة وهي تقول بحبك لا تغفر
لي ذنوبي فقلت لها لا تقولي بحبك ولكن قولي بحبي لك فقالت لا يا مولاي بحبه لي اخرجني من الشرك
الى الاسلام وبحبه لي ايقظني وكثير من خلقه نيام وقال ابو هاشم القرشي قدمت علينا امراة
من اهل اليمن يقال لها سرية فنزلت في بعض دارنا قال فكنت اسمع لها من الليل انينا وشهيقا
فقلت يوما للخادم اشرف على هذه المراة ماذا تصنع قال فاشرفت عليها فما اراها تصنع شيا
غير انها لا ترد طرفها عن السماء وهي مستقبلة القبلة تقول خلقت سرية ثم غذيتها بنعمك من
حال الى حال وكل احوالك لها حسنة وكل بلايك عندها جميل وهي مع ذلك متعرضة لسخطك
بالتوثب على معاصيك فلتة بعد فلتة اتراها تظن انك لا ترى سوء فعالها وانت عليم
خبير وعلى كل شيء قدير وقال ذو النون المصري خرجت ليلة من وادي كنعان فلما علوت الوادي
اذا سواد مقبل علي وهو يقول وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ويبكي فلما قرب مني السواد
اذا هي امراة عليها جبة صوف وبيدها ركوة فقالت لي من انت غير فازعة مني قلت رجل
غريب فقالت يا هذا وهل يوجد مع الله غربة قال فبكيت لقولها فقالت لي ما الذي ابكاك قلت
وقع الدواء على داء قد قرح فاسرع في نجاحه قالت فان كنت صادقا فلم بكيت قلت يرحمك الله
والصادق لا يبكي قالت لا قلت ولم ذاك قالت لان البكاء راحة للقلب فسكت متعجبا من
قولها وقال احمد بن علي استاذنا على عفيرة فحجبتنا فلازمنا الباب فلما علمت ذلك قامت
لتفتح لنا فسمعتها وهي تقول اللهم اني اعوذ بك ممن جاء يشغلني عن ذكرك ثم فتحت الباب ودخلنا
عليها فقلنا لها يا امة الله ادعي لنا فقالت جعل الله قراكم في بيتي المغفرة ثم قالت لنا مكث عطاء
السلمي اربعين سنة لا ينظر الى السماء فحانت منه نظرة فخر مغشيا عليه فاصابه فتق في بطنه
فياليت عفيرة اذ رفعت راسها لم تعص ويا ليتها اذ عصت لم تعد وقال بعض الصالحين
خرجت يوما الى السوق ومعي جارية حبشية فاجلستها في موضع بناحية السوق وذهبت
في بعض حوايجي وقلت لا تبرحي حتى انصرف اليك قال فانصرفت فلم اجدها في الموضع فانصرفت
الى موضعي وانا شديد الغضب عليها فلما راتني عرفت الغضب في وجهي فقالت لي يا مولاي
لا تعجل علي انك اجلستني في موضع لم ار فيه ذاكرا لله فخفت ان يخسف بذلك الموضع فعجبت

فعجبت لقولها وقلت لها اتتحرج فقالت نعم ما صنعت كنت اخدمك فيكون لي اجران اما الآن
فقد ذهب عني احدهما وقال العلاء السعدي كانت لي ابنة عم يقال لها برية تعبدت وكانت
تكثر القراءة في المصحف فكلما اتت على آية فيها ذكر النار بكت فلم تزل تبكي حتى ذهبت عيناها من
البكاء فقال بنو عمها انطلقوا بنا الى هذه المرأة حتى نعذلها في كثرة البكاء قال فدخلنا عليها
فقلنا لها يا برية كيف اصبحت فقالت اصبحنا اضيافا منيخين بارض غربة ننتظر متى ندعى فنجيب
فقلنا لها كم هذا البكاء قد ذهبت عيناك منه فقالت ان يكن لعيني عند الله خير فما يضرهما ما ذهب
منهما في الدنيا وان كان لهما عند الله شر فسيزيدهما بكاء اطول من هذا واعرضت فقال القوم قوموا
بنا فهي والله في شيء غير ما نحن فيه وكانت معاذة العدوية اذا جاء النهار تقول هذا يومي الذي اموت
فيه فما تطعم حتى تمسي فاذا جاء الليل تقول هذه الليلة التي اموت فيها فتصلي حتى تصبح وقال
ابو سليمان الداراني بت ليلة عند رابعة فقامت الى محراب لها وقمت انا الى ناحية من البيت
فلم تزل قائمة الى السحر فلما كان السحر قلت ما جزاء من قوانا على قيام هذه الليلة قالت جزاؤه ان نصوم له غدا
وكانت شعوانة تقول في دعائها الهي ما اشوقني الى لقائك واعظم رجائي لجزائك وانت الكريم الذي
لا يخيب لديك امل الآملين ولا يبطل عندك شوق المشتاقين الهي ان كان دنا اجلي ولم يقربني منك عملي
فقد جعلت الاعتراف بالذنب وسائل عللي فان عفوت فمن اولى منك بذلك وان عذبت فمن اعدل منك
هنالك الهي قد جرت على نفسي في النظر لها وبقي لها حسن نظرك فالويل لها ان لم تسعدها الهي انك لم تزل
بي برا ايام حياتي فلا تقطع عني برك بعد مماتي ولقد رجوت ممن تولاني في حياتي باحسانه ان يشفعه عند
مماتي بغفرانه الهي كيف ايأس من حسن نظرك بعد مماتي ولم تولني الا الجميل في حياتي الهي ان كانت ذنوبي
قد اخافتني فان محبتي لك قد اجارتني فتول من امري ما انت اهله وعد بفضلك على من غره جهله الهي لو اردت
اهانتي لما هديتني ولو اردت فضيحتي لم تسترني فمتعني بما له هديتني وادم لي ما به سترتني الهي ما اظنك
تردني في حاجة افنيت فيها عمري الهي لولا ما قارفت من الذنوب ما خفت عقابك ولولا ما عرفت من كرمك
ما رجوت ثوابك وقال الخواص دخلنا على رحلة العابدة وكانت قد صامت حتى اسودت وبكت حتى عميت
وصلت حتى اقعدت وكانت تصلي قاعدة فسلمنا عليها ثم ذكرناها شيئا من العفو ليهون عليها الامر
قال فشهقت ثم قالت علمي بنفسي قرح فؤادي وكلم كبدي والله لوددت ان الله لم يخلقني ولم اك شيئا مذكورا
ثم اقبلت على صلاتها فعليك ان كنت من المرابطين المراقبين لنفسك ان تطالع احوال الرجال والنساء
المجتهدين فينبعث نشاطك ويزيد حرصك واياك ان تنظر الى اهل عصرك فانك ان تطع اكثر من في الارض

يضلوك عن سبيل الله وحكايات المجتهدين غير محصورة وفيما ذكرناه كفاية للمعتبر وان اردت مزيدا فعليك
بالمواظبة على مطالعة كتاب حلية الاولياء فهو مشتمل على شرح احوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم وبالوقوف
عليه ستبين لك بعدك وبعد اهل عصرك من اهل الدين فان حدثتك نفسك بالنظر الى زمانك وقالت
انما تيسر الخير في ذلك الزمان لكثرة الاعوان والآن ان خالفت اهل زمانك راوك مجنونا وسخروا بك فوافقهم
فيما هم عليه فلا يجري عليك الا ما يجري عليهم والمصيبة اذا عمت طابت فاياك ان تتدلى بحبل غرورها وتنخدع
بتزويرها وقل لها ارايت لو هجم سيل جارف يغرق اهل البلد وثبتوا على مواضعهم ولم ياخذوا حذرهم
لجهلهم بحقيقة الحال وقدرت على ان تفارقهم وتركب سفينة تنجو بها من الغرق فهل يختلج في نفسك
ان المصيبة اذا عمت طابت ام تترك موافقتهم وتستجهلهم في صنيعهم وتاخذ حذرك مما دهاك فاذا كنت
تترك موافقتهم خوفا من الغرق وعذاب الغرق لا يتمادى الا ساعة فكيف لا تهرب من عذاب الابد وانت متعرض
له في كل حال ومن اين تطيب المصيبة اذا عمت ولاهل النار شغل شاغل عن الالتفات الى العموم والخصوص
ولم يهلك الكفار الا بموافقة اهل زمانهم حيث قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون فعليك
اذا اشتغلت بمعاتبة نفسك او حملتها على الاجتهاد فاستعصت ان لا تترك معاتبتها وتوبيخها وتعريفها
سوء نظرها لنفسها فعساها ترجع عن طغيانها المرابطة السادسة في توبيخ النفس ومعاتبتها
اعلم ان اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وقد خلقت امارة بالسوء ميالة الى الشر فرارة عن الخير وامرت
بتزكيتها وتقويمها وقودها بسلاسل القهر الى عبادة ربها وخالقها ومنعها عن شهواتها وفطامها عن لذاتها
فان اهملتها شردت وجمحت ولم تظفر بها بعد ذلك وان لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والعذل والملامة كانت
نفسك هي النفس اللوامة التي اقسم الله بها ورجوت ان تصير النفس المطمئنة المدعوة الى ان تدخل في
زمرة عباد الله راضية مرضية فلا تغفلن ساعة عن تذكيرها ومعاتبتها ولا تشتغل بوعظ غيرك
ما لم تشتغل بوعظ نفسك اوحى الله تبارك وتعالى الى عيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت
فعظ الناس والا فاستحي مني وقال تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وسبيلك ان تقبل عليها فتقرر
عليها جهلها وحماقتها فانها ابدا تتعزز بفطنتها وهدايتها ويشتد انفتها واستنكافها اذا نسبت
الى الحمق فتقول لها ما اعظم جهلك تدعين الحكمة والذكاء والفطنة وانت اشد الناس غباوة وحمقا اما
تعرفين ما بين يديك من الجنة والنار وانك صائرة على القرب الى احديهما فما لك تفرحين وتضحكين وتشتغلين
باللهو وانت مطلوبة لهذا الخطب الجسيم وعساك اليوم تختطفين او غدا فاراك ترين الموت بعيدا
ويراه الله قريبا اما تعلمين ان كل ما هو آت قريب وان البعيد ما ليس بآت اما تعلمين ان الموت ياتي

بغتة من غير تقديم رسول ومن غير مواعدة ومواطاة وانه لا ياتي في شتاء دون صيف ولا في صيف دون
شتاء ولا في نهار دون ليل ولا في ليل دون نهار ولا ياتي في الصبي دون الشاب ولا في الشاب
دون الصبي بل كل نفس من الانفاس يمكن ان يكون فيها الموت فجاءة فان لم يكن الموت فجاءة فيكون المرض
فجاءة ثم يفضي الى الموت فما لك لا تستعدين للموت وهو اقرب اليك من كل قريب اما تتدبرين قوله تعالى
اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون
لاهية قلوبهم ويحك جراتك على معصية الله ان كانت لاعتقادك ان الله لا يراك فما اعظم كفرك وان كانت
مع علمك باطلاعه عليك فما اشد وقاحتك واقل حياءك ويحك لو واجهك عبد من عبيدك بل اخ من اخوانك
بما كنت تكرهينه كيف كان غضبك عليه ومقتك له فباي جسارة تتعرضين بمقت الله وغضبه وشديد
عقابه افتظنين انك تطيقين عذابه هيهات هيهات جربي نفسك ان الهاك البطر عن اليم عذابه
فاحتبسي ساعة في الشمس او في بيت الحمام او قربي اصبعك من النار ليتبين لك قدر طاقتك ام تغترين
بفضل الله وكرمه واستغنائه عن طاعتك وعبادتك فما لك لا تعولين على كرم الله في مهمات دنياك فاذا
قصدك عدو فلم تستنبطين الحيل في دفعه ولا تكلينه الى كرم الله تع واذا ارهقتك حاجة الى شهوة
من شهوات الدنيا مما لا ينقضي الا بالدينار والدرهم ما لك تنزعين الروح في طلبه وتحصيله من وجوه الحيل
فلم لا تعولين على كرم الله حتى يعثر بك على كنز او يسلط عبدا من عبيده ليحمل اليك حاجتك من غير سعيك وطلبك
افتحسبين ان الله كريم في الآخرة لا في الدنيا وقد عرفت ان سنة الله لا تبديل لها وان رب الدنيا والآخرة لواحد
وان ليس للانسان الا ما سعى ويحك ما اعجب نفاقك ودعاويك الباطلة فانك تدعين الايمان بلسانك
واثر النفاق ظاهر عليك الم يقل لك سيدك ومولاك وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وقال تعالى
في امر الآخرة وان ليس للانسان الا ما سعى فقد تكفل لك بامر الدنيا خاصة وصرفك عن السعي فيها
فكذبته بافعالك واصبحت تتكالبين على طلبها تكالب المدهوش المستهتر ووكل امر الآخرة الى سعيك
فاعرضت عنها اعراض المغرور والمستحقر ما هذا من علامات الايمان لو كان الايمان باللسان فلماذا كان
المنافقون في الدرك الاسفل من النار ويحك كانك لا تؤمنين بيوم الحساب وتظنين انك اذا مت انفلت
وتخلصت وهيهات اتحسبين ان تتركين سدى الم تكوني نطفة من مني يمنى ثم كنت علقة فخلق
فسوى اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى فان كان هذا من اضمارك فما اكفرك واجهلك اما تتفكرين
انه من ماذا خلقك من نطفة خلقك فقدرك ثم السبيل يسرك ثم اماتك فاقبرك افتكذبينه في قوله
ثم اذا شاء انشرك فان لم تكوني مكذبة فما لك لا تاخذين حذرك ولو ان يهوديا اخبرك في الذ طعمتك با

يضرك في مرضك لصبرت عنه وتركته وجاهدت نفسك فيه افكان قول الانبياء المويدين بالمعجزات
وقول الله تع في كتبه المنزلة اقل عندك تاثيرا من قول يهودي يخبرك عن حدس وظن مع نقصان عقل وقصور
علم العجب انه لو اخبرك طفل بان كان في ثوبك عقرب لرميت ثوبك في الحال من غير مطالبة له ببرهان
ودليل ان كان قول الانبياء والعلماء والحكماء وكافة الاولياء اقل عندك منزلة من قول صبي من جملة
الاغبياء ام صار حر جهنم واغلالها وانكالها وزقومها ومقامعها وصديدها وسمومها وافاعيها وعقاربها
احقر عندك من عقرب لا تحسين بالمه الا يوما او اقل منه ما هذا افعال العقلاء بل لو انكشف للبهائم حالك
لضحكوا منك وسخروا من عقلك فان كنت قد عرفت جميع ذلك وآمنت به فما لك تسوفين العمل والموت
لك بالمرصاد ولعله يختطفك من غير مهل فبماذا امنت استعجال الاجل وهبي انك وعدت بالامهال
مائة سنة افتظنين ان من يعلف الدابة في حضيض العقبة يقدر على قطع العقبة بها ان ظننت ذلك
فما اعظم جهلك ارايت لو سافر رجل ليتفقه في الغربة فاقام فيها سنين متعطلا بطالا يعد نفسه
بالتفقه في السنة الاخيرة من رجوعه الى وطنه هل كنت تضحكين من عقله وظنه ان تفقيه النفس
مما يطمع فيه بمدة قريبة او حسبانه ان مناصب الفقهاء تنال من غير تفقه اعتمادا على كرم الله سبحانه
ثم هبي ان الجهد في آخر العمر نافع وانه موصل الى الدرجات العلى فلعل اليوم آخر عمرك فلم لا تشتغلين به
فان اوحي اليك بالامهال فما المانع لك من المبادرة وما الباعث لك على التسويف هل له سبب الا عجزك
عن مخالفة شهوتك لما فيه من التعب والمشقة افتنتظرين يوما ياتيك لا يعسر فيها مخالفة الشهوات
هذا يوم لم يخلقه الله قط ولا يخلقه فلا يكون الجنة قط الا محفوفة بالمكاره ولا يكون المكاره قط خفيفة
على النفوس هذا محال وجوده اما تتاملين منذ كم تعدين نفسك وتقولين غدا وغدا فقد جاء الغد
وصار يوما فكيف وجدته اوما علمت ان الغد الذي جاء وصار يوما كان له حكم الامس لا بل ما تعجزين
عنه اليوم فانت غدا عنه اعجز واعجز لان الشهوة كالشجرة الراسخة التي تعبد العبد بقلعها فاذا عجز
عن قلعها للضعف واخرها كان كمن عجز عن قلع شجرة وهو شاب قوي فاخر الى سنة اخرى مع العلم
بان طول المدة يزيد في الشجرة قوة ويزيد للقالع ضعفا ووهنا فما لا يقدر عليه في الشباب فلا يقدر
عليه قط في المشيب بل من العناء رياضة الهرم ومن التعذيب تهذيب الذئب والقضيب الرطب
يقبل الانحناء فاذا جف وطال عليه الزمان لم يقبله فاذا كنت لا تفهمين هذه الامور الجلية وتركنين
الى التسويف فما لك تدعين الحكمة واية حماقة تزيد على هذه الحماقة ولعلك تقولين ما يمنعني عن الاستقامة
الا حرصي على لذة الشهوات وقلة صبري على الآلام والمشقات فما احمقك واقبح اعتذارك ان كنت صادقة

في ذلك فاطلب التنعم بالشهوات الصافية عن الكدورات الدائمة ابد الآباد ولا مطمع في ذلك الا في الجنة
فان كنت ناظرة لشهوتك فالنظر لها في مخالفتها فرب اكلة تمنع اكلات وما بالك في عقل مريض اشار
عليه الطبيب بترك الماء البارد ثلثة ايام ليصح ويتهنا بشربه طول العمر واخبره ان شرب مرض مرضا
مزمنا وامتنع عليه شربه فما مقتضى العقل في حق قضاء الشهوة ايصبر ثلثة ايام ليتنعم طول
العمر ام يقضي شهوته في الحال خوفا من الم المخالفة ثلثة ايام حتى يلزمه الم المخالفة ثلثمائة يوم
وثلثة الاف يوم وجميع عمرك بالاضافة الى الابد الذي هو مدة نعيم اهل الجنة وعذاب اهل
النار اقل من ثلثة ايام بالاضافة الى جميع العمر وان طالت مدته وليت شعري الم الصبر عن الشهوات
اعظم شدة واطول مدة او الم النار في دركات جهنم فمن لا يطيق الصبر على الم المجاهدة كيف يطيق
الم عذاب الله ما اراك تتوانين على النظر لنفسك الا لكفر خفي او لحمق جلي اما الكفر الخفي فهو ضعف
ايمانك بيوم الحساب وعظم قدر الثواب والعقاب واما الحمق الجلي فاعتمادك على كرم الله تعالى
وعفوه واستغنائه عن عبادتك مع انك لا تعتمد على كرمه في لقمة من الخبز وحبة من المال وكلمة
واحدة تسمعها من الخلق بل تتوصل الى غرضك فيها بجميع الحيل وبهذا الجهل تستحقين لقب
الحماقة من رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق
من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله ويحك ينبغي ان لا تغرنك الحيوة الدنيا ولا يغرنك بالله الغرور فانظري
لنفسك فما امرك بمهم لغيرك ولا تضيعي اوقاتك فالانفاس معدودة اذا مضى نفسك فقد ذهب منك
بعضك فاغتنمي الصحة قبل السقم والفراغ قبل الشغل والغنى قبل الفقر والشباب قبل الهرم والحيوة
قبل الموت واستعدي للآخرة على قدر بقائك فيها اما تستعدين للشتاء بقدر طول مدتها فتجمعين
الحطب واللبد والجبة والحبوب ولا تتكلين على فضل الله وكرمه حتى يدفع عنك البرد من غير جبة ولبد
وحطب فانه قادر على ذلك افتظنين ان زمهرير جهنم اخف بردا واقصر مدة من زمهرير الشتاء ام
تظنين ان العبد ينجو منها بغير سعي هيهات كما لا يندفع برد الشتاء الا بالجبة والنار وساير الاسباب
فلا يندفع حر النار وبردها الا بحصن التوحيد والطاعات وانما كرم الله تعالى في ان عرفك طريق التحصن
ويسر لك الاسباب لا في ان يندفع عنك العذاب دون حصنه كما ان كرم الله تعالى في دفع برد الشتاء ان خلق
النار وهداك لطريق استخراجه من بين حديدة وحجر حتى تدفع به برد الشتاء عن نفسك وكما ان شراء
الحطب والجبة مما يستغني عنه خالقك ومولاك وانما تشترينه لنفسك اذ خلقه سببا لاستراحتك فطاعتك
ومجاهدتك ايضا هو مستغن عنها وانما هي طريقك الى نجاتك فمن احسن فلنفسه ومن اساء فعليها والله

غني عن العالمين ويحك اترعي عن جهلك وقيسي آخرتك بدنياك ما بعثك ولا خلقك الا كنفس واحدة وكما بدأكم
تعودون وسنة الله لن تجد لها تبديلا ولا تحويلا ويحك ما اراك الا الفت الدنيا وانست بها فعسر عليك
مفارقتها وانت مقبلة على مقارنتها وتوكدين في نفسك مودتها فاحسبي انك غافلة من عقاب الله
وثوابه وعن اهوال القيمة واحوالها فما انت مؤمنه بالموت المفرق بينك وبين محابك افترين ان
من يدخل دار ملك ليخرج من الجانب الآخر فمد بصره الى وجه مليح يعلم انه يستغرق ذلك قلبه
ثم يضطر لا محالة الى مفارقته اهو معدود من العقلاء او من الحمقى اما تعلمين ان الدنيا
دار الملك الملوك وما لك الارباب وما لك فيها الا مجاز وكل ما فيها لا يصحب المجتازين بها بعد
الموت ولذلك قال سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي احبب
ما احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به اما تعلمين
ان كل من يلتفت الى ملاذ الدنيا ويانس بها مع ان الموت من ورائه فانما يستكثر من الحسرة
عند المفارقه وانما يتزود من السم المهلك وهو لا يدري او ما تنظرين الى الذين مضوا كيف
بنوا وعلوا ثم ذهبوا وخلوا وكيف اورث الله ارضهم وديارهم اعداءهم اما تراهم كيف يجمعون ما لا
ياكلون ويبنون ما لا يسكنون ويأملون ما لا يدركون يبني كل واحد قصرا مرفوعا الى جهة السماء
ومقره قبر محفور تحت الارض فهل في الدنيا حمق وانتكاس اعظم من هذا يعمر الواحد دنياه وهو
مرتحل عنها يقينا ويخرب آخرته وهو صائر اليها قطعا اما تستحيين من مساعدة هؤلاء على
حماقتهم واحسب انك لست ذات بصيرة تهتدين الى هذه الامور وانما تميلين بالطبع الى التشبه
والاقتداء فقيسي عقل الانبياء والحكماء والعلماء بعقل هؤلاء المكبين على الدنيا واقتدي من
الفريقين بمن هو اعقل عندك ان كنت تعتقدين في نفسك العقل والذكاء ما اعجب امرك
واشد جهلك واظهر طغيانك عجبا لك كيف تعمين عن هذه الامور الواضحة الجلية ولعلك اسكرك
حب الجاه والمال وادهشك عن فهمه اوما تتفكرين ان الجاه لا معنى له الا ميل قلوب بعض
الناس اليك فاحسبي ان كل من على وجه الارض سجدوا لك واطاعوك افما تعرفين انه بعد خمسين
سنة لا تبقين انت ولا احد من على وجه الارض ممن عبدك وسجد لك وسياتي زمان لا يبقى ذكرك
وذكر من ذكرك كما اتى على الملوك الذين من قبلك فهل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا فكيف تبيعين
ما يبقى ابد الآباد بما لا يبقى اكثر من خمسين سنة ان بقي هذا ان كنت ملكا من ملوك الارض سلم لك
الشرق والغرب حتى اذعنت لك الرقاب وانتظمت لك الاسباب كيف ويابى ادبارك وشقاوتك ان

تسلم لك امر محلتك بل امر دارك فضلا عن محلتك فان كنت لا تتركين الدنيا رغبة في الآخرة
بجهلك وعمى بصيرتك فما لك لا تتركينها ترفعا عن خسة شركائها وترها عن كثرة عنائها وترقيا من
سرعة فنائها ام ما لك لا تزهدين في قليلها بعد ان زهد فيك كثيرها وما لك تفرحين بدنيا ان
ساعدتك فلا يخلوا بلدك عن جماعة من اليهود والمجوس يسبقونك بها ويزيدون عليك في نعيمها
وزينتها فاف لدنياك سبقك بها هولاء الاخسا فما اجهلك واخس همتك واسقط رايك اذ
رغبت ان تكوني في زمرة المقربين من الصديقين والنبيين في جوار رب العالمين ابد الآبدين
لتكوني في صف النعال من غمار الحمقى الجاهلين ايا ما قلائل فيا حسرة عليك اذ خسرت الدنيا
والدين فبادري ويحك فقد اشرفت على الهلاك وقد اقترب الموت وورد النذير فمن الذي يصلي
عنك بعد الموت ومن الذي يصوم عنك بعد الموت ومن الذي يترضى ربك بعد الموت وما لك الا ايام
معدودة هي بضاعتك ان اتجرت فيها وقد ضيعت اكثرها فلو بكيت بقية عمرك على ما ضيعت
منها لكنت مقصرة في حق نفسك فكيف اذ ضيعت البقية واصررت على عادتك اما تعلمين ان
الموت موعدك والقبر بيتك والتراب فراشك واللبن وسادك والدود انيسك والفزع الاكبر بين
يديك اما علمت ان عسكر الموتى على باب البلد ينتظرونك قد آلوا كلهم على انفسهم بالايمان المغلظة
وتعاهدوا انهم لا يبرحون من مكانهم ما لم ياخذوك الى انفسهم اما تعلمين انهم يتمنون الرجعة الى
الدنيا يوما ليشتغلوا بتدارك ما فرطوا منهم وانت في امنيتهم ويوم من عمرك لو بيع منهم بالدنيا بحذافيرها
لاشتروها لو قدروا عليها وانت تضيعين ايامك ويحك ما تستحيين تزينين ظاهرك للخلق وتبارزين
الله في السر بالعظائم فتستحيين من الخلق ولا تستحيين من الخالق ويحك اهو اهون الناظرين
عليك وتامرين الناس بالخير وانت متلطخة بالرذائل تدعين الى البر وانت عنه فارة وتذكرين
بالله وانت له ناسية اما تعلمين ان المذنب انتن من العذرة وان العذرة لا تطهر غيرها فلم تطمعين
في تطييب غيرك وانت غير طيبة في نفسك لو عرفت حق المعرفة لظننت ان الناس ما يصيبهم
بلاء الا بشومك ويحك قد جعلك نفسك حمارا لابليس تقودك الى حيث يريد ويسخر بك ومع هذا
فتعجبين بعملك وفيها من الآفات ما لو نجوت منها راسا براس لربحت وكيف تعجبين بعملك مع كثرة
خطاياك وقد لعن الله ابليس بخطيئة واحدة بعد ان عبد الله مايتي الف سنة واخذه واخرج آدم من
الجنة بخطيئة واحدة مع كونه نبيه وصفيه ويحك انشتغلين مع هذه الخطايا بعمارة دنياك
كانك غير مرتحلة عنها اما تنظرين الى اهل القبور كانوا قد جمعوا كثيرا وبنوا شديدا واملوا بعيدا

فاصبح جمعهم بورا وبنيانهم قبورا وآمالهم غرورا اما لك بهم عبرة اما لك اليهم نظرة اتظنين انهم ادعوا الى الآخرة
وانت من الخالدين هيهات هيهات ما انت الا في هدم عمرك منذ سقطت من بطن امك فابني
على ظهر الارض قصرك فان بطنها عن قليل قبرك اما تخافين اذا بلغت النفس منك التراقي ان
تبدو لك رسل ربك منحدرة اليك بسواد الالوان وكلح الوجوه بيشرى العذاب فهل ينفعك حينئذ
الندم او يقبل منك الحزن او يرحم منك البكاء والعجب كل العجب منك انك مع هذا تدعين البصيرة
والفطنة ومن فطنتك انك تفرحين كل يوم بزيادة مالك ولا تحزنين بنقصان عمرك وما نفع مال
يزيد وعمر ينتقص تعرضين عن الآخرة وهي مقبلة عليك وتقبلين على الدنيا وهي معرضة عنك فكم من
مستقبل يوما لم يستكمله ومؤمل لغد لم يبلغه وانت تشاهدين ذلك في اخوانك واقاربك
وجيرانك وتزيني تحشرهم عند الموت ثم لا ترجعين عن جهالتك فاحذري يا مسكينة يوما آلى
الله فيه على نفسه الا يترك فيه عبدا امره في الدنيا ونهاها حتى يسأله عن عمله دقيقه وجليله
سره وعلانيته فانظري باي بدن تقفين بين يديه وباي لسان تجيبين واعدي للسؤال
جوابا وللجواب صوابا واعملي بقية عمرك في ايام قصار لايام طوال وفي دار زوال لدار مقامة وفي
دار حزن ونصب لدار نعيم وخلود اعملي قبل ان لا تعملي اخرجي من الدنيا اختيارا خروج الاحرار
قبل ان تخرجي منها على الاضطرار ولا تفرحي بما يساعدك من زهرات الدنيا فرب مسرور
مغبون ورب مغبون لا يشعر فويل لمن له الويل ثم لا يشعر يضحك ويأكل ويشرب ويلهو وقد
حق له في كتاب الله انه من وقود النار فليكن نظرك يا نفس الى الدنيا اعتبارا وسعيك لها
اضطرارا ورفضك لها اختيارا وطلبك للآخرة ابتدارا ولا تكوني ممن يعجز عن شكر ما اوتي ويبتغي
الزيادة فيما بقي وينهى الناس ولا ينتهي واعلمي انه ليس للدين عوض ولا للايمان بدل ولا للجسد
خلف ومن كانت مطيته الليل والنهار فانه يسار به وان لم يسر فاتعظي يا نفس بهذه الموعظة
واقبلي هذه النصيحة فان من اعرض عن الموعظة فقد رضي بالنار وما اراك بها راضية ولا لهذه
الموعظة واعية فان كانت القساوة تمنعك عن قبول الموعظة فاستعيني عليها بدوام التهجد
والقيام فان لم تزل فبالمواظبة على الصيام فان لم تزل فبقلة المخالطة والكلام فان لم تزل فبصلة
الارحام واللطف بالايتام فان لم تزل فاعلمي ان الله قد طبع على قلبك واقفل عليه وانه قد تراكمت
ظلمة الذنوب على ظاهرك وباطنك فوطني نفسك على النار فقد خلق الله الجنة وخلق لها اهلا
وخلق النار وخلق لها اهلا وكل ميسر لما خلق له فان لم يبق فيك مجال للوعظ فاقنطي من نفسك

والقنوط كبيرة من الكبائر نعوذ بالله منها فلا سبيل لك الى القنوط ولا سبيل لك الى الرجاء
مع انسداد طرق الخير عليك فان ذلك اغترار وليس برجاء، فانظري الآن هل يأخذك حزن على
هذه المصيبة التي ابتليت بها وهل تسمح عينيك بدمعة رحمة منك على نفسك فان سمحت
فستسقى الدمع من بحر الرحمة فقد بقي فيك موضع الرجاء، فواظبي على النياحة والبكاء، واستغيثي
بارحم الراحمين واشتكي الى اكرم الاكرمين وادمني الاستغاثة ولا تملي طول الشكاية لعله ان يرحم
ضعفك ويغيثك فان مصيبتك قد عظمت وبليتك قد تفاقمت وتماديك قد طال وقد
وقد انقطعت منك الحيل وزاحت عنك العلل فلا مذهب ولا مطلب ولا مستغاث ولا مهرب
ولا منجا ولا ملجا، الا الى مولاك فافزعي اليه بالتضرع واخشعي في تضرعك على قدر عظم
جهلك وكثرة ذنوبك لانه يرحم المتضرع الذليل ويغيث الطالب المتلهف ويجيب دعوة المضطر وقد اصبحت
اليه مضطرة والى رحمة الله محتاجة وقد ضاقت بك السبل انسدت عليك الطرق وانقطعت
عنك الحيل ولم تنجع فيك العظات ولم يكسرك التوبيخ فالمطلوب منه كريم والمسؤول جواد والمستغاث
به بر رؤوف والرحمة واسعة والكرم فائض والعفو شامل وقولي يا ارحم الراحمين يا رحمن يا رحيم
يا حليم يا عظيم يا كريم انا المذنب المصر انا الجريء الذي لا اقلع انا المتمادي الذي لا استحيي
هذا مقام المسكين والبائس الفقير والضعيف الحقير والهالك الغريق فعجل اغاثتي وفرجي
وارني آثار رحمتك واذقني برد عفوك ومغفرتك وارزقني قوة عصمتك يا ارحم الراحمين
اقتداء بابيك آدم صلوات الله عليه فقد قال وهب بن منبه لما اهبط الله عز وجل آدم الى
الارض من الجنة مكث لا يرقا له دمعة فاطلع الله عز وجل عليه في اليوم السابع وهو محزون
كظيم منكس راسه فاوحى الله اليه يا آدم ما هذا الجهل الذي ارى بك قال يا رب عظمت مصيبتي
واحاطت بي خطيئتي واخرجت من ملكوت ربي فصرت في دار الهوان بعد الكرامة وفي دار
الشقاء بعد السعادة وفي دار النصب بعد الراحة وفي دار البلاء بعد العافية وفي دار الزوال
بعد القرار وفي دار الموت والفناء بعد الخلود والبقاء فكيف لا ابكي على خطيئتي فاوحى الله
تعالى اليه يا آدم الم اصطفك لنفسي واحللتك داري وخصصتك بكرامتي وحذرتك سخطي
الم اخلقك بيدي ونفخت فيك من روحي واسجدت لك ملائكتي فعصيت امري ونسيت عهدي
وتعرضت لسخطي فوعزتي لو ملأت الارض رجالا كلهم مثلك يعبدوني ويسبحوني ثم عصوني
لانزلتهم منازل العاصين فبكى آدم عند ذلك ثلثمائة عام وكان عبد الله البجلي كثير البكاء،

يقول وبكائه طول ليله الهي انا الذي كلما طال عمري زادت ذنوبي انا الذي كلما هممت بترك
خطيئة عرضت لي شهوة اخري واعبداه خطيئة لم تبل صاحبتها خطيئة اخري واعبداه
ان كانت النار لك مقيلا واعبداه ان كانت المقامع لراسك تهيئا واعبداه قضيت حاجة
الطالبين ولعل حاجتك لا تقضي وقال منصور بن عمار رضه سمعت في بعض الليالي بالكوفة
عابدا يناجي ربه وهو يقول يارب وعزتك ما اردت بمعصيتك مخالفتك ولا عصيتك اذ
عصيتك وانا بمكانك جاهل ولا لعقوبتك متعرض ولا لنظرك مستخف ولكن سولت لي نفسي
واعانتني علي ذلك شقوتي وغرني سترك المرخي علي فعصيتك بجهلي وخالفتك بفعلي
فمن عذابك الآن من يستنقذني وبحبلك من اعتصم ان قطعت حبلك عني واسواتاه
من الوقوف بين يديك غدا اذا قيل للمخفين جوزوا وللمثقلين حطوا مع المخفين اجوز ام مع
المثقلين احط ويلي كلما كبرت سني كثرت ذنوبي ويلي كلما طال عمري وكثرت معاصي
فمتي كم اتوب وفي كم اعود اما ان لي ان استحيي من ربي فهذه طرق القوم في مناجاة
مولاهم وفي معاتبة نفوسهم وانما مطلبهم من المناجاة الاسترضاء ومقصدهم من المعاتبة
التنبه والاسترعاء فمن اهمل المعاتبة والمناجاة لم يكن لنفسه مراعيا ويوشك ان لا يكون

الله عنه راضيا والسلم تم كتاب المحاسبة
والمراقبة بعون الله وتوفيقه وصلي الله علي
نبيه محمد وآله وعترته واتباعه واصحابه

م

كتاب التفكر

وهو الكتاب التاسع من ربع المنجيات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله الذي لم يقدر لانتها عزته نحوا ولا قطرا ولم يجعل لمرتقى اقدام الاوهام ومرمى سهام
الافهام الى حمى عظمته مجرى بل ترك قلوب الطالبين في بيدا كبريائه والهة حيرى كلما
كلما اهتزت لنيل مطلوبها ردتها سبحات الجلال قسرا واذا همت بالانصراف ايسة نوديت
من سرادقات الجمال صبرا صبرا ثم قيل لها اجيلي في ذل العبودية منك فكرا لانك لو تفكرت في
جلال الربوبية لم تقدري له قدرا وان طلبت وراء التفكر في صفاتك امرا فانظري في نعم الله
واياديه كيف توالت عليك تترى وجددي لكل نعمة منها ذكرا وشكرا وتاملي في بحار المقادير
كيف فاضت على العالمين خيرا وشرا ونفعا وضرا وعسرا ويسرا وفوزا وخسرا وجبرا وكسرا وطيا
ونشرا وايمانا وكفرا وعرفانا ونكرا وان جاوزت النظر في الافعال الى النظر في الذات
فقد حاولت امرا امرا وخاطرت بنفسك مجاوزة حد طاقة البشر ظلما وجورا فقد انبهرت
العقول دون مبادي اشراقه وانتكصت على اعقابها اضطرارا وقهرا والصلوة على محمد اذ
كان سيد ولد ادم وان كان لم يعد سيادته فخرا صلاة تبقى لنا في عرصات القيمة عدة وذخرا
وعلى اله واصحابه الذين اصبح كل واحد منهم في سماء الدين بدرا ولطوائف المسلمين صدرا
وسلم كثيرا **اما بعد** فقد وردت السنة بان تفكر ساعة خير من عبادة سنة وكثر
الحث في كتاب الله على التدبر والاعتبار والنظر والافتكار ولا يخفى ان الفكر هو مفتاح الانوار
ومبدا الاستبصار وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم واكثر الناس قد عرفوا
فضله ورتبته لكن جهلوا حقيقته وثمرته ومصدره ومورده ومجراه ومسرحه وطريقه وكيفيته
ولم يعلموا انه كيف يتفكر وفيماذا يتفكر ولماذا يتفكر وما الذي يطلب به اهو مراد لعينه
او لثمرة تستفاد منه وان كان لثمرة فما تلك الثمرة اهي من العلوم او من الاحوال او منهما جميعا
وكشف جميع ذلك مهم ونحن نذكر اولا فضيلة التفكر ثم حقيقة التفكر وثمرته ثم مجاري الفكر
ومسارحه ان شاء الله **فضيلة التفكر** قد امر الله تعالى بالتفكر والتدبر في كتابه
العزيز في مواضع لا تحصى واثنى على المتفكرين فقال ويتفكرون في خلق السموات والارض الاية
وقد قال ابن عباس ان قوما تفكروا في الله عز وجل فقال النبي عليه السلم تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا

في الله تعالى فانكم لن تقدروا قدره وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه خرج ذات يوم على قوم
وهم يتفكرون فقال ما لكم لا تتكلمون فقالوا نتفكر في خلق الله قال فكذلك فافعلوا تفكروا
في خلقه ولا تتفكروا فيه فان بهذا المغرب ارضا بيضاء نورها بياضها او بياضها نورها
مسيرة الشمس اربعين يوما بها خلق من خلق الله عز وجل لم يعصوا الله عز وجل طرفة عين
قالوا يا رسول الله فاين الشيطان عنهم قال ما يدرون خلق الشيطان ام لا قالوا من
ولد آدم قال لا يدرون خلق آدم ام لا وعن عطاء قال انطلقت انا وعبيد بن عمير الى عائشة
وبيننا وبينها حجاب فقالت يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا قال قول النبي عليه السلام
زر غبا تزدد حبا قال ابن عمير فاخبرينا باعجب شيء رأيته من رسول الله قال فبكت وقالت
كل امره كان عجبا اتاني في ليلتي حتى مس جلده جلدي ثم قال ذريني اتعبد لربي فقام الى
القربة فتوضأ منها ثم قام يصلي فبكى حتى بل لحيته ثم سجد حتى بل الارض ثم اضطجع على
جنبه حتى اتى بلال يؤذنه بصلوة الصبح فقال يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم
من ذنبك وما تأخر فقال ويحك يا بلال وما يمنعني ان ابكي وقد انزل الله تبارك وتعالى علي في
هذه الليلة ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل الآية ثم قال ويل لمن قرأها
ولم يتفكر فيها فقيل للاوزاعي ما غاية التفكر فيهن قال يقرأهن ويعقلهن وعن محمد بن
واسع ان رجلا من اهل البصرة ركب الى ام ذر بعد موت ابي ذر فسألها عن عبادة ابي ذر
فقالت كان نهاره اجمع في ناحية يتفكر وعن الحسن قال تفكر ساعة خير من قيام ليلة
وعن الفضيل قال الفكر مرآة تريك حسناتك وسيئاتك وقيل لابراهيم انك تطيل الفكرة فقال
الفكرة مخ العقل وكان سفيان بن عيينة كثيرا ما يتمثل ويقول اذا المرء كانت له فكرة
ففي كل شيء له عبرة وعن طاوس قال قال الحواريون لعيسى بن مريم يا روح الله هل على الارض
اليوم مثلك فقال نعم من كان منطقه ذكرا وصمته فكرا ونظره عبرة فانه مثلي وقال الحسن
من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو ومن لم يكن نظره اعتبارا
فهو لهو وفي قول الله عز وجل سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قال امنع
قلوبهم التفكر في امري وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اعطوا اعينكم حظها من العبادة قالوا يا رسول الله وما حظها من العبادة قال النظر في
المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه وعن امرأة تسكن البادية قريبا من مكة

انها قالت لو تطالعت قلوب المتقين بفكرها الى ما قد ذخر في حجب الغيوب من خير الآخرة لم
تصف لهم في الدنيا عيش ولم تقر لهم في الدنيا عين وكان لقمان يطيل الجلوس وحده وكان
يمر به مولاه فيقول يا لقمان انك تديم الجلوس وحدك فلو جلست مع الناس كان انس لك
فيقول لقمان ان طول الوحدة افهم للفكرة وطول الفكرة دليل على طريق الجنة وقال وهب بن
منبه ما كان فكر امرئ قط الا علم وما علم امرؤ قط الا عمل وقال عمر بن عبد العزيز الفكرة في
نعم الله عز وجل من افضل العبادة وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله يوما لسهل بن علي وراه
ساكنا متفكرا اين بلغت قال الصراط وقال بشر لو تفكر الناس في عظمة الله ما عصوا الله عز وجل
وعن ابن عباس ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة بلا قلب وبينا ابو شريح يمشي
اذ جلس فتقنع بكسائه فجعل يبكي فقلنا ما يبكيك قال تفكرت في ذهاب عمري وقلة عملي
واقتراب اجلي وقال ابو سليمان عودوا اعينكم البكاء وقلوبكم التفكر وقال ابو سليمان
الفكر في الدنيا حجاب عن الآخرة وعقوبة لاهل الولاية والفكر في الآخرة يورث الحكمة
ويحيي القلوب وقال حاتم من العبرة يزيد العلم ومن الذكر يزيد الحب ومن التفكر يزيد الخوف
وقال ابن عباس التفكر في الخير يدعوا الي العمل به والندم علي الشر يدعوا الي تركه ويروي
ان الله عز وجل قال في بعض كتبه اني لست اقبل كلام كل حكيم ولكن انظر الى همه وهواه
فاذا كان همه وهواه الي جعلت صمته تفكرا وكلامه حمدا وان لم يتكلم وقال الحسن ان
اهل العقل لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر وبالفكر على الذكر حتى استنطقوا قلوبهم
فنطقت بالحكمة وقال اسحق بن خلف كان داود الطائي رحمه الله على سطح في ليلة قمراء فتفكر
في ملكوت السموات والارض وهو ينظر الى السماء ويبكي حتى وقع في دار جار له قال فوثب
صاحب الدار من فراشه عريانا وبيده سيف وظن انه لص فلما نظر الي داود رجع ووضع
السيف وقال من ذا الذي طرحك من السطح قال ما شعرت بذلك وقال الجنيد اشرف
المجالس واعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد والتنسم بنسيم المعرفة والشرب
بكاس المحبة من بحر الوداد والنظر بحسن الظن بالله عز وجل ثم قال يا لها من مجالس ما اجلها
ومن شراب ما الذه طوبى لمن رزقه وقال الشافعي رحمه الله استعينوا على الكلام بالصمت وعلى
الاستنباط بالفكرة وقال ايضا صحة النظر في الامور نجاة من الغرور والعزم في الراي سلامة
من التفريط والندم والروية والفكر يكشفان عن الحزم والفطنة ومشاورة الحكماء ثبات

في اليقين وقوة في البصيرة فتفكر قبل ان تعزم وتدبر قبل ان تهجم وشاور قبل ان تقدم وقال ايضا الفضائل اربعة احديها الحكمة وقوامها الفكرة والثاني العفة وقوامها في الشهوة والثالث القوة وقوامها في الغضب والرابع العدل وقوامه في اعتدال قوى النفس فهذه اقاويل العلماء في الفكرة وما شرع احد منهم في ذكر حقيقته وبيان مجاريه بيان حقيقة الفكر وثمرته اعلم ان معنى الفكر هو احضار معرفتين في القلب ليستثمر منها معرفة ثالثة ومثاله ان من مال الى العاجلة وآثر الحيوة الدنيا واراد ان يعرف ان الآخرة اولى بالايثار من العاجلة فله طريقان احدهما ان يسمع من غيره ان الآخرة اولى بالايثار فيقلده ويصدقه من غير بصيرة بحقيقة الامر فيميل بعمله الى ايثار الآخرة اعتمادا على مجرد قوله وهذا يسمى تقليدا ولا يسمى معرفة والطريق الثاني ان يعرف ان الابقى اولى بالايثار ثم يعرف ان الآخرة ابقى فيحصل له من هاتين المعرفتين معرفة ثالثة وهو ان الآخرة اولى بالايثار ولا يمكن تحقق المعرفة بان الآخرة اولى بالايثار الا بالمعرفتين السابقتين فاحضار المعرفتين السابقتين في القلب للتوصل به الى المعرفة الثالثة تسمى فكرا واعتبارا وتذكرا ونظرا وتاملا وتدبرا اما التدبر والتامل والتفكر فعبارات مترادفة على معنى واحد وليس تحتها معاني مختلفة واما اسم التذكر والاعتبار والنظر فهي مختلفة المعاني وان كان اصل المسمى واحدا كما ان اسم الصارم والمهند والسيف يرد على شيء واحد ولكن باعتبارات مختلفة فالصارم يدل السيف من حيث هو قاطع والمهند يدل عليه من حيث نسبته الى موضعه والسيف يدل دلالة مطلقة من غير اشعار بهذه الزوايد فكذلك الاعتبار ينطلق على احضار المعرفتين من حيث انه يعبر منهما الى معرفة ثالثة فان لم يقع العبور ولم يكن الا الوقوف على المعرفتين فينطلق عليه اسم التذكر لا اسم الاعتبار واما النظر والتفكر فيقع عليه من حيث ان فيه طلب معرفة ثالثة فمن ليس يطلب المعرفة الثالثة لا يسمى ناظرا فكل متفكر فهو متذكر وليس كل متذكر متفكرا وفايدة التذكار تكرار المعارف على القلب لترسخ وتثبت ولا تنمحي عن القلب وفايدة التفكر تكثير العلوم واستجلاب معرفة ليست حاصلة فهذا هو الفرق بين التذكر والتفكر والمعارف اذا اجتمعت في القلب وازدوجت على ترتيب مخصوص اثمرت معرفة اخرى فالمعرفة نتاج المعرفة فاذا حصلت معرفة اخرى وازدوجت مع معرفة اخرى حصل منه نتاج آخر وهكذا يتمادى النتاج ويتمادى العلوم ويتمادى الفكر الى غير نهاية وانما ينسد طريق زيادة المعارف بالموت او العوايق هذا لمن يقدر على استثمار العلوم ويهتدي الى طريق التفكر واما اكثر الناس فانما منعوا الزيادة في العلوم لفقدهم راس المال وهو المعارف

التي منها يستثمر العلوم كالذي لابضاعة له فانه لايقدر على الربح وقد يملك البضاعة ولكن لا يحسن
صنعة التجارة فلا يربح وكذلك قد يكون معه من المعارف ما هو راس مال العلوم ولكنه ليس يحسن
استعمالها وتاليفها وايقاع الازدواج المفضي الى النتاج فيها ومعرفة طريق الاستعمال والاستثمار
تارة يكون بنور الهي في القلب يحصل بالفطرة كما كان الانبياء صلوات الله عليهم وذلك عزيز جدا
وقد يكون بالتعليم والممارسة وهو الاكثر ثم المتفكر قد يحضر هذه المعارف ويحصل له الثمرة وهو
لا يشعر بكيفية حصوله ولا يقدر على التعبير عنه لقلة ممارسته لصناعة التعبير والايراد فكم من انسان
يعلم ان الآخرة اولى بالايثار علما حقيقيا ولو سئل عن سبب معرفته لم يقدر على ايراده والتعبير
عنه مع انه لم يحصل معرفته الا عن المعرفتين السابقتين وهو ان الابقى اولى بالايثار وان الآخرة
ابقى من الدنيا فيحصل له معرفة ثالثة وهو ان الآخرة اولى بالايثار فرجع حاصل حقيقة التفكر
الى احضار معرفتين للتوصل بهما الى معرفة ثالثة واما ثمرة الفكرة فهي العلوم والاحوال والاعمال
ولكن ثمرته الخاصة العلم لا غير نعم اذا حصل العلم في القلب تغير حال القلب واذا تغير
حال القلب تغيرت اعمال الجوارح فالعمل تابع الحال والحال تابع العلم والعلم تابع الفكر فالفكر
اذا هو المبدا والمفتاح للخيرات كلها وهذا هو الذي يكشف لك عن فضيلة التفكر وانه خير من
الذكر والتذكر لان الفكر ذكر وزيادة وذكر القلب خير من عمل الجوارح بل شرف العمل لما فيه من
الذكر فاذن التفكر افضل من جملة الاعمال ولذلك قيل تفكر ساعة خير من عبادة سنة فقيل هو
الذي ينقل من المكاره الى المحاب ومن الرغبة والحرص الى الزهد والقناعة وقيل هو الذي
يحدث مشاهدة وتقوى ولذلك قال تعالى لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا وان اردت ان
تفهم كيفية تغير الحال بالفكر فمثاله ما ذكرناه من امر الآخرة فان الفكر فيه يعرفنا ان الآخرة اولى
بالايثار فاذا رسخت هذه المعرفة يقينا في قلوبنا تغيرت القلوب الى الرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا
وهذا ما عنيناه بالحال اذ كان حال القلب قبل هذه المعرفة حب العاجلة والميل اليها والنفرة
عن الآخرة وقلة الرغبة فيها وبهذه المعرفة تغير حال القلب وتبدلت ارادته ورغبته ثم اثمر
تغير الارادة اعمال الجوارح في اطراح الدنيا والاقبال على اعمال الآخرة فههنا خمس درجات اولها التذكر
وهو احضار المعرفتين في القلب وثانيها التفكر وهو طلب المعرفة المقصودة منهما والثالث حصول
المعرفة المطلوبة واستنارة القلب بها والرابعة تغير حال القلب عما كان بسبب حصول نور المعرفة
والخامسة خدمة الجوارح للقلب بحسب ما يتجدد له من الحال وكما يضرب الحجر على الحديد فيخرج منه

نار يستضئ به الموضع فيصير العين مبصرا بعد ان لم يبصر وينهض الاعضاء للعمل فكذلك زناد نور
المعرفة هو الفكر فيجمع بين المعرفتين كما يجمع بين الحجر والحديد ويؤلف بينهما تاليفا مخصوصا كما يضرب الحجر
على الحديد ضربا مخصوصا فينبعث نورا مخصوصا كما ينبعث النار من الحديد ويتغير القلب بسبب هذا
النور حتى يميل الى ما لم يكن يميل اليه كما يتغير البصر بنور النار ويرى ما لم يكن يراه ثم ينهض الاعضاء
للعمل بمقتضى حال القلب كما ينهض العاجز عن العمل بسبب الظلمة للعمل عند ادراك البصر ما لم يكن
يبصره فاذن ثمرة الفكر العلوم والاحوال والعلوم لا نهاية لها والاحوال التي يتصور ان يتقلب على
القلب لا يمكن حصرها فلهذا لو اراد مريد ان يحصر فنون الفكر ومجاريه وانه فيماذا يتفكر لم يقدر
عليه لان مجاري الفكر غير محصورة وثمراته غير محصورة نعم نحن نجتهد في ضبط مجاريه بالاضافة الى
مهمات العلوم الدينية وبالاضافة الى الاحوال التي هي مقامات السالكين ويكون ذلك ضبطا جمليا
فان تفصيل ذلك يستدعي شرح العلوم كلها وجملة هذه الكتب كالشرح لبعضها فانها مشتملة على علوم
تلك العلوم مستفادة من افكار مخصوصة فلنشر الى ضبط الجامع فيها فانه يحصل الوثوق على مجاري
الفكر بيان مجاري الفكر اعلم ان الفكر قد يجري في امر يتعلق بالدين وقد يجري فيما يتعلق
بغير الدين وانما غرضنا فيما يتعلق بالدين فلنترك القسم الآخر ونعني بالدين المعاملة التي بين العبد
وبين الرب تعالى فجميع افكار العبد اما ان يتعلق بالعبد وصفاته واحواله واما ان يتعلق
بالمعبود وصفاته وافعاله لا يمكن ان يخرج من هذين القسمين وما يتعلق بالعبد اما ان يكون
نظرا فيما هو محبوب عند الرب عز وجل او يكون نظرا فيما هو مكروه عنده تعالى ولا حاجة الى
الفكر في غير هذين القسمين وما يتعلق بالرب اما ان يكون نظرا في ذاته وصفاته واسمائه
الحسنى واما ان يكون نظرا في افعاله وملكه وملكوته وجميع ما في السموات والارض وما بينهما
وينكشف لك انحصار الفكر في هذه الاقسام بمثال وهو ان حال السائرين الى الله والمشتاقين
الى لقائه يضاهي حال العشاق فلنتخذ العاشق المستهتر مثالا لنا فنقول العاشق المستغرق
الهم بعشقه لا يعدو فكره من ان يتعلق بمعشوقه او يتعلق بنفسه فان تفكر في معشوقه
فاما ان يتفكر في جماله وحسن صورته في ذاته ليتنعم بالتفكر فيه وبمشاهدته واما ان
يتفكر في افعاله اللطيفة الحسنة الدالة على اخلاقه وصفاته ليكون ذلك مضعفا للذته ومقويا
لمحبته وان تفكر في نفسه فيكون فكره في صفاته التي تسقطه من عين محبوبه حتى يتنزه عنها
او في الصفات التي تقربه منه وتحببه اليه حتى يتصف بها فان تفكر في شيء خارج من هذه الاقسا

فذلك خارج عن حد العشق وهو نقصان فيه لان العشق التام الكامل ما يستغرق العاشق ويستوفي
القلب حتى لا يترك فيه متسعا لغيره فحب الله تعالى ينبغي ان يكون كذلك ولا يعدو نظره وتفكره محبوبه
ومهما كان تفكره محصورا في هذه الاقسام الاربعة لم يكن خارجا عن مقتضى المحبة اصلا فلنبدأ
بالقسم الاول وهو تفكره في صفات نفسه وافعال نفسه ليميز المحبوب منها عن المكروه فان
هذا الفكر هو الذي يتعلق بعلم المعاملة الذي هو مقصود هذا الكتاب واما القسم الآخر
فيتعلق بعلم المكاشفة ثم كل واحد مما هو مكروه عند الله او محبوب ينقسم الى ظاهر كالطاعات
والمعاصي والى باطن كالصفات المنجيات والمهلكات التي محلها القلب ذكرنا تفصيلها
في ربع المهلكات والمنجيات والطاعات والمعاصي ينقسم الى ما يتعلق بالاعضاء السبعة والى
ما ينسب الى جميع البدن كالفرار من الزحف عن صف القتال وعقوق الوالدين والسكون في
المسكن الحرام ويجب في كل واحد من المكاره التفكر في ثلثة امور الاول التفكر في انه هل هو مكروه
عند الله ام لا فرب شيء لا يظهر كونه مكروها بل يدرك بدقيق النظر والثاني التفكر في انه ان كان
مكروها فما طريق الاحتراز عنه والثالث ان هذا المذكور المكروه هل هو متصف به في الحال فيتركه
او هو متعرض له في الاستقبال فيحترز عنه او قارفه فيما مضى من الاحوال فيحتاج الى تداركه وكذلك
كل واحد من المحبوبات ينقسم هذه الاقسام فاذا جمعت هذه الاقسام زادت مجاري
الفكر في هذه الاقسام على مائة والعبد مدفوع الى التفكر اما في جميعها او في اكثرها وشرح
آحاد هذه الاقسام يطول ولكن انحصر هذا القسم يعني علم المعاملة في اربعة انواع الطاعات
والمعاصي والصفات المهلكات والصفات المنجيات فلنذكر في كل نوع مثالا ليقيس
المريد سايرها وينفتح له باب الفكر ويتسع عليه طريقه النوع الاول المعاصي ينبغي ان يفتش
العبد صبيحة كل يوم جميع اعضائه السبعة تفصيلا ثم بدنه على الجملة هل هو في الحال ملابس
لمعصية فيتركها او لابسها بالامس فيتداركها بالترك والندم او هو متعرض لها في نهاره
فيستعد للاحتراز والتباعد عنها فينظر في اللسان ويقول انه متعرض للغيبة والكذب
وتزكية النفس والاستهزاء والمماراة والممازحة والخوض فيما لا يعني الى غير ذلك من المكاره
فيقرر اولا في نفسه انها مكروهة عند الله ويتفكر في شواهد القرآن والسنة على شدة
العذاب فيها ثم يتفكر في احواله انه كيف يتعرض لها من حيث لا يشعر ثم يتفكر انه كيف

تكلم بما يكرهه الله او يضع حجرة في فيه اذا جالس غيره حتى يكون ذلك مذكرا له فهكذا تكون الفكر
في حيلة الاحتراز ويتفكر في سمعه انه يصغي الي الغيبة والكذب وفضول الكلام والي اللهو
والبدعة وان ذلك انما يسمعه من زيد وعمرو وانه كيف ينبغي ان يحترز عنهم بالاعتزال وبالنهي
عن المنكر مهما سمع ذلك ويتفكر في بطنه انه انما يعصي الله فيه بالاكل والشرب اما بكثرة
الاكل من الحلال فان ذلك مكروه عند الله ومقوي للشهوة التي هي سلاح الشيطان عدو الله
واما باكل الحرام او الشبهة فينظر من اين مطعمه وملبسه ومسكنه وما يكسبه ويتفكر في طرق
الحلال ومداخله ثم يتفكر في وجوه الحيلة في الاكتساب منه والاحتراز من الحرام ويقدر
علي نفسه ان العبادات كلها ضايعة مع اكل الحرام وان اكل الحلال هو اساس العبادات
كلها وان الله لا يقبل صلاة عبد في ثمن ثوبه درهم حرام كما ورد به الخبر فهكذا يتفكر في اعضا
ففي هذا القدر كفاية عن الاستقصاء فمهما حصل بالفكر حقيقة المعرفة بهذه الاحوال
اشتغل بالمراقبة طول النهار حتى يحفظ الاعضاء عنها واما النوع الثاني وهو الطاعات
فينظر اولا في الفرايض المكتوبة عليه انه كيف يؤديها وكيف يحرسها عن النقصان والتقصير
او كيف يجبر نقصانها بكثرة النوافل ثم يرجع الي عضو عضو فيتفكر في الافعال التي تتعلق بها
يحبه الله فيقول مثلا ان العين خلقت للنظر في ملكوت السموات والارض عبرة ولتستعمل في
طاعة الله وينظر في كتاب الله وسنة رسوله وانا قادر علي ان اشغل العين بمطالعة القرآن
والسنة فلم لا افعله وانا قادر علي ان انظر الي فلان المطيع بعين التعظيم فادخل السرور
علي قلبه وانظر الي فلان الفاسق بعين الازراء فازجره بذلك عن معصيته فلم لا افعله وكذلك
يقول في سمعه اني قادر علي استماع كلام ملهوف او استماع حكمة وعلم او استماع قراءة وذكر فما لي
اعطله وقد انعم الله تعالي علي واودعنيه لاشكره فما لي اكفر نعمة الله فيه بتضييعه وتعطيله
وكذلك يتفكر في اللسان ويقول اني قادر علي ان اتقرب الي الله بالتعليم وبالوعظ وبالتودد الي
قلوب اهل الصلاح وبالسؤال عن احوال الفقراء وادخال السرور علي قلب زيد الصالح وعمرو العالم
بكلمة طيبة فانها صدقة وكذلك يتفكر في ماله فيقول انا قادر علي ان اتصدق بالمال الفلاني
فاني مستغني عنه ومهما احتجت اليه رزقني الله مثله وان كنت محتاجا الان فانا الي ثواب الايثار
احوج مني الي ذلك المال وهكذا يفتش عن اعضائه وجملة بدنه وامواله بل عن دوابه وغلمانه
واولاده فان كل ذلك ادواته واسبابه ويقدر علي ان يطيع الله تعالي بها فيستنبط بدقيق الفكر

وجوه الطاعات الممكنة بها ويتفكر فيما يرغبه في البدار الى تلك الطاعات ويتفكر في اخلاص
النية فيها ويطلب لها مظان الاستحقاق حتى يزكوا بها عمله وقس على هذا ساير الطاعات
واما النوع الثالث وهي الصفات المهلكة التي محلها القلب فيعرفها مما ذكرناه في ربع المهلكات
وهو استيلاء الشهوة والغضب والبخل والكبر والعجب والريا والحسد وسوء الظن والغفلة
والغرور وغير ذلك ويتفقد من قلبه هذه الصفات فان ظن ان قلبه متنزه عنها فيتفكر
في كيفية امتحانه وبالاستشهاد بالعلامات عليه فان النفس ابدا تعد بالخيرات من نفسها
وتكذب فاذا ادعت التواضع والبراءة من الكبر فينبغي ان تجرب بحمل حزمة حطب في السوق كما
كان الاولون يجربون به انفسهم واذا ادعت الحلم تعرض لغضب يناله من غيره ثم تجربه في كظم
الغيظ وكذلك في ساير الصفات وهذا تفكر في انه هل هو موصوف بالصفة المكروهة ام لا
ولها علامات ذكرناها في ربع المهلكات فاذا دلت العلامة على وجودها فكر في الاسباب التي
تقبح في تلك الصفات عنده وتبين ان منشاها من الجهل والغفلة وخبث الدخلة كما لو راى
في نفسه عجبا بالعمل فيتفكر ويقول انما عملي ببدني وجارحتي وبقدرتي وارادتي وكل ذلك
ليس مني ولا الي وانما هو من خلق الله وفضله علي فهو الذي خلقني وخلق جارحتي وخلق قدرتي
وارادتي وهو الذي خلق حركة اعضائي بقدرته وقدرتي وارادتي فكيف اعجب بعملي وبنفسي ولا
قوام لنفسي بنفسي واذا احس في نفسه بالكبر قرر على نفسه ما فيه من الحماقة ويقول لها لم ترى
نفسك اكبر والكبير من هو كبير عند الله وذلك ينكشف بعد الموت وكم من كافر في الحال يموت مقربا
الى الله بنزوعه عن الكفر وكم من مسلم يموت شقيا بتغير حاله عند الموت بسوء الخاتمة فاذا عرف ان الكبر
مهلك وان اصله الحماقة فيتفكر في علاج ازالته بان يتعاطى افعال المتواضعين واذا وجد في نفسه
شهوة الطعام وشرهه تفكر في ان هذه صفة البهائم ولو كان في شهوة الطعام والوقاع كمال لكان
ذلك من صفات الله وصفات الملائكة كالعلم والقدرة ولما اتصف به البهائم ومهما كان الشره عليه
اغلب كان بالبهائم اشبه وعن الملائكة المقربين ابعد وكذلك يقرر على نفسه في الغضب ثم يتفكر في
طريق العلاج وكل ذلك ذكرناه في هذه الكتب فمن يريد ان يتسع له طريق الفكر فلا بد له من تحصيل
ما في هذه الكتب واما النوع الرابع وهو المنجيات فهو التوبة والندم على الذنوب والصبر على البلاء والشكر
على النعماء والخوف والرجاء والزهد في الدنيا والاخلاص والصدق في الطاعات ومحبة الله وتعظيمه
والرضى بافعاله والشوق اليه والخشوع والتواضع اليه وكل ذلك ذكرناه في هذا الربع وذكرنا اسبابه وعلاماتها

فليتفكر العبد كل يوم في قلبه ما الذي يقربه من هذه الصفات التي هي المقربة الى الله تع فاذا اشعر
الى شي منها فليعلم انها احوال لا يثمرها الا علوم وان العلوم لا يثمرها الا افكار فاذا اراد ان يكتسب
لنفسه حال التوبة والندم فليفتش ذنوبه اولا وليتفكر فيها وليجمعها على نفسه وليعظمها في قلبه ثم
لينظر في الوعيد والتشديد الذي ورد في الشرع فيه وليحقق عند نفسه انه متعرض لمقت الله حتى
ينبعث له حال الندم واذا اراد ان يستثير من قلبه حال الشكر فلينظر في احسان الله اليه واياديه عليه
وفي ارساله جميل ستره عليه على ما شرحنا بعضه في كتاب الشكر فليطالع ذلك فاذا اراد حال المحبة
والشوق فليتفكر في جلال الله وجماله وعظمته وكبريائه وذلك بالنظر في عجايب حكمته وبدايع صنعه
كما سنشير الى طرف منه في القسم الثاني من التفكر واذا اراد حال الخوف فلينظر اولا في ذنوبه
الظاهرة والباطنة ثم لينظر في الموت وسكراته ثم فيما بعده من سوال منكر ونكير وعذاب القبر وحياته
وعقاربه وديدانه ثم في هول النداء عند نفخة الصور ثم في هول المحشر عند جميع الخلايق على صعيد
واحد ثم في المناقشة في الحساب والمضايقة في النقير والقطمير ثم في الصراط وحدته ودقته
ثم في خطر الامر عنده انه يصرف الى الشمال فيكون من اصحاب النار او يصرف الى اليمين وينزل دار القرار
ثم ليحضر بعد اهوال القيمة في قلبه صورة جهنم ودركاتها ومقامعها واهوالها وسلاسلها واغلالها
وزقومها وصديدها وانواع العذاب فيها وقبح صورة الزبانية الموكلين بها وانه كلما نضجت جلودهم بدلوا
جلودا غيرها وانهم كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وانهم اذا راوها من مكان بعيد سمعوا لها
تغيظا وزفيرا وهلم جرا الى جميع ما ورد في القرآن من شرحها واذا اراد ان يستجلب حال الرجا فلينظر
الى الجنة ونعيمها واشجارها وانهارها وحورها وولدانها ونعيمها المقيم وملكها الدايم فهكذا طريق
الفكر الذي يطلب به العلوم التي تثمر اجتلاب احوال محبوبة والتنزه عن صفات مذمومة وقد ذكرنا
في كل واحد من هذه الاحوال كتابا مفردا يستعان به على تفصيل الفكر اما بذكر مجاريه ولا يوجد فيه
انفع من قراءة القرآن بالتفكر فانه جامع لجميع المقامات والاحوال وفيه شفاء للعالمين ففيها ما يورث
الخوف والرجاء والصبر والشكر والمحبة والشوق وساير الاحوال وفيها ما يزجر عن ساير الصفات
المذمومة فينبغي ان يقراها العبد ويردد الآية التي هو محتاج الى التفكر فيها مرة بعد اخرى ولو مائة
مرة فقراءة آية بتفكر وفهم خير من ختمة بغير تدبر وليتوقف في التامل فيها ولو ليلة واحدة فان تحت
كل كلمة منها اسرارا لا تنحصر لا يوقف عليها الا بدقيق فكر عن صفاء القلب بعد صدق المعاملة وكذلك
مطالعة اخبار رسول الله فقد اوتي جوامع الكلم وكل كلمة من كلماته بحر من بحور الحكمة ولو تامله

العالم حتى تأمله لم ينقطع فيه نظره طول عمره وشرح احاد الآيات والاخبار يطول فانظر الى قوله عليه السلم
ان روح القدس نفث في روعي احبب من احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل
ما شئت فانك مجزي به فان هذه الكلمات جامعة لحكم الاولين والآخرين وهي كافية للمتاملين فيها
طول العمر اذ لو وقفوا على معانيها وغلبت على قلوبهم غلبة يقين لاستغرقتهم ولحال بينهم وبين التلفت
الى الدنيا بالكلية فهذا هو طريق الفكر في علوم المعاملة وصفات العبد من حيث هي محبوبة عند الله او
مكروهة والمبتدي ينبغي ان يكون مستغرق الوقت في هذه الافكار حتى يعمر قلبه بالاخلاق المحمودة
والمقامات الشريفة وينزه باطنه عن المكاره وليعلم ان هذا مع انه افضل من سائر العبادات فليس هو
غاية المطلب بل المشغول به محجوب عن مطلب الصديقين وهو التنعم بالفكر في جلال الله وجماله
واستغراق القلب بحيث يفنى عن نفسه اي ينسى نفسه واحواله ومقاماته وصفاته فيكون مستغرق
الهم بالمحبوب كالعاشق المستهتر عند لقاء الحبيب فانه لا يتفرغ للنظر في احوال نفسه واوصافه
بل يبقى كالمبهوت الغافل عن نفسه وهو منتهى لذة العشاق فاما ما ذكرناه فهو تفكر في عمارة الباطن
ليصلح للقرب والوصال فاذا ضيع جميع عمره في اصلاح نفسه فمتى يتنعم بالقرب ولذلك كان الخواص
يدور في البوادي فلقيه الحسين بن منصور وقال له فيم انت فقال ادور في البوادي اصحح حالي في
التوكل فقال افنيت عمرك في عمران باطنك فاين الفناء في التوحيد فالفناء في الواحد الحق هو غاية
مقصد الطالبين ومنتهى نعيم الصديقين واما التنزه عن الصفات المهلكات يجري مجرى الخروج
عن العدة في النكاح واما الاتصاف بالصفات المنجيات وسائر الطاعات يجري مجرى تهيئة المرأة جهازها
وتنظيفها وجهها ومشطها شعرها لتصلح بذلك للقاء زوجها فان استغرقت جميع عمرها في تبرئة
الرحم وتزيين الوجه كان ذلك حجابا لها عن لقاء المحبوب فهكذا ينبغي ان تفهم طريق الدين ان كنت
من اهل المجالسة وان كنت كالعبد السوء لا يتحرك الا خوفا من الضرب وطمعا في الاجر فدونك واتعاب
البدن بالاعمال الظاهرة فان بينك وبين القلب حجابا كثيفا فاذا قضيت حق الاعمال كنت من اهل
الجنة ولكن للمجالسة قوم آخرون واذا عرفت مجال الفكر في علوم المعاملة التي بين العبد وبين ربه
فينبغي ان تتخذ ذلك عادتك وديدنك صباحا ومساء فلا تغفل عن نفسك وعن صفاتك المبعدة عن
الله واحوالك المقربة اليه بل كل مريد فينبغي ان يكون له جريدة يثبت فيها جملة الصفات المهلكات
وجملة الصفات المنجيات وجملة المعاصي والطاعات ويعرض نفسه عليها كل يوم ويكفيه من المهلكات
النظر في عشرة فانه ان سلم منها سلم من غيرها وهي البخل والكبر والعجب والرياء والحسد وشدة الغضب

وشره الطعام وشره الوقاع وحب المال وحب الجاه ومن المنجيات عشرة الندم على الذنوب
والصبر على البلاء والرضا بالقضاء والشكر على النعماء واعتدال الخوف والرجاء والزهد في الدنيا
والاخلاص في الاعمال وحسن الخلق مع الخلق وحب الله والخشوع له فهذه عشرون خصلة عشرة
مذمومة وعشرة محمودة فمهما كفي من المذمومات واحد منها فخط عليها في جريدته ويدع الفكر
فيها ويشكر الله على كفايته اياها وتنزيهه قلبه منها ويعلم ان ذلك لم يتم الا بتوفيق الله وعونه
ولو وكله الى نفسه لم يقدر على محو اقل الرذائل عن نفسه فيقبل على التسعة الباقية وهكذا
يفعل حتى يخط على الجميع وكذلك يطالب نفسه بالاتصاف بالمنجيات فاذا اتصف بواحدة منها
كالتوبة والندم مثلا خط عليها واشتغل بالباقي وهذا يحتاج اليه المريد المتشمر واما اكثر
الناس المعدودين من الصالحين فينبغي ان يثبتوا في جرائدهم المعاصي الظاهرة كاكل الشبهة
واطلاق اللسان بالغيبة والنميمة والمراء والثناء على النفس والافراط في معاداة الاعداء وموالاة
الاولياء والمداهنة مع الخلق في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان اكثر من يعد نفسه من وجوه
الصالحين لا ينفك عن جملة من هذه المعاصي في جوارحه وما لم يطهر الجوارح عن الآثام لا يمكن
الاشتغال بعمارة القلب وتطهيره بل كل فريق من الناس يغلب عليهم نوع من المعصية فينبغي
ان يكون تفقدهم لها وتفكرهم فيها لا في معاص هو بمعزل منها مثاله العالم الورع فانه لا
يخلو في غالب الامر عن اظهاره نفسه بالعلم وطلب الشهرة والصيت وانتشار الصيت اما بالتدريس
او بالوعظ ومن فعل ذلك تصدى لفتنة عظيمة لا يخلو منها الا الصديقون فانه ان كان كلامه
مقبولا حسن الوقع في القلوب لم ينفك عن الاعجاب والخيلاء والتزين والتصنع وذلك من المهلكات
وان رد كلامه لم يخل عن انفة وغيظ وحقد على من رده اكثر من غيظه على من يرد كلام غيره
وقد يلبس الشيطان عليه ويقول ان غيظك من انه حيث رد الحق وانكره فان وجد تفرقة بين
ان يرد عليه كلامه او يرد على عالم آخر فهو مغرور وضحكة للشيطان ثم مهما كان له ارتياح بالقبول
وفرح بالثناء واستنكاف من الرد والاعراض لم يخل عن تكلف وحسن لتحسين اللفظ والايراد
حرصا على استجلاب الثناء والله لا يحب المتكلفين والشيطان قد يلبس عليه ويقول انما حرصك
على تحسين الالفاظ والتكلف فيها لنشر الحق وحسن موقعه في القلوب اعلاء لدين الله فان
كان فرحه بحسن الفاظه وثناء الناس عليه اكثر من فرحه بثناء الناس على واحد من اقرانه
فهو مخدوع وانما يدندن حول طلب الجاه وهو يظن ان مطلبه الدين ومهما اختلج ضميره بهذه

الصفات ظهر على ظاهره ذلك حتى يكون للموقر له والمعتقد لفضله اكثر احتراما ويكون بلقائه اشد
استبشارا ممن يغلو في موالاة غيره وان كان ذلك الغير مستحقا للموالاة وربما ينتهي الامر باهل العلم
الى ان يتغايرون تغاير النساء فيشق على احدهم ان يختلف بعض تلامذته الى غيره وان كان يعلم انه
منتفع بغيره ومستفيد منه في دينه وكل هذا رشح الصفات المهلكات المستكنة في سر القلب التي
قد يظن العالم النجاة منها وهو مغرور فيها وانما ينكشف ذلك بهذه العلامات ففتنة العالم عظيمة
وهو اما مالك واما هالك ولا مطمع له في سلامة العوام فمن احس في نفسه بهذه الصفات فالواجب
عليه الانفراد والعزلة وطلب الخمول والمدافعة للفتاوي مهما سئل فقد كان المسجد في زمن الصحابة
يحوي جمعا من اصحاب رسول الله عليه كلهم مفتون وكانوا يتدافعون الفتوى وكل من كان
يفتي كان يود ان يكفيه غيره وعند هذا ينبغي ان يتقي شياطين الانس اذا قالوا لا تفعل هذا
فان هذا الباب لو فتح لاندرست العلوم من بين الخلق وليقل لهم ان دين الاسلام مستغن عني
فقد كان معمورا قبلي وكذلك يكون بعدي ولو مت لم ينهدم اركان الاسلام والدين مستغن عني
وما انا مستغن عن اصلاح قلبي واما اداء ذلك الى اندراس العلم فخيال يدل على غاية الجهل فان
الناس لو حبسوا في السجن وقيدوا بالقيود وتوعدوا بالنار على طلب العلم لكان حب العلو
والرياسة يحملهم على كسر القيود وهدم حيطان الحصون والخروج منها والاشتغال بطلب العلم
فالعلم لا يندرس ما دام الشيطان يحبب الى الخلق الرياسة والشيطان لا يفتر عن عمله الى يوم القيمة
بل ينتهض لنشره اقوام لا نصيب لهم في الآخرة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليؤيد هذا
الدين باقوام لا خلاق لهم وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ولا ينبغي ان يغتر العالم بهذه
التلبيسات فيشتغل بمخالطة الخلق حتى يتربى في قلبه حب الجاه والثناء والتعظيم فان
ذلك بذر النفاق قال عليه السلم حب الجاه والمال ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء
البقل وقال عليه السلم ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا منهما من حب
الجاه والمال في دين المرء المسلم ولا ينقلع حب الجاه من القلب الا بالاعتزال عن الناس
والهرب عن مخالطتهم وترك كل ما يزيد جاهه في قلوبهم فليكن فكر العالم في التفطن لخفايا
هذه الصفات من قلبه وفي استنباط طريق الخلاص منه وهذه وظيفة العالم المتقي
واما امثالنا فينبغي ان يكون فكرنا فيما تقوى ايماننا بيوم الحساب اذ لو رآنا السلف الصالحون
لقالوا قطعا ان هؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب فما اعمالنا اعمال من يؤمن بالجنة والنار

فان من خاف شيا هرب منه ومن رجا شيا طلبه وقد علمنا ان الهرب من النار بترك الشبهات
والحرام وبترك المعاصي ونحن منهمكون فيها وان طلب الجنة بتكثير نوافل الطاعات ونحن مقصرون
في الفرايض منها فلم يحصل لنا من ثمرة العلم الا انه يقتدي بنا في الحرص علي الدنيا والتكالب
عليها ويقال لو كان هذا مذموما لكان العلماء اولي باجتنابه منا فليتنا كنا كالعوام اذا متنا
ماتت معنا ذنوبنا فما اعظم الفتنة التي تعرضنا لها لو تفكرنا فنسال الله تع ان يصلحنا ويصلح
بنا ويوفقنا للتوبة قبل ان يتوفانا انه الكريم اللطيف بنا المنعم علينا فهذه مجاري افكار
العلماء والصالحين في علم المعاملة فان فرغوا منها انقطع التفاتهم عن انفسهم وارتقوا منها الي
التفكر في جلال الله وعظمته والتنعم بمشاهدته بعين القلب ولا يتم ذلك الا بعد الانفكاك
من جميع المهلكات والاتصاف بجميع المنجيات وان ظهر شي منه قبل ذلك كان مدخولا مكدرا
منقطعا وكان ضعيفا كالبرق الخاطف لا يثبت ولا يدوم ويكون كالعاشق الذي خلا بمعشوقه
ولكن تحت ثيابه عقارب تلدغه مرة بعد اخري فينغص عليه لذة المشاهدة فلا طريق له في
كمال التنعم الا باخراج العقارب من ثيابه وهذه الصفات المذمومة عقارب وحيات
وهي موذيات ومشوشات وفي القبر يزيد المها لدغها علي لدغ العقارب والحيات فهذا القدر
كاف في التنبيه علي مجاري فكر العبد في صفات نفسه المحبوبة والمكروهة عند ربه القسم
الثاني الفكر في جلال الله وعظمته وكبريايه وفيه مقامان مقام الاعلي الفكر في ذاته وصفاته
ومعاني اسمايه وهذا مما منع منه حيث قيل تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في ذات الله وذلك
لان العقول تتحير فيه فلا يطيق مد البصر اليه الا الصديقون ثم لا يطيقون دوام النظر بل
ساير الخلق احوال ابصارهم بالاضافة الي جلال الله كحال بصر الخفاش بالاضافة الي الشمس
فانه لا يطيقه البتة بل يختفي نهارا وانما يتردد ليلا لينظر في بقية نور الشمس اذا وقع علي الارض
واحوال الصديقين كحال الانسان في النظر الي الشمس فانه يقدر علي النظر اليه ولكن لا يطيق
دوامه ويخشي علي بصره لو ادام النظر ونظر المختطف يورث العمش ويفرق البصر وكذلك النظر
الي ذات الله يورث الحيرة والدهش واضطراب العقل فالصواب اذن الا يتعرض لمجاري الفكر
في ذات الله وصفاته فان اكثر العقول لا تحتمله بل القدر اليسير الذي صرح به بعض العلماء هو ان
الله تع مقدس عن المكان ومنزه عن الاقطار والجهات وانه ليس داخل العالم ولا خارجه
ولا هو متصل بالعالم ولا هو منفصل عنه قد حير عقول اقوام حتي انكروه اذ لم يطيقوا سماعه

ومعرفته بل ضعف طاقته عن احتمال اقل من هذا اذ قيل لهم انه تعالى عن ان يكون له راس ورجل
ويد وعين وعضو وان يكون جسما متحيزا له مقدار وحجم فانكروا هذا وظنوا ان ذلك قدح في
عظمة الله وجلاله حتى قال بعض الحمقى من العوام ان هذا وصف بطيخ هندي لا وصف الاله لظن
المسكين ان الجلالة والعظمة في هذه الاعضاء وهذا لان الانسان لا يعرف الا نفسه وكل ما لا
يساويه في صفاته ولا يفهم العظمة فيه نعم غايته ان يقدر نفسه جميل الصورة جالسا على سرير
وبين يديه غلمان يمتثلون امره ولا جرم غايته ان يقدر ذلك في حق الله وتقدس حتى يفهم العظمة
بل لو كان للذباب عقل وقيل له ليس لخالقك جناحان ولا يد ولا رجل ولا له طيران لانكر ذلك وقال
كيف يكون خالقي انقص مني افيكون مقصوص الجناح او يكون زمنا لا يقدر على الطيران او يكون
لي آلة وقدرة لا يكون له مثلها وهو خالقي ومصوري وعقول اكثر الخلق قريب من هذا العقل وان
الانسان ظلوم جهول كفار ولذلك اوحى الله الى بعض انبيائه لا تخبر عبادي بصفاتي فينكروني
ولكن اخبرهم عني بما يفهمون ولما كان النظر في ذات الله وصفاته خطرا من هذا الوجه اقتضى ادب الشرع
وصلاح الخلق ان لا يتعرض لمجاري الفكر فيه لكنا نعدل الى المقام الثاني وهو النظر في افعاله
وعجائب صنعه وبدائع امره في خلقه فانها تدل على جلاله وكبريائه وتقدسه وتعاليه ويدل على كمال
علمه وحكمته وعلى نفاذ مشيته وقدرته فننظر الى صفاته من آثار صفاته فانا
لا نطيق النظر الى صفاته كما انا لا نطيق النظر الى الشمس ونطيق النظر الى الارض مهما استنارت
بنور الشمس ونستدل به على عظم نور الشمس بالاضافة الى نور القمر وسائر الكواكب لان نور
الارض من آثار نور الشمس والنظر في الاثر يدل على المؤثر دلالة ما وان كان لا يقوم مقام
النظر في عين المؤثر وجميع موجودات الدنيا اثر من آثار قدرة الله ونور من انواره بل لا ظلمة
اشد من العدم ولا نور اظهر من الوجود ووجود الاشياء كلها نور من انوار ذاته تعالى وتقدس
اذ قوام وجود الاشياء بذاته القيوم بنفسه كما ان قوام نور الاجسام بنور الشمس المضيئة بنفسها
ومهما انكسف بعض الشمس جرت العادة بان يوضع طشت ماء حتى ترى الشمس فيه ويمكن النظر
اليها فيكون الماء واسطة يغض قليلا من نور الشمس حتى يطاق النظر اليه فكذلك الافعال
واسطة نشاهد فيها صفات الفاعل ولا تبهرنا انوار الذات بعد ان تباعدنا عنها بواسطة
الافعال فهذا سر قوله عليه السلام تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في ذات الله **بيان كيفية
التفكر في خلق الله تعالى** اعلم ان كل ما في الوجود مما سوى الله فهو فعل الله وخلقه وكل ذرة من

الذوات من جوهر وعرض وصفة وموصوف فنيها عجايب وغرايب تظهر بها حكمة الله وقدرته وجلاله
وعظمته واحصاء ذلك غير ممكن لانه لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد
عشر عشير ذلك ولكنا نشير الي جمل منه ليكون ذلك كالمثال لما عداه فنقول الموجودات
المخلوقة منقسمة الي ما لا يعرف اصلها ولا يمكننا التفكر فيها وكم من الموجودات التي لا نعلمها كما
قال تعالي سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون وقال وننشئكم
فيما لا تعلمون والي ما يعرف اصلها وجملتها ولا نعرف تفصيلها فيمكننا ان نتفكر في تفصيلها
وهي منقسمة الي ما ادركناه بحس البصر والي ما لا ندركه بالبصر اما الذي لا ندركه بالبصر فكالملايكة والجن
والشياطين والعرش والكرسي وغيرها ومجال الفكر فيه مما يغمض ويضيق فليعدل الي الاقرب
الي الافهام وهي المدركات بحس البصر وذلك هي السموات السبع والارض وما بينهما فالسموات مشاهدة
بكواكبها وشمسها وقمرها وحركتها ودورانها في طلوعها وغروبها والارض مشاهدة بما فيها من جبالها
ومعادنها وانهارها وبحارها وحيوانها ونباتها وما بين السماء والارض وهو الجو مدرك بغيومها
وامطارها وثلوجها ورعدها وبرقها وصواعقها وشهبها وعواصف رياحها فهذه هي الاجناس
المشاهدة من السموات والارض وما بينهما وكل جنس منها ينقسم الي انواع وكل نوع ينقسم الي اقسام
ويتشعب كل قسم الي اصناف ولا نهاية لانشعاب ذلك وانقسامها في اختلاف صفاتها
وهياتها ومعانيها الظاهرة والباطنة وجميع ذلك مجال الفكر ولا يتحرك ذرة في السموات والارض
من جماد ونبات وحيوان وفلك وكوكب الا ومحركها هو الله تع وفي حركتها حكمة او حكمتان او عشر
او الف حكمة كل ذلك شاهد لله بالوحدانية ودال على جلاله وكبريائه وهي الآيات الدالة عليه وقد
ورد القرآن بالحث علي التفكر في هذه الآيات كما قال ان في اختلاف الليل والنهار لآيات وكما قال
ومن آياته من اول القرآن الي آخر فلنذكر كيفية التفكر في بعض الآيات فمن آياته الانسان المخلوق
من النطفة واقرب شي اليك نفسك وفيك من العجايب الدالة علي عظمة الله ما تنقضي الاعمار في الوقوف
علي عشر عشيرها وانت غافل عنه فيا من هو غافل عن نفسه وجاهل به كيف تطمع في معرفة غيرك وقد امرك
الله تعالي بالتدبر في نفسك في كتابه العزيز فقال وفي انفسكم افلا تبصرون واذكر انك مخلوق من نطفة
قذرة فقال قتل الانسان ما اكفره من اي شي خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته
فاقبره ثم اذا شاء انشره وقال ومن آياته ان خلقكم من تراب الآية وقال الم يك نطفة من مني يمني
ثم كان علقة فخلق فسوي وقال الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه نطفة في قرار مكين وقال اولم

بر الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وقال انا خلقنا الانسان من نطفة
امشاج ثم ذكر كيف جعل النطفة علقة والعلقة مضغة والمضغة عظاما فقال تعالى ولقد
خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين الاية فتكرير ذكر النطفة
في الكتاب العزيز ليس لان يسمع لفظه ويترك التفكر في معناه فانظر الان الى النطفة وهي قطرة
من الماء قذرة لو تركت ساعة ليضربها الهواء افسدت وانظر كيف اخرجها رب الارباب من بين
الصلب والترائب وكيف جمع بين الذكر والانثى والقى الالفة والمحبة في قلوبهم وكيف قادهم
بسلسلة المحبة والشهوة الى الاجتماع وكيف استخرج النطفة عن الرجل بحركة الوقاع وكيف
استجلب دم الحيض من اعماق العروق وجمعها في الارحام ثم كيف خلق المولود من النطفة وسقاه
بماء الحيض وغذاه حتى نما وربا وكبر وكيف جعل النطفة وهي بيضاء مشرقة علقة حمراء ثم كيف
جعلها مضغة ثم كيف قسم اجزاء النطفة وهي متشابهة متساوية الى العظام والاعصاب
والعروق والاوتار واللحم ثم كيف ركب من اللحوم والاعصاب والعروق والاعضاء الظاهرة
فدور الراس وشق السمع والبصر والانف والفم وساير المنافذ ثم مد اليد والرجل وقسم رؤسها
بالاصابع وقسم الاصابع بالانامل ثم كيف ركب الاعضاء الباطنة من القلب والمعدة والكبد والطحال
والرية والرحم والمثانة والامعاء كل واحد على شكل مخصوص ومقدار مخصوص لعمل مخصوص
ثم كيف قسم كل عضو من هذه الاعضاء باقسام اخر فركب العين من سبع طبقات لكل طبقة
وصف مخصوص وهيئة مخصوصة لو فقدت طبقة منها او زالت صفة من صفاتها تعطلت
العين عن الابصار فلو ذهبنا نصف شرح ما في آحاد هذه الاعضاء من الآيات والعجائب
لانقضى فيه الاعمار فانظر الان الى العظام وهي اجسام قوية صلبة كيف خلقها من نطفة
سخيفة رقيقة ثم جعلها قواما للبدن وعمادا له ثم قدرها بمقادير مختلفة واشكال مختلفة
فمنه صغير وكبير وطويل ومستدير ومجوف ومصمت وعريض ودقيق ولما كان الانسان
محتاجا الى الحركة بجملة بدنه وببعض اعضائه للتردد في حاجاته لم يجعل عظمه عظما واحدا
بل عظاما كثيرة بينها مفاصل حتى تتيسر بها الحركة وقدر شكل كل واحد منها على وفق الحركة
المطلوبة بها ثم وصل مفاصلها وربط بعضها بالبعض باوتار انبتها من احد طرفي العظم
والصق بالطرف الآخر كالرباط له ثم خلق في احد طرفي العظم زوايد خارجة منها وفي الاخرى
حفرا غايصة فيها موافقة لشكل الزوايد لتدخل فيها وتنطبق عليها فصار العبد ان اراد ان

يحرك جزوا من يدير لم يمتنع عليه ولولا المفاصل لتعذر عليه ذلك ثم انظر كيف خلق عظام الراس
وكيف جمعها وركبها وقد ركبها من خمسة وخمسين عظما مختلفة الاشكال والصور والف بعضها
الي بعض بحيث استوى به كرة الراس كما يراه فمنها ستة تخص القحف واربعة عشر للحي الاعلى
واثنان للحي الاسفل والبقيه هي الاسنان بعضها عريضة تصلح للطحن وبعضها حادة تصلح
للقطع وهي الانياب والاضراس والثنايا ثم جعل الرقبة مركبا للراس وركبها من سبع خرزات
مجوفات مستديرات فيها تحويفات وزيادات ونقصانات لينطبق بعضها على البعض ويطول
ذكر وجه الحكمة فيها ثم ركب الرقبة على الظهر وركب الظهر من اسفل الرقبه الي منتهى عظم
العجز من اربع وعشرين خرزة وركب عظم العجز من ثلثة اجزاء مختلفة ويتصل به من اسفله عظم
العصعص وهو ايضا مؤلف من ثلثة اجزاء ثم وصل عظام الظهر بعظام الصدر وعظام
الكتف وعظام اليدين وعظام العجز ثم عظام الفخذين والساقين واصابع الرجلين ولا يطول
بذكر عدده ومجموع عدد العظام في بدن الانسان مائتي عظم وثمانيه واربعين عظما سوى
العظام الصغيرة التي حشيت بها خلل المفاصل وانظر كيف خلق جميع ذلك من نطفه سخيفه
رقيقه وليس المقصود من ذكر اعداد العظام ان يعرف عددها فان هذا علم قريب يعرفه الاطبا
والمشرحون وانما الغرض ان ينظر منها في مدبرها وخالقها انه كيف قدرها ودبرها وخالف
بين اشكالها واقدارها وخصصها بهذا العدد المخصوص لانه لو زاد عليها واحدا لكان وبالا على
الانسان يحتاج الي قلعه ولو نقص منها واحدا لكان نقصانا يحتاج الجبر والطبيب ينظر
فيها ليعرف وجه العلاج في جبرها واهل البصاير ينظرون فيها ليستدلوا بها على جلاله
خالقها ومصورها فشتان بين النظرين ثم انظر كيف خلق الله الآلات لتحريك العظام وهي العضلات
فخلق في بدن الانسان خمسمايه عضلة وتسع وعشرون عضلة والعضلة هي مركبة من لحم
وعصب ورباط واغشية وهي مختلفة المقادير والاشكال بحسب اختلاف مواضعها وحاجاتها
فاربعة وعشرون عضلة منها هي لتحريك حدقة العين واجفانها لو نقصت واحدة من جملتها
اختل امر العين وهكذا لكل عضو عضلات بعدد مخصوص وقدر مخصوص وامر الاعصاب
والعروق والاوردة والشرايين وعددها ومنابتها وانشعاباتها اعجب من هذا كله وشرحه
يطول فالتفكر مجال في آحاد هذه الاجزاء ثم في آحاد الاعضاء ثم في جملة البدن وكل ذلك
نظر الي عجايب اجسام البدن وعجايب المعاني والصفات التي لا يدرك بالحواس اعظم فانظر

الآن الى ظاهر الانسان وباطنه والى بدنه وصفاته ليرى فيها من الصنعة ما تنقضي به العجب
وكل ذلك صنع الله في نطفة ما قذرة فترى من هذا صنعه في قطرة ما فما صنعه في ملكوت السموات
وكواكبها وما حكمته في اوضاعها واشكالها ومقاديرها واعدادها واجتماع بعضها وتفرق
بعضها واختلاف صورها وتفاوت مشارقها ومغاربها فلا تظنن ان ذرة من ملكوت
السموات ينفك عن حكمة وحكم بل هي احكم خلقا واتقن صنعا واجمع للعجايب من بدن الانسان
بل لا نسبة لجميع ما في الارض الى عجايب السموات ولذلك قال تعالى ءانتم اشد خلقا ام السما
بنيها فارجع الآن الى النطفة وتامل حالها اولا وما صارت اليه ثانيا وتامل انه لو اجتمع الجن
والانس على ان يخلقوا للنطفة سمعا او بصرا او عقلا او قدرة او علما او روحا او يخلقوا فيها
عظما او عرقا او عصبا او جلدا او شعرا هل يقدرون عليها بل لو ارادوا ان يعرفوا كنه
حقيقته وكيفية خلقته بعد ان خلق الله ذلك لعجزوا عنه فالعجب منك لو نظرت الى صورة
انسان مصورة على حايط تانق النقاش في تصويرها حتى قرب من صورة الانسان وقال
الناظر اليه كانه انسان عظم تعجبك من صنعة النقاش وحذقه وخفة يده وتمام فطنته
وعظم في قلبك محله مع انك تعلم ان تلك الصورة انما تمت بالصبغ والقلم وبالحايط وباليد
وبالقدرة والعلم والارادة وشي من ذلك ليس من فعل النقاش ولا خلقه بل هو من خلق
غيره وانما منتهى فعله الجمع بين الصبغ والحايط على ترتيب مخصوص فيكثر تعجبك منه وتستعظمه
وانت ترى النطفة القذرة كانت معدومة فخلقها خالقها في الاصلاب والترايب ثم اخرجها
منها وشكلها فاحسن تشكيلها وقدرها فاحسن تقديرها وتصويرها وقسم اجزاها المتشابهة
الى اجزا مختلفة فاحكم العظام في ارجايها وحسن اشكال اعضايها وزين ظاهرها وباطنها
ورتب عروقها واعصابها وجعلها مجرى لغذايها ليكون ذلك سبب بقايها وجعلها سميعا
بصيرا عالما ناطقا وخلق لها الظهر اساسا لبدنها والبطن حاويا لالات غذايها والراس
جامعا لحواسها ففتح العين ورتب طبقاتها واحسن شكلها ولونها وهيآتها ثم حماها بالاجفان
لتسترها وتحفظها وتصقلها وتدفع الاقذا عنها ثم اظهر في مقدار عدسة منها صورة السموات
مع اتساع اكنافها وتباعد اقطارها فهو ينظر اليها ثم شق اذنيه واودعهما ماء مرا ليحفظ سمعها
ويدفع الهوام عنها وحوطها بصدفة الاذن لتجمع الصوت فترده الى صماخها ولتحس بدبيب
الهوام اليها وجعل فيها تحريفات واعوجاجات لتكثر حركة ما يدب فيها ويطول طريقها

فينتبه عن النوم صاحبها اذا قصدها الدابة في يوم ثم رفع الانف من وسط الوجه واحسن شكله
وفتح منخره واودع فيها حاسة الشم ليستدل باستنشاق الروايح على مطاعمه واغذيته و
وليستنشق بمنفذ المنخرين روح الهواء غذاء لقلبه وترويحا لحرارة باطنه وفتح الفم واودعه اللسان
ناطقا وترجمانا ومعربا عما في القلب وزين الفم بالاسنان ولتكون آلة للطحن والكسر والقطع
فاحكم اصولها وحدد روسها وبيض لونها ورتب صفوفها متساوية الروس متناسبة الترتيب
كانها الدر المنظوم وخلق الشفتين وحسن لونها وشكلها لتطبق على الفم فتسد منفذه
وليتم بهما حروف الكلام ثم خلق الحنجرة وهياها لخروج الاصوات وخلق للسان قدرة الحركات
والتقطيعات ليقطع الصوت في مجاري مختلفة يختلف بها الحروف ليتسع طريق النطق بكثرتها
ثم خلق الحناجر مختلفة الاشكال في الضيق والسعة والخشونة والملاسة وصلابة الجوهر
ورخاوته والطول والقصر حتى اختلف بسببها الاصوات ولايتشابه صوتان بل يظهر بين كل صوتين
فرقانا حتى يميز السامع بعض الناس عن بعض بمجرد الصوت في الظلمة ثم زين الراس بالشعور والاصداغ
وزين الوجه باللحية والحاجبين وزين الحاجبين برقة الشعر واستقواس الشكل وزين العينين
بالاهداب ثم خلق الاعضاء الباطنة وسخر كل واحد لفعل مخصوص فسخر المعدة لنضج الغذاء والكبد
لاحالة الغذاء الى الدم والطحال والمرارة والكلية لخدمة الكبد فالطحال يخدمه بجذب السوداء عنه
والمرارة تخدمه بجذب الصفراء عنه والكلية تخدمه بجذب الماء منه والمثانة تخدم الكلية بقبول الماء
عنه ثم تخرج في طريق الاحليل والعروق تخدم الكبد في ايصال الدم الى ساير اطراف البدن ثم خلق
اليدين وطولهما لتمتد الى المقاصد وعرض الكف وقسم الاصابع الخمس وقسم كل اصبع بثلث انامل
ووضع الاربعة في جانب والابهام في جانب لتدور الابهام على الجميع ولو اجتمع الاولون والآخرون
على ان يستنبطوا بدقيق الفكر وجها آخر في وضع الاصابع سوى ما وضع عليه من بعد الابهام عن الاربعة
وتفاوت الاربعة في الطول وترتيبها في صف واحد لم يقدروا عليه اذ بهذا الترتيب اصلح للقبض
والاعطاء فان بسطها كان له طبقا يضع عليه ما يريد وان جمعها كانت آلة للصوت وان ضمها ضما غير
تام كانت مغرفة له وان بسطها وضم اصابعها كانت مجرفة له ثم خلق الاظفار على روسها زينة للانامل
وعمادا لها من ورائها حتى لاتنقطع وليلتقط بها الاشياء الدقيقة التي لاتتناولها الانامل وليحك بها بدنه
عند الحاجة فالظفر الذي هو اخس الاعضاء لو عدمه الانسان وظهر به حكة لكان اعجز الخلق واضعفهم
ولم يقم احد مقامه في حك بدنه ثم هدى اليد الى موضع الحك حتى تمتد اليه ولو في النوم والغفلة من

غير حاجة الى طلب ولو استعان ببصير لم يعثر على موضع الحك الا بعد تعب طويل ثم خلق هذا كله من النطفه
وهي في جوف الرحم في ظلمات ثلثه ولو كشف الغطا والغشا وامتد النظر اليه لكان يرى التخطيط
والتصوير يظهر عليها شيا شيا ولا يرى المصور ولا آلته فهل رايت مصورا او فاعلا لا يمس آلته ولا يلاقيه
وهو يتصرف فيه فسبحانه ما اعظم شانه واظهر برهانه ثم انظر مع كمال قدرته الى تمام رحمته فانه لما
ضاق الرحم عن الصبي لما كبر كيف هداه السبيل حتى تنكس وتحرك وخرج من ذلك المضيق وطلب
المنفذ كانه عاقل بصير بما يحتاج اليه ثم لما خرج واحتاج الى الغذا كيف هداه الى التقام الثدي
ثم لما كان بدنه سخيفا لا يحتمل الاغذية الكثيفة كيف دبر له في خلق اللبن اللطيف واستخرجه من بين
الفرث والدم سايغا خالصا وكيف خلق الثديين وجمع فيهما اللبن وانبت لهما الحلمة على قدر ما ينطبق
عليه فم الصبي ثم فتح في حلمة الثدي ثقبا ضيقة جدا حتى لا يخرج اللبن الا تدريجا فان الطفل لا يطيق
منه الا القليل ثم كيف هداه للامتصاص حتى يستخرج من المضيق اللبن الكثير عند شدة الجوع به
ثم انظر الى عطفه ورافته كيف اخر خلق الاسنان الى تمام الحولين لانه في الحولين لا يتغذى الا باللبن
فيستغني عن السن واذا كبر لم يوافقه اللبن السخيف ويحتاج الى طعام غليظ ويحتاج الطعام الى
المضغ والطحن فانبت له الاسنان عند الحاجة لا قبلها ولا بعدها فسبحانه كيف اخرج تلك العظام
الصلبة من تلك اللثات اللينة ثم حنن قلوب الوالدين عليه للقيام بتدبيره في الوقت الذي كان
عاجزا عن تدبير نفسه فلو لم يسلط الله الرحمة على قلبهما لكان الطفل اعجز الخلق عن تدبير نفسه ثم انظر
كيف رزقه القدرة والتمييز والعقل والهداية تدريجا حتى بلغ وتكامل فصار مراهقا ثم شابا
ثم كهلا ثم شيخا اما كفورا او شكورا او مطيعا او عاصيا او مومنا او كافرا تصديقا لقوله تعالى هل اتى على
الانسان حين من الدهر لم يكن شيا مذكورا الى قوله اما شاكرا واما كفورا فانظر الى اللطف والكرم ثم
الى القدرة والحكمة تبهرك عجايب الحضرة الربوبية فالعجب كل العجب ان يرى خطا حسنا او نقشا
على حايط فيستحسنه فيصرف جميع همه الى التفكر في النقاش والخطاط وانه كيف خطه ونقشه وكيف
اقتدر عليه ولا يزال يستعظمه ويقول ما احذقه وما اكمل صنعته واحسن قدرته ثم ينظر الى هذه
العجايب في نفسه وفي غيره ثم يغفل عن صانعه ومصوره ولا يدهشه عظمته ولا يحيره جلاله وحكمته
فهذه نبذة من عجايب بدنك التي لا يمكن استقصاوها فهو اقرب مجال لفكرك واجلى شاهد على
عظمة خالقك وانت غافل عنها مشغول ببطنك وفرجك لا تعرف من نفسك الا ان تجوع فتاكل
وتشبع فتنام وتشتهي فتجامع وتغضب فتقاتل ويشاركك في معرفة ذلك البهايم والسباع كلها وانما

خاصية الانسان التي حجبت البهايم عنها معرفة الله بالنظر في ملكوت السموات والارض وعجايب
الآفاق والانفس اذ بها يدخل العبد في زمرة الملايكة المقربين ويحشر في زمرة النبيين والصديقين
مقربا من حضرة رب العالمين وليس هذه الرتبة للبهايم ولا للانسان رضي من الدنيا بشهوات البهايم
فانه شر من البهيمة بكثير اذ لا قدرة للبهيمة على ذلك واما هو فقد خلق له القدرة ثم عطلها وكفر نعمة
الله فيها فاولئك كالانعام بل هم اضل سبيلا واذ عرفت طريق التفكر في نفسك فتفكر في الارض
التي هي مقرك ثم في انهارها وبحارها وجبالها ومعادنها ثم ارتفع منها الى ملكوت السما اما الارض
فمن آياته ان خلق الارض فراشا ومهادا وسلك فيها سبلا وجعلها ذلولا يمشوا في مناكبها وجعلها
وقورا لا يتحرك وارسى فيها الجبال اوتادا يمنعها من ان تميد ثم وسع اكنافها حتى عجز الآدميون عن بلوغ
جوانبها وان طالت اعمارهم وكثر تطوافهم وقال تعالى والسما بنيناها بايد وانا لموسعون والارض
فرشناها فنعم الماهدون فقال هو الذي جعل لكم الارض فراشا واكثر في كتابه ذكر الارض ليتفكر
في عجايبها فظهرها مقر للاحيا وبطنها مرقد للاموات ولذلك قال تعالى الم نجعل الارض كفاتا احيا
واموانا فانظر كيف احكم جوانب الارض بالجبال الراسيات والشوامخ الصم الصلاب وكيف اودع
المياه تحتها فتفجر العيون واسال الانهار تجري على وجهها وانما اخرج من الحجارة اليابسة ومن
التراب الكدر ما رقيقا عذبا صافيا زلالا وجعل به كل شي حيا فاخرج بها فنون الاشجار والنبات
من حب وعنب وقضب وزيتون ونخل ورمان وفواكه كثيرة لا تحصى فاذا انزل عليها الما اهتزت
وربت واخضرت وانبتت عجايب النبات وخرجت فيها اصناف الحيوانات ثم انظر الى الارض
وهي منبتة مختلفة الاشكال والالوان والطعوم والصفات والارايح نفضل بعضها على بعض في الاكل
تسقى جميعا بما واحد وتخرج من ارض واحدة فان قلت ان اختلافها لاختلاف بذورها واصولها
فمتى كان في النواة نخلة مطوقة بعناقيد الرطب ومتى كانت في حبة واحدة سبع سنابل في كل سنبلة
مائة حبة ثم انظر الى اراضي البوادي وفتش ظاهرها وباطنها بل تراها ترابا متشابها فاذا انزل
عليها الما اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج الوانا مختلفة ونباتا متشابها وغير متشابه
لكل واحد طعم وريح ولون وشكل ويخالف الاخر فانظر الى كثرتها واختلاف اصنافها وكثرة اشكالها
ثم اختلاف طبايع النبات وكثرة منافعها وكيف اودع العقاقير المنافع الغريبة فهذه النبات
يغذي وهذا يقوي وهذا يحيي وهذا يقتل وهذا يبرد وهذا يسخن وهذا اذا حصل في المعدة
قمع الصفرا وهذا يقمع البلغم والسودا وهذا يستحيل اليه وهذا يستحيل دما وهذا يصفي الدم

وهذا ينوم وهذا ينفع وهذا يقوي وهذا يضعف فلم ينبت في الارض ورقة ولا نبتة الا وفيها
منافع لا تقوى البشر على الوقوف على كنهها وكل واحد يحتاج العلاج في ترتيبها الى عمل مخصوص
والنخيل يوبر والكرم يقطع والزرع ينقى منها الحشيش وبعضها ينبت ببث البذر في الارض
وبعضها بغرس الاغصان وبعضها يركب في الشجر ولو اردنا ان نذكر اختلاف اجناس النبات
ومنافعها واحوالها وعجايبها انقضت الايام في وصفها فيكفيك من كل جنس نبذة يسيرة
تدلك على طريق الفكر فهذه عجايب النبات ومن ايات الجواهر المودعة تحت الجبال والمعادن
الحاصلة من الارض ففي الارض قطع متجاورات مختلفة فانظر الى الجبال كيف يخرج منها الجواهر
النفيسة من الذهب والفضة والفيروزج واللعل وغيرها بعضها منطبعة تحت المطارق
كالذهب والنحاس والرصاص والحديد وبعضها لا ينطرق كالفيروزج واللعل وكيف هدى الله
الناس الى استخراجها وتنقيتها واتخاذ الاواني والالات والنقود والحلي منها ثم انظر الى
معادن الارض من النفط والكبريت والقير وغيرها واقلها الملح ولا يحتاج اليه الا لتطييب الطعام
ولو خلت عنه بلد لتسارع الهلاك اليها فانظر الى رحمة الله كيف خلق بعض الاراضي سبخة
بجوهرها بحيث يجتمع فيه الماء الصافي من المطر فيستحيل ملحا مالحا محرقا لا يمكن ان يتناول
مثقالا منه ليكون ذلك تطييبا لطعامك اذا اكلت فيتهيا عيشك وما من جماد وحيوان
ونبات الا وفيه حكمة وحكم من هذا الجنس ما خلق شيا ضايعا ولا هزلا بل خلق الكل بالحق
وكما ينبغي وعلى ما ينبغي وكما يليق بجلاله وكرمه ولطفه ولذلك قال وما خلقنا السموات والارض
وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ومن اياته اصناف الحيوانات وانقسامها الى
ما يطير والى ما يمشي وانقسام ما يمشي على رجلين والى ما يمشي على اربع وعلى عشر وعلى ماية
كما تشاهد في بعض الديدان ثم انقسامها في المنافع والصور والاشكال والاخلاق والطباع
فانظر الى طيور الجو والى وحوش البر والى البهايم الاهلية ترى فيها من العجايب ما لا تشك
معها في عظمة خالقها وقدرة مقدرها وحكمة مصورها وكيف يمكن ان نستقصي ذلك بل لو
اردنا ان نذكر عجايب البقة والنملة او النحل والعنكبوت وهي من صغار الحيوانات في
بنايها بيتها وفي جمعها غذاها وفي الفها لزوجها وفي ادخارها لنفسها وفي حذقها في هندسة
بيتها وفي هدايتها الى حاجاتها لم نقدر فترى العنكبوت يبني بيتها على طرف نهر فيطلب اولا
موضعين متقاربين بينهما فرجة بمقدار ذراع فما دونه حتى يمكنه ان يصل بالخيط بين طرفيه

ثم يبتدي فيلقي اللعاب الذي هو خيطه على جانب فيلتصق به ثم يعدو الى الجانب الآخر فيحكم الطرف
الآخر من الخيط ثم يحكم كذلك ثانيا وثالثا ويجعل بعد ما بينها متناسبا تناسبا هندسيا حتى اذا
احكم معاقد القمط ورتب الخيوط كاللحمة استغل بالسدى فيضع السدى الى اللحمة ويحكم العقد
على موضع التقاء السدى باللحمة ويرعى في جميع ذلك تناسب الهندسة ويجعل ذلك شبكة يقع فيه
البق والذباب ويقعد في زاوية مترصدا لوقوع الصيد في الشبكة فاذا وقع فيه نادر الى اخذه
واكله فان عجز عن الصيد كذلك طلب لنفسه زاوية من حايط ووصل بين طرفي الزاوية بخيط ثم علق
نفسه منها بخيط آخر وبقي منتكسا في الهواء ينتظر ذبابا يطير فاذا طار ذباب رمى نفسه اليه
واخذه ولف خيطه على رجله واحكمه ثم اكله وما من حيوان صغير ولا كبير الا وفيه من هذه العجايب
ما لا يحصى افترى انه يعلم هذه الصنعة من نفسه او تكون نفسه او كونه آدمي او علمه او لا هادي
له ولا يعلم افيشك ذو بصيرة في انها مسكينة او عاجزة ضعيفة بل الفيل العظيم شخصه الظاهرة
قوته عاجز عن امر نفسه فكيف هذا الحيوان الضعيف افلا يشهد هو بشكله وصورته وحركته وهدايته
وعجايب صنعته لفاطره الحكيم وخالقه القادر العليم فالبصير يرى في هذا الحيوان الصغير
من عظمة الخالق المدبر وجلاله وكمال قدرته وحكمته ما يتحير فيه الالباب والعقول فضلا عن ساير
الحيوانات وهذا الباب ايضا لا حصر له فان الحيوانات واشكالها واخلاقها وطباعها غير محصورة
وانما سقط تعجب الخلق منها لانسهم بكثرة المشاهدة نعم اذا رأى حيوانا غريبا ولو دودا يجدد
تعجبه وقال سبحان الله ما اعجبه والانسان اعجب الحيوانات وليس يتعجب من نفسه بل لو نظر الى
الانعام التي الفها ونظر الى اشكالها وصورها ثم الى منافعها وفوايدها من جلودها واصوافها واوبارها
واشعارها التي جعلها لباسا لخلقه واكنانا لهم في ظعنهم واقامتهم وآنية لاشربتهم واوعية لاغذيتهم
وصوانا لاقدامهم وجعل البانها ولحومها اغذية لهم ثم جعل بعضها زينة للركوب وبعضها حاملة للاثقال
قاطعة للبوادي والمفازات لاكثر الناظر التعجب من حكمة خالقها ومصورها فانه ما خلقها الا
بعلم محيط بجميع منافعها سابق على خلقه اياها فسبحان من الامور مكشوفة في علمه من غير تفكر
ومن غير تأمل وتدبر ومن غير استعانة بوزير او مشير فهو العليم الخبير الحكيم القدير فلقد استخرج
باقل القليل مما خلقه صدق الشهادة من قلوب العارفين بتوحيده فما للخلق الا الاذعان
لقهره وقدرته والاعتراف بربوبيته والاقرار بالعجز عن معرفة جلاله وعظمته فمن الذي يحصى
ثناء عليه بل هو كما اثنى على نفسه وانما غاية معرفتنا الاعتراف بالعجز عن معرفته فنسأل الله تعالى

ان يكرمنا بهدايته بمنه ورافته ومن آياته البحار العميقه المكتنفه لاقطار الارض التي هي قطع
من البحر الاعظم المحيط بجميع الارض حتى ان جميع المكشوف من البوادي والجبال عن الماء بالاضافة
الي الماء كجزيرة صغيرة في بحر عظيم وبقية الارض مستورة بالماء قال النبي صلى الله عليه وسلم الارض في
البحر كالاصطبل في الارض فانسب اصطبلا الي جميع الارض واعلم ان الارض بالاضافة الي البحر مثله
وقد شاهدت عجايب الارض التي فيها الآن تتامل عجايب البحر فان عجايب ما فيها من الحيوان والجواهر
اضعاف عجايب ما تشاهده علي وجه الارض كما ان سعته اضعاف سعته ولعظم البحر كان فيه من
الحيوانات العظام ما تري ظهورها في الارض فيظن انها جزيرة فنزل الركاب عليها فربما يحس بالنيران
اذا اشتعل فيتحرك فيعلم انه حيوان وما من صنف من اصناف حيوان البر من فرس وطير وبقر
وانسان الا وفي البحر امثالها واضعافها وفيها اجناس لا يعهد لها نظير في البر وقد ذكر اوصافها في
مجلدات وجمعها اقوام عنوا بركوب البحر وجمع عجايبها ثم انظر كيف خلق اللولو ودوره في صدفه تحت
الماء وانظر كيف انبت المرجان من صم الصخور تحت الماء وانما هو نبات على هيئة شجر ينبت من الحجر
ثم تامل ما عداه من العنبر واصناف النفايس التي تقذفها البحر وتستخرج منها ثم انظر الي عجايب السفن
كيف امسكها الله تعالى على وجه الماء وسير فيها التجار وطلاب الاموال وسخر لهم الفلك لتحمل اثقالهم
ثم ارسل الرياح لتسوق السفن ثم عرف الملاحين موارد الرياح ومهابها ومواقيتها ولا تستقصي على الجملة
عجايب صنع الله في البحر في مجلدات واعجب من ذلك كله ما هو اظهر من كل ظاهر وهو كيفية قطرة الماء
وهو جسم لطيف رقيق سيال مشف متصل الاجزا كانه شي واحد لطيف التركيب سريع القبول
للتقطيع كانه منفصل مسخر للتصرف قابل للانفصال والاتصال به حيوة كل ما علي وجه الارض من
حيوان ونبات فلو احتاج العبد الي شربة ماء ومنع لبذل جميع خزاين الدنيا في تحصيلها لو ملكه واذا شربه
فمنع من اخراجه فيبذل جميع خزاين الارض في اخراجه فالعجب من الآدمي يستعظم الدينار والدرهم ونفايس
الجواهر ويغفل عن نعمة الله في شربة ماء اذا احتاج الي شربها او الاستفراغ منها بذل جميع الدنيا فيها فتامل
في عجايب المياه والآبار والانهار والبحار ففيها متسع للفكر ومجال وكل ذلك شواهد متظاهرة وآيات
متناصرة ناطقة بلسان حالها مفصحة عن جلال باريها معربة عن كمال حكمته فيها منادية ارباب القلوب
بنغماتها قايلة لكل ذي لب اما تراني وما تري صورتي وتركيبي وصفاتي ومنافعي واختلاف حالاتي وكثرة
فوايدي انظر اني تكونت بنفسي او خلقني احد من جنسي اوما تستحي تنظر في كلمة مرقومة ثلثة احرف فتقطع
بانه صنعة آدمي عالم قادر مريد متكلم ثم تنظر الي عجايب الخطوط الالهية المرقومة علي صفحات وجهي بالقلم

الالهي الذي لايدركه الابصار ذاته ولاحركته ولا اتصاله بمحل الخط ثم سنبك قلبك عن جلالة صانعه وتقول
النطفة لارباب السمع والقلب لا للذين هم عن السمع لمعزولون توهمني في ظلمة الاحشا مغموسا في دم الحيض
في الوقت الذي يظهر التخطيط والتصوير علي وجهي فنقش النقاش حدقتي واجفاني وجبهتي وخدي وشفتي
فترى النقوش تظهر شيا شيا على التدريج ولاترى داخل النطفة نقاشا ولاخارجها ولا داخل الرحم ولا
خارجها ولاخبر منها لا للام ولا للاب ولا للنطفه ولا للرحم انما هذا النقاش باعجب ممن تشاهده ينقش
بالقلم صورة عجيبة لو نظرت اليها مرة او مرتين لتعلمته فهل يقدر على ان تتعلم هذا الجنس من
النقش الذي يعم ظاهر النطفه وباطنها وجميع اجزايها من غير ملامسة للنطفه ومن غير اتصال بها
لامن داخل ولامن خارج فان كنت لاتتعجب من هذه العجايب ولاتفهم به ان الذي صور ونقش وقدر
لانظير له ولايساويه نقاش ومصور كما ان نقشه وصنعته لايساويه نقش وصنع فبين الفعلين من
المباينة والتباعد مابين الفاعلين وان كنت لاتتعجب من هذا فتعجب من عدم تعجبك فانه اعجب
من كل عجب فان الذي اعمى بصيرتك مع هذا الوضوح ومنعك التبين مع هذا البيان جدير بان تتعجب
منه فسبحان من هدى واضل واغوى وارشد واشقى واسعد وفتح بصاير احبايه فشاهدوه
في جميع ذرات العالم واجزايه واعمى قلوب اعدايه واحتجب عنهم بعزه وعلايه فله الخلق والامر
والامتنان هو التفضل واللطف والقهر لاراد لحكمه ولامعقب لقضايه ومن اياته الهوا اللطيف
المحبوس بين مقعر السماء ومحدب الارض يدرك بحس اللمس عند هبوب الريح جسمه ولايرى بالعين شخصه
وجملته مثل البحر الواحد والطيور محلقة في جو الهوا ومسفة سابحة فيها باجنحتها كما تسبح حيوانات
البحر في الما فيضطرب جوانبه وامواجه عند هبوب الرياح كما يضطرب امواج البحر فاذا حرك الله
الهوا وجعله ريحا هابة فان شا جعله بشرا بين يدي رحمته كما قال وجعلنا الرياح لواقح فيصل بحركته
روح الهوا الي الحيوانات والنبات فتستعد للنما وان شا جعله عذابا على العصاة من خليقته
كما قال انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر الي قوله نخل منقعر ثم انظر الي لطف الهوا ثم شدته
وقوته مهما ضبط في الما فالزق المنفوخ يتحامل عليه الرجل القوى ليغمره في الما فيعجز عنه والحديد الصلب
تضعه علي وجه الما فيرسب فيه فانظر كيف ينقبض الهوا من الما بقوته مع لطافته وبهذه الحكمة
امسك الله السفن على وجه الما وكذلك كل مجوف فيه هوا لايغوص في الما لان الهوا ينقبض عن
الغوص في الما ولاينفصل عن السطح الداخل من السفينة فتبقى السفينة الثقيلة مع ما فيها واقفة
معلقة من الهوا اللطيف كالذي يقع في بير فيتعلق بذيل رجل قوى يمتنع عن الهوي في البير والسفينه

بمنقرها فتتشبث باذيال الهواء فتقوى على ان تمنع من الهوي والغوص في الماء فسبحان من علق المركب الثقيل
من هواء اللطيف من غير علاقة تشاهد وعقدة تشد ثم انظر الى عجايب الجو وما يظهر فيها من الغيوم
والرعود والبروق والامطار والثلوج والشهب والصواعق فهي عجايب ما بين السماء والارض وقد اشار
القرآن الى جملته في قوله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين وهذا هو الذي بينهما واشار
الى تفصيله في مواضع شتى حيث قال والسحاب المسخر بين السماء والارض وحيث يعرض للرعد والبرق
والشهاب والمطر فاذا لم يكن لك حظ من هذه الجملة الا ان ترى المطر بعينك وتسمع الرعد باذنك
والبهيمة تشاركك في هذه المعرفة فارتفع من حضيض عالم البهايم الى عالم الملا الاعلى فقد فتحت
عينك فادركت ظاهرها فغمض عينك الظاهرة وانظر ببصيرتك الباطنة لترى عجايب باطنها وغرايب
اسرارها وهذا ايضا باب يطول الفكر فيه ولا مطمع في استقصائه فتامل السحاب الكثيف المظلم
كيف تراه يجتمع في جو صافي لا كدورة فيه وكيف خلقه الله تعالى اذا شاء ومتى شاء وهو مع رخاوته
حامل للماء الثقيل وممسك في جو السماء له الى ان ياذن الله في ارسال الماء وتقطيع القطرات
كل قطرة بالقدر الذي اراده الله وعلى الشكل الذي شاء فترى السحاب يرش الماء على الارض ويرسل
قطرات متفاصلة لا يدرك قطرة منها قطرة ولا يتصل واحدة باخرى بل ينزل كل واحد في الطريق
الذي رسم لها لا يعدل عنها فلا يتقدم المتاخر ولا يتاخر المتقدم حتى يصيب الارض قطرة قطرة
فلو اجتمع الاولون والاخرون على ان يخلقوا منها قطرة او يعرفوا عدد ما ينزل من السماء في بلدة واحدة
لعجز حساب الجن والانس عنه ولا يعلم عددها الا الذي اوجدها ثم كل قطرة منها عينت لكل جزء
من الارض ولكل حيوان فيها من طير ووحش ودود مكتوب على تلك القطرة بخط الهي لا يدرك بالبصر
الظاهر انه رزق الدود الفلاني الذي هو في ناحية الفلاني يصل اليه عند عطشه في الوقت الفلاني
هذا مع ما في انعقاد البرد الصلب من الماء اللطيف وفي تناثر الثلوج كالقطن المندوف من العجايب
الذي لا يحصى كل ذلك فضل من الجبار القادر وقهر من الخلاق القاهر ما لاحد من الخلق فيه شرك
ومدخل بل ليس للمؤمنين من خلقه الا الاستكانة والخضوع تحت جلاله وعظمته ولا للعميان الجاحدين
الا الجهل بكيفيته ورجم الظنون بذكر سببه وعلته فيقول الجاهل المغرور انما ينزل الماء لانه ثقيل
بطبعه وانما هذا سبب نزوله ويظن ان هذه معرفة انكشفت له ويفرح به ولو قيل له ما معنى الطبع
وما الذي خلقه وما الذي خلق الماء الذي طبعه الثقل وما الذي رقى الماء المصبوب في اسفل الاشجار
الى اعالي الاغصان وهي ثقيلة بطبعها فكيف هوت الى اسفل ثم ارتفعت الى فوق في داخل تجاويف

الاشجار شيا شايعيف لا يري ولا يشاهد حتى ينتشر في جميع اطراف الاوراق فيغذي كل جزو من كل ورق ويجري
اليه في تجاويف عروق شعرية صغار يري منه العرق الذي هو اصل الورق ثم ينبث من ذلك العرق الكبير
الممدود في طول الورق عروق صغار فكان الكبير نهر وما انشعب عنها جداول ثم ينشعب من الجداول
سواقي اصغر منها ثم ينبسط منها خيوط عنكبوتيه دقيقه تخرج عن ادراك البصر حتى تنبسط في جميع عرض
الورق فيصل الما في اجوافها الي ساير اجزاء الورق ليغذيه وينميه ويزينه ويبقي طراوته ونضارته وكذلك
الي ساير اجزاء الفواكه فان كان الما يتحرك بطبعه الي اسفل فكيف يتحرك الي فوق فان كان ذلك بجذب
جاذب فما الذي سخر ذلك الجاذب فان كان ينتهي بالآخرة الي خالق السموات والارض وجبار الملك
والملكوت فلم لا يحال عليه في اول الامر فنهاية الجاهل بداية العاقل ومن آياته ملكوت السموات وما فيها
من الكواكب وهو الامر كله ومن ادرك الكل وفاته عجايب السموات فقد فاته الكل تحقيقا والارض والبحار
والهوا وكل جسم سوي السموات بالاضافة الي السموات كقطرة في بحر واصغر فانظر كيف عظم الله امر
السما والنجوم في كتابه فما من سورة الا وتشتمل على تفخيمه في مواضع وكم من قسم في القرآن كقوله والسما
ذات البروج والسما والطارق وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب وقوله والشمس وضحيها وقوله والنجم
اذا هوي وقوله فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس وقوله فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم
فقد علمت ان عجايب النطفة القذرة عجز عنها الاولون والآخرون وما اقسم الله بها فكيف ظنك بما
اقسم الله بها واحال الارزاق اليه فقال وفي السما رزقكم واثني علي المتفكرين فيه فقال ويتفكرون
في خلق السموات والارض وقال رسول الله ويل لمن قرا هذه الآية ثم مسح بها سبلته اي تجاوزها من غير فكر
وذم المعرضين عنه فقال وجعلنا السما سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون فاي نسبة لجميع البحار
والارض الي السما وهذه متغيرات على القرب والسموات صلاب شداد محفوظات عن التغير الي ان يبلغ
الكتاب اجله ولذلك سماه الله تع محفوظا فقال وجعلنا السما سقفا محفوظا وقال عز بنينا فوقكم سبعا
شدادا وقال اانتم اشد خلقا ام السما بنيها رفع سمكها فسويها فانظر الي الملكوت لتري عجايب العز والجبروت
ولا تظنن ان معنى النظر الي الملكوت بان يمد اليه البصر فيري زرقة السما وضوء الكواكب وتفرقها فان
البهايم تشاركك في هذا النظر فان كان هذا هو المراد فلم مدح الله ابرهيم بقوله وكذلك نري ابرهيم ملكوت
السموات لا بل كل ما يدرك بحاسة البصر فالقرآن يعبر عنه بالملك والشهادة وما غاب عن الابصار فيعبر عنه
بالغيب والملكوت والله عالم الغيب والشهادة وجبار الملك والملكوت ولا يحيط احد بشي من علمه الا بما شا
وهو عالم الغيب ولا يطلع على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فاطل ايها العاقل فكرك في الملكوت فعسى

فتفتح لك ابواب السما فتجول بقلبك في اقطارها الي ان يقوم قلبك بين يدي عرش الرحمن فعند ذلك ربما يرجى لك ان يبلغ رتبة عمر بن الخطاب رضه حيث قال راي قلبي ربي وهذا لان بلوغ الاقصى لا يكون الا بعد مجاوزة الادني وادني شي اليك نفسك ثم الارض التي هي مقرك ثم الهوا المكتنف لك ثم النبات والحيوان وما علي وجه الارض ثم عجايب الجو وهو ما بين السما والارض ثم السموات السبع بكواكبها ثم الكرسي ثم العرش ثم الملايكه الذين هم حملة العرش وخزان السموات ثم منه تجاوزه الي النظر الي رب العرش والكرسي والسموات والارض وما بينهما فبينك وبينه هذه المفاوز العظيمة من المسافات الشاسعة والعقبات الشاهقة وانت بعد لم يفرغ من العقبه القريبة النازلة وهي معرفة ظاهر نفسك ثم كنت تطلق اللسان بوقاحتك وتدعي معرفة ربك وتقول قد عرفته وعرفت خلقه ففي ماذا اتفكر والي ماذا اتطلع فارفع الآن راسك الي السما وانظر فيها وفي كواكبها وفي دورانها وطلوعها وغروبها وشمسها وقمرها واختلاف مشارقها ومغاربها ودوبها في الحركة علي الدوام من غير فتور في حركتها ومن غير تغير في سيرها بل تجري جميعها في منازل مرتبة بحساب مقدر لا يزيد ولا ينقص الي ان يطويها الله طي السجل للكتاب وتدبر عدد كواكبها وكثرتها واختلاف الوانها فبعضها يميل الي الحمرة وبعضها الي البياض وبعضها الي اللون الرصاصي ثم انظر كيفية اشكالها فبعضها علي صورة العقرب وبعضها علي صورة الحمل والثور والانسان فما من صورة في الارض الا ولها مثال في السما ثم انظر الي مسير الشمس في فلكها في مدة سنة ثم هي تطلع كل يوم وتغرب بسير آخر سخرها له خالقها ولولا طلوعها وغروبها لما اختلف الليل والنهار ولم يعرف المواقيت واطبق الظلام علي الدوام او الضيا علي الدوام وكاد لا يتميز وقت المعاش عن وقت الاستراحة فانظر كيف جعل الليل لباسا والنوم سباتا والنهار معاشا وانظر الي ايلاجه الليل في النهار والنهار في الليل وادخاله الزيادة والنقصان عليهما علي ترتيب مخصوص وانظر الي امالة مسير الشمس عن وسط السما حتى اختلف بسببه الصيف والشتا والربيع والخريف فاذا انخفضت من وسط السما بسيرها برد الهوا وظهر الشتا واذا استوت في وسط السما اشتد القيظ واذا كانت فيما بينهما اعتدل الزمان وعجايب السموات لا مطمع في احصا عشر عشير جز من اجزايها وانما هذا تنبيه علي طريق الفكر واعتقد علي الجملة انه ما من كوكب من الكواكب الا ولله تعالي حكم كثيرة في خلقه ثم في مقداره ثم في شكله ثم في لونه ثم في موضعه من السما وقربه من وسط السما وبعده وقربه من الكواكب الذي بجنبه وبعده وقس ذلك بما ذكرناه من اعضا بدنك اذ ما من جز الا وفيها حكمة بل حكم كثيرة وامر السما اعظم بل لا نسبه لعالم الارض الي عالم السما لا في كبر جسمه ولا في كثرة معانيه وقس التفاوت الذي بينهما في كثرة معانيه بما بينهما من التفاوت

في كبر الارض فانت تعرف من كبر الارض واتساع اطرافها انه لا يقدر آدمي على ان يدور جوانبها وقد اتفق
المهندسون على ان الشمس مثل الارض مائة مرة ونيف وستين مرة وفي الاخبار ما يدل على عظمه
والكواكب التي تراها اصغرها هي مثل الارض ثمانية مرات واكبرها ينتهي الى قريب من مائة وعشرين مرة
مثل الارض وبهذا يعرف ارتفاعها وبعدها اذ للبعد صارت ترى صغيرا ولذلك اشار تعالى الى بعدها
فقال رفع سمكها وفي الاخبار ان بين كل سماء الى الاخرى مسيرة خمسمائة عام فاذا كان هذا مقدار كوكب
واحد من الارض فانظر الى كثرة الكواكب ثم انظر الى السماء التي صارت الكواكب مركوزة فيها والى
عظمها ثم انظر الى سرعة حركتها وانت لا تحس بحركتها فضلا من ان يدرك سرعتها لكن لا تشك في انه
في لحظة يسير مقدار عرض كوكب لان الزمان من طلوع اول جزء من كوكب الى تمامه يسير وذلك الكوكب هو
مثل الارض مائة مرة وزيادة ، وقد دار الفلك في هذه اللحظة مثل الارض مائة مرة وهكذا يدور على الدوام
وانت غافل عنه وانظر كيف عبر جبريل عليه السلام عن سرعة حركته اذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم هل
زالت الشمس فقال لا نعم فقال كيف تقول لا نعم فقال من حيث قلت لا الى ان قلت نعم سارت الشمس
مسيرة خمسمائة عام فانظر الى عظم شخصها ثم انظر الى خفة حركتها ثم انظر الى قدرة الفاطر الحكيم كيف
اثبت صورتها مع اتساع اكنافها في حدقة العين مع صغرها حتى تجلس على الارض وتفتح عينك نحوها
فترى جميعها فهذه السماء بعظمها وكثرة كواكبها لا تنظر اليها بل انظر الى ربها كيف خلقها ثم امسكها
من غير عمد ترونها ومن غير علاقة تتدلى بها وكل العالم كبيت واحد والسماء سقفه فالعجب منك انك تدخل
بيت غني فتراه مزوقا بالصبغ مموها بالذهب فلا ينقطع تعجبك عنه ولا تزال تذكره وتصف حسنه طول عمرك
وانت ابدا تنظر الى هذا البيت العظيم والى ارضه والى سقفه والى هوائه والى عجايب امتعته
وغرايب حيواناته وبدايع نقوشه ثم لا تعجب منه ولا يلتفت قلبك اليه فما هذا البيت دون البيت
الذي تصفه بل ذلك البيت ايضا جزء من الارض هي احسن اجزاء هذا البيت ومع هذا فلا تنظر اليه
ليس له سبب الا انه بيت ربك هو الذي انفرد ببنائه وترتيبه وانت قد نسيت نفسك وربك وبيت ربك
واشتغلت ببطنك وفرجك ليس لك هم الا شهوتك ام حشمتك وغاية شهوتك ان تملأ بطنك ولا تقدر
على ان تاكل عشر ما ياكله بهيمة فيكون البهيمة فوقك بعشر درجات وغاية حشمتك ان يقبل عليك
عشرة او مائة من معارفك فينافقون بالسنتهم بين يديك ويضمرون خبائث الاعتقادات عليك وان
صدقوهم في مودتهم اياك فلا يملكون لك ولا لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حيوة ولا نشورا وقد يكون
في بلدك من اغنياء اليهود والنصارى من يزيد جاهه على جاهك وقد اشتغلت بهذا الغرور وغفلت

عن النظر في جمال ملكوت السموات والارض ثم عن التنعم بالنظر الي جلال مالك الملكوت والملك
وما منك ومثل عقلك الاكمل النملة يخرج من جحرها التي حفر في قصر مشيد من قصور الملك
رفيع البنيان حصين الاركان مزين بالجواري والغلمان وانواع الذخاير والنفايس فانها
اذا خرجت من جحرها ولقيت صاحبها لم تحدث لو قدرت علي النطق الا عن بيتها وغذايها وكيفية
ادخارها فاما حال القصر والملك الذي في القصر فهو بمعزل عنها وعن التفكر فيها بل لا قدرة لها
علي المجاوزة بالنظر عن نفسها وغذايها وبيتها الي غيرها وكما غفلت النملة عن القصر وارضها وسقفها
وحيطانها وساير بنيانها وغفل ايضا عن سكانها فانت غافل عن بيت الله وملايكة الذين هم
سكان سمواته فلا يعرف من السما الا ما يعرفه النملة من سقف بيتك ولا تعرف من ملايكة السموات
الا ما يعرفه النملة منك ومن سكان بيتك نعم ليس للنملة طريق الي ان يعرفك ويعرف عجايب
قصرك وبدايع صنعة الصانع فيه واما انت فلك قدرة على ان يجول في الملكوت ويعرف من عجايبها
ما الخلق غافلون عنها ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط فانه مجال لا آخر له لو استقصينا اعمارا
طويلة لم يقدر علي شرح ما انفضل الله علينا بمعرفتها وكل ما عرفناه قليل نزر حقير بالاضافة الي ما
عرفه جملة العلماء والاولياء وما عرفوه قليل نزر بالاضافة الي ما عرفه الانبياء وما عرفوه قليل بالاضافة
الي ما عرفه نبينا صلى الله عليه وسلم وما عرفه الانبياء قليل بالاضافة الي ما عرفه الملايكة المقربون
كاسرافيل وجبرئيل وغيرهما ثم جميع علوم الملايكة والجن والانس اذا اضيف الي علم الله سبحانه
لم يستحق ان يسمى علما بل هو الي ان يسمى دهشا وحيرة وقصورا وعجزا اقرب فسبحان من عرف
عباده ما عرف ثم خاطب جميعهم فقال وما اوتيتم من العلم الا قليلا فهذا بيان معاقد الجمل
التي يجول فيها فكر المتفكرين في خلق الله وليس فيها فكر في ذات الله ولكن تستفاد من الفكر
في الخلق لا محالة معرفة الخالق وعظمته وجلاله وقدرته وكلما استكثرت من معرفة عجيب صنع
الله كانت معرفتك بجلاله وعظمته اتم وهذا كما انك تعظم العالم بسبب معرفتك بعلمه فلا تزال
تطلع علي غريبة من تصنيفه او شعره فيزداد به معرفة ويزداد بحسبه له توقيرا وتعظيما واحتراما
حتى ان كل كلمة من كلماته وكل بيت عجيب من ابيات شعره يزيد محله في قلبك ويستدعي
التعظيم له من نفسك فهكذا تامل في خلق الله وتصنيفه وتاليفه وكل ما في الوجود من خلق الله
وتصنيفه والنظر والفكر فيه لا يتناهى ابدا وانما لكل عبد منها بقدر ما رزق فليقتصر على
ما ذكرناه ولنضف الي هذا ما فصلناه في كتاب الشكر فانا نظرنا في ذلك الكتاب في فعل الله

من حيث هو احسان الينا وانعام علينا وفي هذا الكتاب نظرنا فيه من حيث انه فعل الله فنظر في كل
ما نظرنا فيه فان الطبيعي ينظر فيه ويكون سبب ضلاله وشقاوته والموفق ينظر فيه ليكون سبب
هدايته وسعادته وما من ذرة في السماء والارض الا والله تعالى يضل من يشاء ويهدي من يشاء
فمن نظر في هذه الامور من حيث انها فعل الله وصنعه استفاد منه المعرفة بجلال الله وعظمته
واهتدى ومن نظر فيها قاصرا للنظر عليها من حيث يؤثر بعضها في بعض لا من حيث ارتباطها
بمسبب الاسباب فقد شقي وارتدى فنعوذ بالله من الضلال ونسأله ان يجنبنا مزلة اقدام الجهال

بمنه وفضله والحمد لله حق حمده وصلواته
على نبيه محمد وآله وسلم تسليما كثيرا كثيرا

كتاب ذكر الموت الى البعث والنشور

وهو الكتاب العاشر من ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم رب اختم بالخير

الحمد لله الذي قصم بالموت رقاب الجبابرة وكسر به ظهور الاكاسرة وقصر به آمال القياصرة الذين لم
تزل قلوبهم عن ذكر الموت نافرة حتى جاءهم الوعد الحق فارداهم في الحافرة فنقلوا من القصور الى
القبور ومن ضياء المهود الى ظلمة اللحود ومن ملاعبة الجواري والغلمان الى مصاحبة الهوام والديدان
ومن التنعم بالشراب الى التمرغ في التراب ومن انس العشرة الى وحشة الوحدة ومن المضجع الوثير
الى المصرع الوبيل فانظر هل وجدوا من الموت حصنا او اتخذوا من دونه حجابا وحرزا وانظر هل
تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا فسبحان من تفرد بالقهر والاستيلاء واستاثر باستحقاق البقاء
واذل اصناف الخلق بما كتب عليهم من الفناء ثم جعل الموت مخلصا للاتقياء وموعدا في حقهم
للقاء وجعل القبر سجنا للاشقياء وحبسا ضيقا عليهم الى يوم الفصل والقضاء فله الانعام بالنعم
المتظاهرة وله الانتقام بالنقم القاهرة وله الشكر في السموات وفي الارض وله الحمد في الاولى
والآخرة والصلوة على محمد ذي المعجزات الظاهرة والآيات الباهرة وعلى آله واصحابه وسلم تسليما كثيرا

اما بعد فجدير بمن الموت مصرعه والتراب مضجعه والدود انيسه ومنكر ونكير جليسه
والقبر مقره وبطن الارض مستقره والقيمة موعده والجنة او النار مورده بان لا يكون له فكر الا في الموت
ولا ذكر الا له ولا استعداد الا لاجله ولا تدبير الا فيه ولا تطلع الا اليه ولا تعريج الا عليه ولا اهتمام
الا به ولا حوم الا حوله ولا انتظار وتربص الا له وحقيق بان يعد نفسه من الموتى ويراها في اصحاب
القبور فان كل ما هو آت قريب والبعيد ما ليس بآت وقد قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه
وعمل لما بعد الموت ولن يتيسر الاستعداد للشيء الا عند تجدد ذكره على القلب ولا يتجدد ذكره الا عند
التذكر بالاصغاء الى المذكرات له والنظر في المنبهات عليه ونحن نذكر من امر الموت ومقدماته
ولواحقه واحوال الآخرة والقيمة والجنة والنار ما لا بد للعبد من تذكاره على التكرار وملازمته بالافكار
والاستبصار ليكون ذلك مستحثا على الاستعداد فقد قرب الرحيل فما بقي من العمر الا القليل والخلق
غافلون اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ونحن نذكر ما يتعلق بالموت في شطرين الشطر
الاول في مقدمات الموت وتوابعه الى نفخة الصور وفيه ثمانية ابواب الباب
الاول في فضل ذكر الموت والترغيب فيه الباب الثاني

الباب الأول

في ذكر الموت والترغيب فيه اعلم ان المنهمك في الدنيا المكب على غرورها المحب لشهواتها يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره فاذا ذكره كرهه ونفر منه واولئك هم الذين قال الله تعالى فيهم قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم الآية والناس اما منهمك او تائب مبتدي او عارف منتهى اما المنهمك فلا يذكر الموت وان ذكره فيذكره ليتأسف على دنياه ويشتغل بمذمته وهذا يزيده ذكر الموت من الله بعدا واما التائب فانه يكثر ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية فيفي بتمام التوبة وربما يكره الموت خيفة من ان يختطفه قبل تمام التوبة وقبل اصلاح الزاد وهو معذور في كراهة الموت ولا يدخل هذا تحت قوله عليه السلام من كره لقاء الله كره الله لقاءه فان هذا ليس يكره الموت ولقاء الله وانما يخاف فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره وهو كالذي يتأخر عن لقاء الحبيب مشتغلا بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه فلا يعد كارها للقاء وعلامة هذا ان يكون دائم الاستعداد له لا شغل له سواه والا التحق بالمنهمك في الدنيا واما العارف فانه يذكر الموت دائما لانه موعد لقائه لحبيبه والمحب لا ينسى قط موعد اللقاء وهذا في غالب الامر يستبطئ مجيء الموت ويحب مجيئه ليتخلص من دار العاصين وينتقل الى جوار رب العالمين كما [illegible] عن حذيفة انه لما حضرته الوفاة قال حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم اللهم ان كنت تعلم ان الفقر احب الي من الغنى والسقم احب الي من الصحة والموت احب الي من الحياة فسهل علي الموت حتى القاك فاذن التائب معذور في كراهة الموت وهذا معذور في حب الموت وتمنيه [illegible] على منهما مرتبة من فوض امره الى الله فصار لا يختار لنفسه موتا ولا حياة بل يكون احب الاشياء اليه احبه الى مولاه فهذا قد انتهى بفرط الحب والولاء الى مقام التسليم والرضا وهو الغاية والمنتهى وعلى كل حال ففي ذكر الموت ثواب وفضل فان المنهمك

في الدنيا ايضا يستفيد بذكر الموت التجافي عن الدنيا اذ يتنغص عليه نعيمه ويتكدر عليه صفو
لذته وكل ما تكدر على الانسان اللذات والشهوات فهي من اسباب النجاة بيان فضل
ذكر الموت كيف ما كان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا ذكر هادم اللذات
اي نغصوا بها اللذات حتى ينقطع ركونكم اليها فيقبلون على الله تعالى وقال صلى الله عليه
وسلم لو ان البهائم تعلم من الموت ما تعلمون ما اكلتم منها سمينا وقالت عائشة رضي الله عنها
يا رسول الله هل يحشر مع الشهداء احد قال نعم من تذكر اليوم والليلة عشرين مرة وانما سبب
هذه الفضيلة كلها ان ذكر الموت توجب التجافي عن دار الغرور وتتقاضى الاستعداد للآخرة
والغفلة عن الموت يدعو الى الانهماك في شهوات الدنيا وقال عليه السلم تحفة المؤمن
الموت وانما قال هذا لان الدنيا سجن المؤمن اذ لا يزال فيها في عناء من مقاساة نفسه ورياضة
شهواته ومدافعة شيطانه فالموت اطلاق والاطلاق تحفه في حقه وقال عليه السلم الموت
كفارة لكل مسلم واراد بهذا المسلم حقا المؤمن صدقا الذي سلم المسلمون من لسانه ويده
وتحقق فيه اخلاق المؤمنين ولم يتدنس من المعاصي الا باللمم والصغاير فالموت يطهره ويكفرها
بعد اجتنابه الكباير واقامته الفرايض وقال عطاء الخراساني مر صلى الله عليه وسلم بمجلس قد استعلا
الضحك فقال شوبوا مجلسكم بذكر فيكدر اللذات قالوا وما يكدر اللذات قال الموت وقال انس
قال صلى الله عليه وسلم اكثر ذكر الموت فانه يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا وقال عليه السلم كفى بالموت
مفرقا وقال كفى بالموت واعظا وخرج رسول الله الى المسجد واذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال
اذكروا الموت اما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وذكر عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم رجل فاحسنوا الثناء عليه فقال كيف كان ذكر صاحبكم للموت قالوا ما كنا
نسمعه يذكر الموت قال فان صاحبكم ليس هنالك وقال ابن عمر اتيت النبي صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة
فقال رجل من الانصار من اكيس الناس واكرم الناس يا رسول الله قال اكثرهم ذكرا للموت واشدهم
استعدادا له اوليك هم الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة واما الآثار قال الحسن
فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لب فرحا وقال الربيع بن خثيم ما غايب ينتظره المؤمن خير له من الموت
وكان يقول لا تشعروا بي احدا وسلوني الى ربي سلا وكتب بعض الحكماء الى رجل من اخوانه يا
اخي احذر الموت في هذه الدار قبل ان تصير الى دار تتمنى فيه الموت ولا تجده وكان ابن سيرين اذا
ذكر عنده الموت مات كل عضو منه وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يجمع كل ليلة الفقهاء فيتذاكرون

الموت والقيمة والآخرة ثم سكون حتى كان بين ايديهم جنازة وقال ربيع التيمي شيان قطعا عني لذة
الدنيا ذكر الموت والوقوف بين يدي الله وقال كعب من عرف الموت هانت عليه مصايب الدنيا
وهمومها وقال مطرف رايت فيما يرى النايم كان قايلا يقول في وسط مسجد البصرة قطع ذكر الموت
قلوب الخايفين فوالله ما تراهم الا والهين وقال اشعث كنا ندخل على الحسن كانما هو في النار
في امر الآخرة وذكر الموت وقالت صفية ان امراة شكت الى عايشة قساوة قلبها فقالت اكثري
ذكر الموت يرق قلبك ففعلت فرق قلبها فجاءت تشكر عايشة وكان عيسى عليه السلم اذا ذكر عنده
الموت تقطر جلده دما وكان داود عليه السلم اذا ذكر الموت والقيمة يبكي حتى تخلع اوصاله فاذا ذكر
الرحمة رجعت اليه نفسه وقال الحسن ما رايت عاقلا قط الا اصبته من الموت حذرا وعليه حزينا
وقال عمر بن عبد العزيز لبعض العلماء عظني فقال لست اول خليفة تموت قال زدني قال ليس
بين آبايك احد الى آدم الا ذاق الموت وقد جاءت نوبتك فبكى عمر لذلك وكان الربيع بن خثيم قد
حفر قبرا في داره وكان ينام فيه كل يوم مرات يستديم به ذكر الموت وكان يقول لو فارق ذكر
الموت قلبي ساعة لفسد وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير ان هذا الموت قد نغص على اهل
النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيما لا موت فيه وقال عمر بن عبد العزيز لعنبسة اكثر ذكر الموت فان
كنت واسع العيش ضيقه عليك فان كنت ضيق العيش وسعه عليك وقال ابو سليمان الداراني
قلت لام هرون اتحبين الموت قالت لا قلت لم قال لو عصيت آدميا ما اشتهيت لقاءه فكيف
احب لقاءه وقد عصيته · بيان الطريق في تحقيق ذكر الموت في القلب اعلم ان الموت هايل
وخطره عظيم وغفلة الناس عنه لقلة فكرهم فيه وذكرهم له ومن يذكره ليس يذكره بقلب فارغ
بل بقلب مشغول بشهوات الدنيا ولا ينجع ذكر الموت في قلبه فالطريق فيه ان يفرغ العبد قلبه
عن كل شي الا عن ذكر الموت الذي هو بين يديه كالذي يريد ان يسافر الى مفازة مخطرة او يركب
البحر فانه لا يتفكر الا فيه فاذا باشر ذكر الموت قلبه فيوشك ان يوثر فيه وعند ذلك يقل فرحه
وسروره بالدنيا وينكسر قلبه فاوقع طريق فيه ان يكثر ذكر اشكاله واقرانه الذين مضوا قبله فيتذكر
موتهم ومصرعهم تحت التراب ويتذكر صورهم في مناصبهم واحوالهم ويتامل كيف محى التراب
الآن حسن صورتهم فكيف تبددت اجزايهم في قبورهم وكيف ارملوا نساهم وايتموا اولادهم
وضيعوا اموالهم وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم وانقطعت آثارهم فمهما تذكر رجلا رجلا وفصل
في قلبه حالة وكيفية موته وتوهم صورته وتذكر نشاطه وتردده وامله للعيش والبقاء

وبيانه للموت وانخداعه بموآتاة الاسباب وركونه الى القوة والشباب وميله الى الضحك واللهو غفلته
عما بين يديه من الموت الذريع والهلاك السريع وانه كيف كان يتردد والآن قد تهدمت رجلاه ومفاصله
وكيف كان ينطق وقد اكل الدود لسانه وكيف كان يضحك واكل التراب اسنانه وانه كيف كان يدبر لنفسه
ما لا يحتاج اليه الى عشر سنين في وقت لم يكن بينه وبين الموت الا شهر وهو غافل عما يراد به حتى
جاءه الموت في وقت لم يحتسبه فانكشف له صورة الموت وقرع سمعه النداء اما بالجنة او بالنار فعند
ذلك ينظر في نفسه انه مثلهم وغفلته كغفلتهم وسيكون عاقبته كعاقبتهم قال ابو الدرداء اذا ذكرت
الموت فعد نفسك كاحدهم قال ابن مسعود السعيد من وعظ بغيره وقال عمر بن عبد العزيز الا ترون انكم
تجهزون كل يوم غاديا او رائحا الى الله تضعونه في صدع من الارض قد توسد التراب وخلف الاحباب
وقطع الاسباب فملازمة هذه الافكار وامثالها مع دخول المقابر ومشاهدة المرضى هو الذي يجدد
ذكر الموت في القلب حتى يغلب عليه بحيث يصير نصب عينيه فعند ذلك يوشك ان يستعد له ويتجافى
عن دار الغرور والا فالذكر بظاهر القلب وعذبة اللسان قليل الجدوى في التحذير والتنبيه ومهما
طاب قلبه بشيء من الدنيا ينبغي ان يتذكر في الحال انه لا بد من مفارقته نظر ابن مطيع يوما الى داره فاعجبه
حسنها ثم بكى ثم قال والله لولا الموت لكنت بك مسرورا ولولا ما نصير اليه من ضيق القبور لقرت اعيننا
بالدنيا ثم بكى بكاء شديدا حتى ارتفع صوته

الباب الثاني

في طول الامل وفضيلة قصر الامل وسبب طوله وكيفية معالجته

فضيلة قصر الامل

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا امسيت
فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك فانك يا عبد الله لا تدري ما اسمك غدا
وروى علي رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال ان اشد ما اخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول
الامل فاما اتباع الهوى فانه يعدل عن الحق واما طول الامل فانه يورث الحب للدنيا ثم قال الا ان
الله يعطي الدنيا من يحب ويبغض واذا احب عبدا اعطاه الايمان الا ان للدين ابناء وللدنيا ابناء فكونوا
من ابناء الدين ولا تكونوا من ابناء الدنيا الا ان الدنيا قد ارتحلت مولية الا ان الاخرة قد ارتحلت مقبلة
الا وانكم في يوم عمل ليس فيه حساب الا وانكم توشكون ان تكونوا في يوم حساب ليس فيه عمل وقالت ام المنذر
اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات عشية الى الناس فقال ايها الناس اما تستحيون من الله قالوا وما ذاك يا رسول
الله قال تجمعون ما لا تاكلون وتاملون ما لا تدركون وتبنون ما لا تسكنون وقال ابو سعيد الخدري اشترى
اسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار الى شهر فسمعت رسول الله يقول الا تعجبون من اسامة

المشتري الي شهران اسامة لطويل الامل والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي الا ظننت ان شفري لا
يلتقيان حتى يقبض الله روحي ولا رفعت طرفي فظننت اني واضعه حتى اقبض ولا لقمت لقمة الا
ظننت ان لا اسيغها حتى اغص بها من الموت ثم قال يا بني آدم ان كنتم تعقلون فعدوا انفسكم من الموتى
والذي نفسي بيده انما توعدون لآت وما انتم بمعجزين وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يخرج يهريق الماء فيتمسح بالتراب فاقول يا رسول الله ان الماء منك قريب فيقول ما يدريني لعلي لا ابلغه
وروي انه عليه السلم اخذ ثلثة اعواد فغرز عودا بين يديه والآخر الي جنبه واما الثالث فابعده فقال
هل تدرون ما هذا فقالوا الله ورسوله اعلم قال هذا الانسان وهذا الاجل وذلك الامل يتعاطاه ابن
آدم ويختلجه الاجل دون الامل وقال عليه السلم مثل ابن آدم والي جنبه تسعة وتسعون منية ان اخطاته
المنايا وقع في الهرم قال ابن مسعود هذا المرء وهذه الحتوف حوله شوارع اليه والهرم وراء الحتوف والامل
وراء الهرم فهو يامل وهذه الحتوف شوارع اليه فايتهما امر به اخذه فان اخطاته الحتوف قتله الهرم
وهو ينظر الي الامل وقال عبد الله خط لنا رسول الله خطا مربعا وخط وسطه خطا وخط خطوطا
الي جنب الخط وخط خطا خارجا فقال اتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله اعلم قال هذا الانسان
للخط الذي في وسطه وهذا الاجل محيط به وهذه الاعراض للخطوط التي حوله تنهشه ان اخطاه
هذا نهشه هذا وذلك الامل للخط الخارج وقال انس قال رسول الله يهرم ابن آدم ويبقى منه اثنان
الحرص والامل وفي رواية ويشب منه اثنان الحرص على المال والحرص على العمر وقال عليه السلم نجا
اول هذه الامة باليقين والزهد ويهلك آخر هذه الامة بالبخل والامل وقيل بينا عيسى عم جالس وشيخ
يعمل بمسحاة يثير بها الارض فقال عيسى اللهم انزع منه الامل فوضع الشيخ المسحاة واضطجع فلبث ساعة
فقال عيسى اللهم اردد اليه الامل فقام فجعل يعمل فسأله عيسى عن ذلك فقال بينا انا اعمل اذ قالت
لي نفسي الي متى تعمل وانت شيخ كبير فالقيت المسحاة واضطجعت ثم قالت لي نفسي والله لا بد لك من عيش
ما بقيت فقمت الي مسحاتي وقال الحسن قال عليه السلم اكلكم يحب ان يدخل الجنة قالوا نعم يا رسول
الله قال قصروا من الامل وثبتوا آجالكم بين ابصاركم واستحيوا من الله حق الحياء وكان صلى الله عليه وسلم
يقول في دعائه اللهم اني اعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة واعوذ بك من حيوة تمنع خير الممات واعوذ
بك من امل يمنع خير العمل **الآثار** قال مطرف بن عبد الله لو علمت متى اجلي لخشيت على ذهاب عقلي
ولكن الله من على عباده بالغفلة عن الموت ولولا الغفلة ما تهنوا بعيش ولا قامت بينهم الاسواق وقال
الحسن السهو والامل نعمتان عظيمتان على ابن آدم ولولاهما ما مشى المسلمون في الطرق وقال الثوري

بلغني ان الانسان خلق احمق لولا ذاك لم يهنه العيش وقال سعيد بن عبد الله انما عمرت الدنيا بقلة عقول
اهلها وقال سلمان الفارسي ثلث اعجبتني حتى اضحكتني مومل الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه
وضاحك ملا فيه ولا يدري اساخط عليه رب العالمين ام راضي وثلث احزنتني حتى ابكتني فراق محمد صلعم
وحزبه والاحبة وهول المطلع والوقوف بين يدي ربي لا ادري الي الجنة يومر بي او الي النار وقال
بعضهم رايت زرارة بن ابي اوفي بعد موته في المنام فقلت اي الاعمال ابلغ عندكم قال التوكل وقصر الامل
وقال الثوري الزهد في الدنيا قصر الامل ليس باكل الغليظ ولا لبس العبا وسال المفضل بن فضالة
ربه ان يرفع عنه الامل فذهب عنه شهوة الطعام والشراب ثم دعا ربه فرد عليه الامل فرجع الي الطعام
والشراب وقيل للحسن يا ابا سعيد الا تغسل قميصك قال الامر اعجل من ذلك وقال الحسن الموت معقود
بنواصيكم والدنيا تطوى من ورايكم وقال بعضهم انا كرجل ماد عنقه والسيف عليه ينتظر متى يضرب
عنقه وقال داود الطائي لو امّلت ان اعيش شهرا لرايتني قد اتيت عظيما وكيف اومل ذلك واري
الفجايع تغشى الخلايق في ساعات الليل والنهار وحكي انه جا شقيق البلخي الي استاذه فقال له
ابو هاشم الرماني وفي طرف كسايه شي مصرور فقال له استاذه اين هذا معك فقال لوزات دفعها الي
اخ لي وقال احب ان تفطر عليه فقال يا شقيق وانت تحدث نفسك انك تبقى الي الليل لا كلمتك ابدا
قال فاغلق في وجهي الباب ودخل وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته ان لكل سفر زادا لا محالة
فتزودوا لسفركم من الدنيا الي الآخرة التقوى وكونوا كمن عاين ما اعد الله من ثوابه وعقابه ترغبوا وترهبوا ولا
يطولن عليكم الامل فتقسوا قلوبكم وتنقادوا لعدوكم فانه والله ما بسط امل من لا يدري لعله لا يصبح
بعد مسايه ولا يمسي بعد صباحه وربما كانت بين ذلك خطفات المنايا وكم رايت ورايتم من كان بالدنيا
مغترا وانما تقر عين من وثق بالنجاة من عذاب الله وانما يفرح من امن اهوال يوم القيمة فاما من لا يداوي
كلما الا اصابه جارح من ناحية اخرى فكيف يفرح اعوذ بالله ان آمركم بما انهي عنه نفسي فتخسر صفقتي
وتظهر عيلتي وتبدو مسكنتي في يوم يبدوا فيه الغني والفقر والموازين فيه منصوبة لقد عنيتم بامر لو
عنيت به النجوم لانكدرت ولو عنيت به الجبال لذابت ولو عنيت به الارض لتشققت اما تعلمون
انه ليس بين الجنة والنار منزلة وانكم صايرون الي احديهما وكتب رجل الي اخ له اما بعد فان الدنيا
حلم والآخرة يقظة والمتوسط بينهما الموت ونحن في اضغاث احلام والسلام وكتب آخر الي اخ له ان
الحزن علي الدنيا طويل والموت من الانسان قريب وللنقص في كل يوم منه نصيب وللبلي في جسمه
دبيب فبادر قبل ان تنادي بالرحيل والسلام وقال الحسن كان آدم عليه السلم قبل ان يخطي امله خلف

ظهره واجله بين عينيه فلما اصاب الخطيئة حول فجعل امله بين عينيه واجله خلف ظهره وقال عبيد الله
بن شميط سمعت ابي يقول ايها المغتر بطول صحته اما رايت ميتا قط من غير الم ايها المغتر بطول المهلة
اما رايت ماخوذا قط من غير عدة انك لو فكرت في طول عمرك لنسيت ما قد تقدم من لذاتك ا بالصحة تغترون
ام بطول العافية ترحون ام من الموت تامنون ام على ملك الموت تجترون ان ملك الموت اذا جاء لم لا يمنعه
منك ثروة مالك ولا كثرة احتشادك اما علمت ان ساعة الموت ذات كرب وغصص وندامة على التفريط ثم
يقول رحم الله عبدا عمل لما بعد الموت رحم الله عبدا نظر لنفسه قبل نزول الموت وقال ابو زكريا التيمي
بينا سليمان بن عبد الملك في المسجد الحرام اذ اتي بحجر منقور فطلب من يقراه فاتي بوهب بن منبه فاذا فيه
ابن آدم انك لو رايت قرب ما بقي من اجلك لزهدت في طول املك ولرغبت في الزيادة من عملك ولقصرت من
حرصك وحيلك وانما يلقاك غدا ندمك لو قد زلت بك قدمك واسلمك اهلك وحشمك فنفارقك الولد القريب
ورفضك الوالد والنسيب فلا انت الى دنياك عايد ولا في حسناتك زايد فاعمل ليوم القيمة قبل الحسرة والندامة
فبكى سليمان بكاء شديدا وقال بعضهم رايت كتابا من محمد بن يوسف الى عبد الرحمن بن يوسف سلام عليك
فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فاني احذرك متحولك من دار مهلتك الى دار اقامتك وجزاء
اعمالك فتصير في قرار باطن الارض بعد ظاهرها فياتيك منكر ونكير فيقعدانك وينتهرانك فان يكن
الله معك فلا باس ولا وحشة ولا فاقة وان يكن غير ذلك فاعاذني الله واياك من سوء مصرع وضيق مضجع ثم
يبلغك صيحة الحشر ونفخة الصور وقيام الجبار لفصل قضاء الخلايق وخلاء الارض من اهلها والسموات
من سكانها فباحت الاسرار واسعرت النار ووضعت الموازين وجي بالنبيين والشهداء وقضي بينهم
بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين فكم من مفتضح ومستور وكم من هالك وناج وكم من معذب ومرحوم
فيا ليت شعري ما حالي وحالك يومئذ ففي هذا ما هدم اللذات وسلا عن الشهوات وقصر عن الامل
واستيقظ النايمون وحذر الغافلون اعاننا الله واياك على هذا الخطر العظيم واوقع الدنيا والآخرة من
قلبي وقلبك موقعهما من قلوب المتقين فانما نحن به وله والسلم وخطب عمر بن عبد العزيز فحمد الله واثنى عليه
وقال ايها الناس انكم لم تخلقوا عبثا ولن تتركوا سدى وان لكم معادا يجمعكم الله فيه للحكم والفصل فيما بينكم
فخاب وشقي عبد اخرجه الله من رحمته التي وسعت كل شي وجنته التي عرضها السموات والارض وانما
يكون الامان غدا لمن خاف واتقى وباع قليلا بكثير وفانيا بباق وشقاوة بسعادة الا ترون انكم في اسلاب
الهالكين ويستخلفه بعدكم الباقون الا ترون انكم في كل يوم تشيعون غاديا ورايحا الى الله عز وجل قد
قضى نحبه وانقطع امله فتضعونه في بطن صدع من الارض غير موسد ولا ممهد قد خلع الاسباب وفارق

الاحباب وواجه الحساب وايم الله اني لا اقول مقالتي هذا ولا اعلم عند احد منكم من الذنوب اكثر مما اعلم
من نفسي ولكنها سنة من الله عادلة امر فيها بطاعته ونهي فيها عن معصيته واستغفر الله ووضع
كمه علي وجهه فبكي حتي بلت لحيته وما عاد الي مجلسه حتي مات وقال القعقاع بن حكيم قد استعددت
للموت منذ ثلثين سنة فلو اتاني ما احببت تاخير شي عن شي وقال الثوري رايت شيخا في مسجد الكوفة
يقول انا في هذا المسجد منذ ثلثين سنة انتظر الموت ان ينزل بي لو اتاني ما امرته بشي ولا نهيته
عن شي ولا لي علي احد شي ولا لاحد عندي شي وقال عبد الله بن ثعلبة تضحك ولعل اكفانك قد خرجت
من عند القصار وقال ابو محمد الزاهد خرجنا في جنازة بالكوفة وخرج فيها داود الطائي فانتبذ فقعد
ناحية وهي تدفن فجئت فقعدت قريبا منه فتكلم فقال من خاف الوعيد قصر عليه البعيد ومن طال
امله ضعف عمله وكل ما هو آت قريب واعلم يا اخي ان كل شي يشغلك عن ربك فهو عليك مشوم واعلم
ان اهل الدنيا جميعا من اهل القبور انما يندمون علي ما يخلفون ويفرحون بما يقدمون فما عليه اهل
القبور ندموا اهل الدنيا عليه يقتتلون وفيه يتنافسون وعليه عند القضاة يختصمون واقام معروف
الكرخي الصلاة فقال لمحمد بن ابي توبة تقدم فقلت اني ان صليت بكم هذه الصلاة لم اصل
بكم غيرها فقال معروف وانت تحدث نفسك ان تصلي صلاة اخري نعوذ بالله من طول الامل فانه يمنع
خير العمل وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته ان الدنيا ليست بدار قراركم دار كتب الله عليها الفناء
وكتب علي اهلها منها الظعن فكم عامر موثق عما قريب يخرب وكم من مقيم مغتبط عما قليل يظعن
فاحسنوا رحمكم الله منها الرحلة باحسن ما يحضركم من النقلة وتزودوا فان خير الزاد التقوي انما
الدنيا كفيء ظلال قلص فذهب بينا ابن آدم في الدنيا ينافس وهو بها قرير عين اذ دعاه الله بقدره
ورماه بيوم حتفه فسلبه آثاره ودنياه وصير لقوم آخرين مصانعه ومغناه ان الدنيا لا تسر بقدر
ما تضر انها تسر قليلا وتحزن طويلا وعن ابي بكر الصديق انه كان يقول في خطبته اين الوضاء الحسنة
وجوههم المعجبون بشبابهم اين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحيطان اين الذين كانوا
يعطون الغلبة في مواطن الحرب قد تضعضع بهم الدهر فاصبحوا في ظلمات القبور الوحا الوحا النجا النجا

بيان السبب في طول الامل وعلاجه اعلم ان طول الامل له سببان احدهما الجهل والاخر
حب الدنيا اما حب الدنيا فهو انه اذا انس بها وبشهواتها ولذاتها وعلائقها ثقل علي قلبه مفارقتها
فامتنع قلبه عن الفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها وكل من كره شيئا دفعه عن نفسه والانسان
مشغوف بالاماني الباطلة فيمني نفسه ابدا بما يوافق مراده وهو البقاء في الدنيا فلا يزال يتوهمها ويقدرها

في نفسه ويقدر توابع البقاء وما يحتاج اليه من مال واهل ودار واصدقاء ودواب وساير اسباب الدنيا
فيصير قلبه عاكفا على هذا الفكر موقوفا عليه فيلهو عن ذكر الموت ولا يقدر قربه فان خطر له في بعض
الاحوال امر الموت والحاجة الى الاستعداد له سوف ووعد نفسه وقال الايام بين يديك فالى ان تكبر ثم
توب واذا كبر فيقول الى ان تصير شيخا فصار شيخا قال الى ان تفرغ من بناء هذه الدار او عمارة هذه الضيعة
او ترجع من هذه السفرة او تفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكن له او تفرغ عن قهر هذا العدو
الذي يشمت بك فلا يزال يسوف ويؤخر ولا يخوض في شغل الا ويتعلق باتمام ذلك الشغل عشرة اشغال
آخر وهكذا بالتدريج يؤخر يوما بعد يوم ويفضي به شغل الى شغل بل الى اشغال الى ان تختطفه المنية
في وقت لا يحتسبه فتطول عند ذلك حسرته واكثر اهل النار صياحهم من سوف يقولون واحزناه من سوف
والمسوف المسكين لا يدري ان الذي يدعوه الى التسويف اليوم هو معه غدا وانما يزداد بطول المدة قوة ورسوخا
ويظن انه يتصور ان يكون للخايض في الدنيا والحافظ لها فراغ قط وهيهات فما يفرغ منها الا من اطرحها كما
فما قضى احد منها لبانته وما انتهى ارب الا الى ارب واصل هذه الاماني كلها حب الدنيا والانس بها والغفلة
عن معنى قوله عليه السلام احبب من احببت فانك مفارقه واما الجهل فهو ان الانسان قد يعول على شبابه فيستبعد
قرب الموت مع الشباب وليس يتفكر المسكين ان مشايخ بلده لو عدوا لكانوا اقل من عشر البلد وانما قلوا لان
الموت في الشباب اكثر فالى ان يموت شيخ يموت الف صبي وشاب وقد يستبعد الموت لصحته ويستبعد الموت
فجاءة ولا يدري ان ذلك غير بعيد وان كان ذلك بعيدا فالمرض فجاءة غير بعيد وكل مرض فانما يقع فجاءة واذا
مرض لم يكن الموت بعيدا ولو تفكر هذا الغافل وعلم ان الموت ليس له وقت مخصوص من شباب وشيبة
وكهولة ومن صيف وشتاء وربيع وخريف ومن ليل ونهار لعظم استشعاره واشتغل بالاستعداد له ولكن
الجهل بهذه الامور وحب الدنيا دعواه الى طول الامل والى الغفلة عن تقدير الموت القريب فهو ابدا يظن ان
الموت يكون بين يديه ولا يقدر نزوله به ووقوعه فيه وهو ابدا يظن انه يشيع الجنائز ولا يقدر ان تشيع جنازته
لان هذا قد تكرر عليه والفه وهو مشاهدة موت غيره واما موت نفسه فلم يألفه ولم يتصور ان يألفه فانه لم
يقع واذا وقع لم يقع بعده فهو الاول وهو الآخر وسبيله ان يقيس نفسه بغيره ويعلم انه لا بد وان تحمل جنازته
ويدفن في قبره ولعل اللبن الذي يغطى به لحده قد ضرب وفرغ منه وهو لا يدري فتسويفه جهل محض واذا عرفت
ان سببه الجهل وحب الدنيا فعلاجه دفع سببه اما الجهل فيدفع بالفكر الصافي من القلب الحاضر وبسماع
الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة واما حب الدنيا فالعلاج في اخراجه من القلب شديد وهو الداء العضال
الذي اعيا الاولين والآخرين علاجه ولا علاج له الا الايمان باليوم الآخر وبما فيه من عظيم العقاب وجزيل

الثواب وبهما حصل له اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حب الدنيا فان حب الخطير هو الذي يمحو عن
القلب حب الحقير واذا راى حقارة الدنيا ونفاسة الآخرة استنكف ان يلتفت الى الدنيا كلها وان اعطي
ملك الارض من المشرق الى المغرب فكيف وليس لكل عبد من الدنيا الا قدر يسير مكدر منغص فكيف يفرح
بها او يترسخ في القلب حبها مع الايمان بالآخرة فنسال الله ان يرينا كما اريها الصالحين من عباده. والعلاج
في تقرير الموت في القلب فليكثر النظر الى من مات من الاقران والاشكال وانهم كيف جاءهم الموت في وقت
لم يحتسبوا اما من كان مستعدا فقد فاز فوزا عظيما واما من كان مغرورا بطول الامل فقد خسر خسرانا
مبينا. ولينظر الانسان كل ساعة في اطرافه واعضائه وليتدبر انها كيف ياكلها الديدان لا محالة وكيف
تتفتت عظامها وليتفكر ان الدود يبدا بحدقته اليمنى اولا او باليسرى فما على بدنه شيء الا وهو طعمة للدود
وما له من نفسه الا العلم والعمل الخالص لوجه الله وكذلك يتفكر فيما سيورده من عذاب القبر وسؤال منكر
ونكير ومن الحشر والنشر واهوال القيامة وقرع النداء يوم العرض الاكبر فامثال هذه الافكار هي التي تجدد
ذكر الموت على قلبه وتدعوه الى الاستعداد له بيان مراتب الناس في طول الامل وقصره اعلم ان الخلق
في ذلك يتفاوتون فمنهم من يامل البقاء ويشتهي ذلك ابدا قال الله تعالى يود احدهم لو يعمر الف سنة ومنهم من يامل
البقاء الى الهرم وهو اقصى العمر الذي شاهده وراه وهو الذي يحب الدنيا حبا شديدا قال رسول الله عم
قلب الشيخ شاب في طلب الدنيا وان التفت ترقوتاه من الكبر الا الذين اتقوا وقليل ما هم ومنهم من يامل
الى سنة فلا يشتغل بتدبير ما وراءها ولا يقدر لنفسه وجودا في عام قابل ولكن هذا يستعد في الصيف
للشتاء وفي الشتاء للصيف واذا جمع ما يكفيه لسنة اشتغل بالعبادة. ومنهم من يامل مدة الصيف او الشتاء
فلا يدخر في الصيف ثياب الشتاء ولا في الشتاء ثياب الصيف ومنهم من يرجع امله الى يوم وليلة
فلا يستعد الا لنهاره واما للغد فلا قال عيسى عم لا تهتموا لرزق غد فان يكن غدا من آجالكم فيأتي فيه
ارزاقكم مع آجالكم وان لم يكن من آجالكم فلا تهتموا لآجال غيركم ومنهم من لا يجاوز امله ساعة كما قال عم يا عبد الله
اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح ومنهم من لا يقدر البقاء ايضا
ساعة كان رسول الله صلعم يتيمم مع القدرة على الماء قبل مضي ساعة ويقول لعلي لا ابلغه ومنهم من يكون الموت
نصب عينيه كانه واقع به وهو ينتظره وهذا الانسان هو الذي يصلي صلاة مودع وفيه ورد ما نقل عن معاذ
انه لما ساله رسول الله عن حقيقة ايمانه قال ما خطوت خطوة الا ظننت اني لا اتبعها اخرى وكما نقل عن الاسود
وهو حبشي انه كان يصلي ليلا ويلتفت يمينا وشمالا فقال له قائل ما هذا قال انظر ملك الموت من اي
جهة ياتيني فهذه مراتب الناس ولكل درجات عند الله وليس من امله مقصور على شهر كمن امله شهر

ويوم بل بينهما تفاوت في الدرجة عند الله فان الله لا يظلم مثقال ذرة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ثم يظهر
اثر قصر الامل في المبادرة الى العمل وكل انسان يدعي انه قصير الامل وهو كاذب وانما يظهر ذلك باعماله فانه
يعتني باسباب ربما لا يحتاج اليها في سنته فيدل ذلك على طول امله وانما علامة التوفيق ان يكون الموت
نصب العين لا يغفل عنه ساعة فيستعد للموت الذي يرد عليه في الوقت فان عاش الى المساء شكر الله
على طاعته وفرح بانه لم يضيع نهاره بل استوفى منه حظه وادخره لنفسه ثم يستانف مثله الى الصباح
وهكذا اذا اصبح ولا يتيسر هذا الا لمن فرغ القلب عن الغد وما يكون فيه فمثل هذا اذا مات سعد وغنم
وان عاش سر بحسن الاستعداد ولذة المناجاة فالموت له سعادة والحيوة له مزيد فليكن الموت على
بالك يا مسكين فان السير حاذ بك وانت غافل عن نفسك ولعلك قد قاربت المنزل وقطعت المسافة
ولا يكون ذلك الا بمبادرة العمل اغتناما لكل نفس امهلت فيه **بيان المبادرة الى العمل وحذر آفة
التاخير** اعلم ان من له اخوان غائبان ينتظر قدوم احدهما في غد وينتظر قدوم الآخر بعد شهر او سنة
فلا يستعد للذي يقدم الى شهر او سنة وانما يستعد للمنتظر قدومه غدا فالاستعداد نتيجة قرب الانتظار
فمن انتظر مجيء الموت بعد سنة اشتغل قلبه بالمدة ونسي ما وراء المدة ثم يصبح كل يوم وهو منتظر للسنة
بكمالها لا ينتقص منه اليوم الذي مضى وذلك يمنعه من مبادرة العمل ابدا فانه ابدا يرى لنفسه متسعا في تلك
السنة فيؤخر العمل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ما ينتظر احدكم الا غنا مطغيا او فقرا منسيا او مرضا مفسدا
او هرما مفندا او موتا مجهزا او الدجال فالدجال شر غائب ينتظر او الساعة والساعة ادهى وامر وقال ابن
عباس قال صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك
وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحيوتك قبل موتك وقال عليه السلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس
الصحة والفراغ اي انه لا يغتنمهما ثم يعرف قدرهما عند زوالهما وقال عليه السلم من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل
الا ان سلعة الله غالية الا ان سلعة الله هي الجنة وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت الراجفة تتبعها
الرادفة جاء الموت بما فيه وكان عليه السلم اذا آنس من اصحابه غفلة او غرة نادى فيهم بصوت رفيع اتتكم
المنية راتبة لازمة اما بشقاوة او بسعادة وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا النذير والموت
المغير والساعة الموعد وقال ابن عمر خرج رسول الله والشمس على اطراف السعف فقال ما بقي من الدنيا
الا مثل ما بقي من يومنا هذا في مثل ما مضى منه وقال عليه السلم مثل الدنيا مثل ثوب شق من اوله الى آخره
فبقي متعلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع وقال جابر كان رسول الله عليه السلم اذا خطب
فذكر الساعة رفع صوته واحمرت وجنتاه كانه منذر جيش صبحتكم ومستكم بعثت انا والساعة كهاتين

وتوفت بين اصبعيه وقال ابن مسعود تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يرد الله ان يهديه يشرح
صدره للاسلام فقال رسول الله ان النور اذا دخل الصدر انفسح فقيل يا رسول الله هل لذلك من
علامة تعرف قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل
نزوله قال السدي في قوله تع الذي خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا اي ايكم اكثر للموت
ذكرا واحسن استعدادا ومنه اشد خوفا وحذرا له وقال حذيفة ما من صباح ولا مساء الا ينادي
مناد ايها الناس الرحيل الرحيل وتصديق ذلك قوله تعالى انها لاحدى الكبر نذيرا للبشر لمن شا
منكم ان يتقدم او يتاخر في الموت وقال الحجيم مولى بني تيم جلست الى عامر بن عبد الله وهو يصلي
فاوجز في صلوته ثم اقبل علي فقال ارحني بحاجتك فاني ابادر قلت وما تبادر قال ملك الموت
رحمك الله قال فقمت عنه وقام الى الصلاة ومر داود الطائي فساله رجل عن حديث فقال دعني
انما ابادر خروج نفسي وقال عمر رضه التؤدة في كل شي خير الا في اعمال الاخرة وقال المنذر سمعت
مالك بن دينار يقول لنفسه ويحك بادري قبل ان ياتيك الامر حتى كرر ذلك ستين مرة اسمعه ولا
يراني وكان يقول الحسن في موعظته المبادرة المبادرة فانما هي الانفاس لو حبست انقطعت عنكم
اعمالكم التي تتقربون بها الى الله تع رحم الله امرا نظر لنفسه وبكى على ذنوبه ثم قرا هذه الآية
انما نعد لهم عدا يعني الانفاس آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق اهلك آخر العدد دخولك
في قبرك واجتهد ابو موسى الاشعري قبل موته اجتهادا شديدا فقيل له لو امسكت ورفقت
بنفسك بعض الرفق فقال ان الخيل اذا ارسلت فقاربت راس مجراها اخرجت جميع ما عندها
والذي بقي من اجلي اقل من ذلك قال فلم يزل على ذلك حتى مات وكان يقول لامراته شدي رحالك
فليس على جهنم معبر وقال بعض الخلفاء على منبره عباد الله اتقوا الله ما استطعتم وكونوا قوما صيح بهم
فانتبهوا وعلموا ان الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا واستعدوا للموت فقد اظلكم وترحلوا
فقد جد بكم وان غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدة وان غائبا يحدوه
الجديدان الليل والنهار لحري بسرعة الاوبة وان قادما يحل بالفوز او الشقوة لمستحق لافضل
العدة فاتقى عبد ربه وناصح نفسه وقدم توبته وغلب شهوته فان اجله مستور عنه وامله خادع
له والشيطان موكل به يمنيه التوبة ليسوفها ويزين له المعصية ليرتكبها حتى تهجم منيته عليه اغفل
ما يكون عنها وانه ما بين احدكم وبين الجنة والنار الا الموت ان ينزل به فيا لها حسرة على ذي غفلة
ان يكون عمره عليه حجة وان يرده ايامه الى شقوة جعلنا الله واياكم ممن لا تبطره نعمة ولا تقصر عن طاعة

معصية ولا يحل به بعد الموت حسرة انه سميع الدعاء وانه بيده الخير وانه فعال لما يشاء وقال بعض
المفسرين في قوله فتنتم انفسكم قال بالشهوات واللذات وتربصتم قال بالتوبة وارتبتم
قال شككتم حتى جاء امر الله قال الموت وغركم بالله الغرور وقال الحسن تصبروا وتشددوا فانما هي
ايام قلائل وانما انتم ركب وقوف يوشك ان يدعى الرجل منكم فيجيب ولا يلتفت فانتقلوا بصالح
ما بحضرتكم وقال ابن مسعود ما منكم من احد اصبح الا وهو ضيف وماله عارية والضيف مرتحل والعارية
مؤداة وقال ابو عبيدة الناجي دخلنا على الحسن في يومه الذي مات فيه فقال مرحبا بكم واهلا
وحياكم الله بالسلام واحلنا واياكم دار المقام هذه علانية حسنة ان صبرتم وصدقتم واتقيتم
ولا يكن حظكم من هذا الخبر رحمكم الله ان تسمعوه بهذه الاذان وتخرجوه من هذه الاذان فانه من رأى
محمدا صلى الله عليه وسلم فقد رآه غاديا ورائحا لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولكن رفع له
علم فشمر اليه الوحا الوحا النجا النجا على ما تعرجون ايتم ورب الكعبة كانكم والامر معا رحم الله عبدا
جعل العيش عيشا واحدا فاكل كسرة ولبس خلقا ولزق بالارض واجتهد في العبادة وبكى على الخطيئة
وهرب من العقوبة وسعى الرحمة حتى ياتيه اجله وهو على ذلك وقال عاصم الاحول قال لي فضيل الرقاشي
وانا سائله يا هذا لا تشغلنك كثرة الناس عن نفسك فان الامر يخلص اليك دونهم ولا تقل اذهب
ههنا وههنا فينقطع عنك النهار في لا شيء فان الامر محفوظ عليك ولم تر شيئا قط احسن طلبا
ولا اسرع ادراكا من حسنة حديثة لذنب قديم

الباب الثالث

في سكرات الموت وشدته وما يستحب من الاحوال عند الموت اعلم انه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين
كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها لكان جديرا بان يتنغص عليه عيشه ويتكدر
عليه سروره ويفارقه سهوه وغفلته وحقيقا بان يطول فيه فكرته ويعظم له استعداده لا سيما
وهو في كل نفس بصدده كما قال بعض الحكماء كرب بيد سواك لا تدري متى يغشاك وقال لقمان
لابنه يا بني امر لا تدري متى يلقاك استعد له قبل ان يفجاك والعجب ان الانسان لو كان في اعظم اللذات
واطيب مجالس اللهو فانتظر ان يدخل عليه جندي فيضربه خمس خشبات لتكدرت عليه لذته وفسد
عليه عيشه وهو في كل نفس بصدد ان يدخل عليه ملك الموت بسكرات النزع وهو عنه غافل فما
لهذا سبب الا الجهل والغرور واعلم ان شدة الالم في سكرات الموت لا يعرفها بالحقيقة الا من
ذاقها ومن لم يذقها فانما يعرفها اما بالقياس الى الآلام التي ادركها واما بالاستدلال باحوال
الناس في النزع على شدة ما هم فيه فاما القياس الذي يشهد له هو ان كل عضو لا روح فيه

ولا يحس بالالم فاذا كان فيه الروح والمدرك للالم هي الروح فمهما اصاب العضو جرح او حريق سرى
الاثر الى الروح فبقدر ما يسري الى الروح يتالم والمولم يتفرق على اللحم والدم وساير الاجزاء فلا يصيب
الروح الا بعض الاثر فان كان في الالام ما يباشر نفس الروح ولا يلاقي غيره فما اعظم ذلك الالم
وما اشده والنزع عبارة عن مولم نزل بنفس الروح فاستغرق جميع اجزائه حتى لم يبق جزء من اجزاء
الروح المنتشر في اعماق البدن الا وقد حل به الالم فلو اصابته شوكة فالالم الذي يجده انما يجري في
جزء من الروح يلاقي ذلك الموضع الذي اصابته الشوكة وانما يعظم اثر الاحتراق لان اجزاء النار تغوص
في ساير اجزاء البدن فلا يبقى جزء من العضو المحترق ظاهرا وباطنا الا وتصيبه النار فتحسه الاجزاء
الروحانية المنتشرة في ساير اجزاء اللحم واما الجراحة فانما تصيب الموضع الذي تمسه الحديد فقط
فكان لذلك الجرح الم دون الم النار فالم النزع يهجم على نفس الروح ويستغرق جميع اجزائه فانه
المنزوع والمجذوب من كل عرق من العروق وعصب من الاعصاب وجزء من الاجزاء ومفصل من
المفاصل ومن اصل كل شعرة وبشرة من الفرق الى القدم فلا تسأل عن كربه والمه حتى قالوا انما
الموت اشد من ضرب بالسيف انما يولم لتعلقه بالروح فكيف اذا كان المتناول المباشر نفس الروح
وانما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قوته في قلبه وفي لسانه وانما انقطع صوت الميت وصياحه
مع شدة المه لان الكرب قد بالغ فيه وتصاعد على قلبه وغلب على كل موضع منه فهد كل قوة وضعف
كل جارحة فلم يترك له قوة الاستغاثة اما العقل فقد غشيه وشوشه واما اللسان فقد ابكمه
واما الاطراف فقد ضعفها ويود لو قدر على الاستراحة بالانين والصياح والاستغاثة ولكنه لا
يقدر على ذلك فان بقيت فيه قوة سمعت له عند نزع الروح وجذبه خوارا وغرغرة من حلقه وصدره
وقد تغير لونه واربد حتى كانه ظهر منه التراب الذي هو اصل فطرته وقد جذب منه كل عرق على حياله
فالالم منتشر في داخله وخارجه حتى ترتفع الحدقتان الى اعالي جفونه وتتقلص اللسان الى اصله
وترتفع الانثيان الى اعالي موضعهما وتخضر انامله فلا تسأل عن بدن يجذب منه كل عرق من عروقه
ولو كان المجذوب عرقا واحدا لكان المه عظيما فكيف والمجذوب نفس الروح المتالم لا من عرق واحد
بل من جميع العروق ثم يموت كل عضو من اعضائه تدريجا فيبرد اولا قدماه ثم ساقاه ثم فخذاه ولكل عضو
سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى يبلغ بها الى الحلقوم فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا واهلها
ويغلق دونه باب التوبة وتحيط به الحسرة والندامة قال عليه السلم تقبل توبة العباد ما لم يغرغر
وقال المجاهد في قوله تع وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت

الآن قال اذا عاين الرسل فعند ذلك يبدو له صفحة وجه ملك الموت فلا تسال عن طعم مرارة الموت
وكربه عند ترادف سكراته ولذلك كان رسول الله عليه السلم يقول اللهم هون على محمد سكرات الموت والناس
انما يستعيذون منه ولا يستعظمونه لجهلهم به فان الاشيا قبل وقوعها انما تدرك بنور النبوة والولاية
ولذلك عظم خوف الانبيا والاوليا من الموت حتى قال عيسى يا معشر الحواريين ادعوا الله ان يهون على
هذه السكرة يعني الموت فقد خفت الموت مخافة اوقفني خوفي من الموت على الموت وروي ان نفرا
من بني اسرائيل مروا بمقبرة فقال بعضهم لبعض لو دعوتم الله ان يخرج لكم من هذه المقبرة ميتا تسالونه فدعوا الله تع
فاذا هم برجل قد قام وبين عينيه اثر السجود قد خرج من قبر من القبور فقال يا قوم وما اردتم مني لقد ذقت الموت
منذ خمسين عاما ما سكنت مرارة الموت من قلبي وقالت عايشه لا اغبط احدا يهون عليه الموت بعد الذي
رايت من شدة موت رسول الله علم وروي انه كان عليه السلم يقول اللهم انك تاخذ الروح من بين العصب
والعصب والانامل اللهم فاعني على الموت وهونه علي وعن الحسن ان رسول الله ذكر الموت وغصته والمه
فقال هو قدر ثلثماية ضربة بالسيف وسيل عليه السلم عن الموت وشدته فقال ان اهون الموت بمنزلة
حسكة في صوف فهل تخرج الحسكة من الصوف الا ومعها صوف ودخل عليه السلم على مريض ثم قال
اني اعلم ما يلقى ما فيه عرق الا ويالم بالموت على حدته وكان علي يحض على القتال ويقول ان لم تقتلوا تموتوا
والذي نفسي بيده لالف ضربة بالسيف اهون من موت على فراش وقال الاوزاعي بلغنا ان الميت يجد الم
الموت ما لم يبعث من قبره وقال شداد بن اوس الموت افظع هول في الدنيا والآخرة على المومن وهو اشد من نشر
بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلي في القدور ولو ان الميت نشر فاخبر اهل الدنيا بالم الموت ما انتفعوا بعيش
ولا التذوا بنوم وعن زيد بن اسلم عن ابيه قال اذا بقي على المومن من درجاته شي لم يبلغها بعمله شدد عليه
الموت ليبلغ بسكرات الموت وكربه درجته في الجنة واذا كان للكافر معروف لم يجز به في الدنيا هون عليه
في الموت ليستكمل ثواب معروفه فيصير الى النار وعن بعضهم انه كان يسال كثيرا عن المرضى كيف يجدون الموت
فلما مرض قيل له فانت كيف تجده قال كان السموات مطبقة على الارض وكان نفسي تخرج من ثقب ابرة
وقال عليه السلم موت الفجاة راحة للمومن واسف على الفاجر وروي مكحول عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لو ان شعرة من شعر الميت وضعت على اهل السموات والارض لماتوا باذن الله لان في كل شعرة الموت ولا يقع
الموت بشي الا مات ويروى لو ان قطرة من الم الموت وضعت على جبال الارض كلها لذابت وروي ان
ابرهيم لما مات قال الله له كيف وجدت الموت يا خليلي فقال كسفود جعل في صوف رطب ثم جذب فقال
اما انا قد هوننا عليك وروي عن موسى عليه السلم انه قال لما صار روحه الى الله عز وجل قال له ربه يا موسى كيف

وجدت الموت قال وجدت نفسي كالعصفور حين يقلى على المقلى لا يموت فيستريح ولا ينجو ه
فيطير وروي عنه انه قال وجدت نفسي كشاة حية يسلخ بيد القصاب وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه كان عنده قدح من ما عند الموت فجعل يدخل يده في الما ثم يمسح بها وجهه ويقول اللهم
هون علي سكرات الموت وفاطمه رضي الله عنها يقول واكرباه لكربك يا ابتاه وهو يقول لا كرب على ابيك
بعد هذا اليوم وقال عمر رضي لكعب الاحبار يا كعب حدثنا عن الموت فقال نعم يا امير المومنين الموت
كغصن كثير الشوك ادخل في جوف رجل واخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب فاخذ
ما اخذ وابقى ما ابقى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت
وان مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول عليك السلم تفارقني وافارقك الى يوم القيمه فهذه
سكرات الموت على اوليا الله واحبايه فما حالنا ونحن المنهمكون في المعاصي وتتوالى علينا مع سكرة
الموت بقيه الدواهي فان دواهي الموت ثلثه الاولى شدة النزع كما ذكرنا. الداهية الثانية
مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروع والخوف منه على القلب فلو راي صورته التي عليها يقبض روح
العبد المذنب اعظم الرجال قوة لم يطق رويته روي عن الخليل عم انه قال لملك الموت عم هل
تستطيع ان تريني الصورة التي فيها تقبض روح الفاجر قال لا تطيق ذلك قال بلي فاعرض عني فاعرض
عنه ثم التفت فاذا هو برجل اسود قايم الشعر منتن الريح اسود الثياب يخرج من فيه ومناخره لهب
النار والدخان فغشي علي ابرهيم ثم افاق وقد عاد ملك الموت الى صورته الاولى فقال يا ملك الموت
لو لم تلق الفاجر عند موته الا صورة وجهك لحسبه وروي ابو هريرة عن النبي عم ان داود كان رجلا
غيورا وكان اذا خرج غلق الابواب فغلق ذات يوم وخرج فاشرفت امراته فاذا هي برجل في الدار
فقالت من ادخل هذا الرجل لين جا داود ليلقين منه عنتا فجا داود فراه فقال من انت قال انا
الذي لا اهاب الملوك ولا يمنع مني الحجاب فقال فانت والله اذن ملك الموت فزمل داود عليه السلم
مكانه وروي ان عيسى عليه السلم مر بجمجمة فضربها برجله فقال تكلمي باذن الله فقالت يا روح الله
انا ملك زمان كذا وكذا بينا انا جالس في ملكي وعلي تاجي وحولي جندي وحشمي على سرير ملكي اذ
بدا لي ملك الموت فزال مني كل عضو على حياله ثم خرجت نفسي اليه فيا ليت ما كانت من تلك الجموع كان
فرقة ويا ليت ما كان من ذلك الانس كانت وحشة فهذه داهية يلقاها العصاة ويكفاها المطيعون
فقد حكي للانبيا مجرد سكرة النزع دون الروعة التي يدركها من يشاهد صورة ملك الموت كذلك
ولو راها في منامه ليلة لتنغص عليه بقية عمره فكيف برويته في مثل تلك الحالة واما المطيع فانه يراه

في احسن صورة واجملها فقد روي عكرمة عن ابن عباس ان ابرهيم عليه السلم كان رجلا غيورا وكان له
بيت يتعبد فيه فاذا خرج اغلقه فرجع ذات يوم واذا برجل في جوف البيت فقال من ادخلك داري فقال
انا ربها فقال ادخلنيها من هو املك بها مني ومنك فقال فمن انت من الملايكة قال انا ملك الموت
قال هل تستطيع ان تريني الصورة التي تقبض فيها روح المومن قال نعم قال فاعرض عني فاعرض ثم
التفت فاذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه فقال يا ملك الموت لو لم
تلق المومن عند الموت الا صورتك كان حسبه ومنها مشاهدة الملكين الحافظين قال وهيب
بلغنا انه ما من ميت يموت حتي يتراءي له ملكاه الكاتبين عمله فان كان مطيعا قالا له جزاك الله عنا
خيرا فرب مجلس صدق اجلستنا ورب عمل صالح احضرتنا وان كان فاجرا قالا له لا جزاك الله عنا
خيرا فرب مجلس سوء قد اجلستنا وعمل غير صالح قد احضرتنا وكلام قبيح قد اسمعتنا فلا جزاك الله
عنا خيرا فذلك شخوص بصر الميت اليهما ولا يرجع الي الدنيا ابدا الداهية الثالثة مشاهدة
العصاة مواضعهم من النار وخوفهم من تلك المشاهدة فانهم في حال السكرات وقد تخاذلت قواهم
واستسلمت للخروج ارواحهم ولن تخرج ارواحهم ما لم يسمعوا نغمة ملك الموت باحدى البشريين اما ابشر
يا عدو الله بالنار او ابشر يا ولي الله بالجنة ومن هنا كان خوف ارباب القلوب والالباب وقد قال
النبي عليه السلم لن يخرج احدكم من الدنيا حتي يعلم اين مصيره وحتي يري مقعده من الجنة او النار
وقال عليه السلم من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالوا كلنا نكره
الموت قال ليس ذاك بذاك ان المومن اذا فرج له عما هو قادم عليه احب لقاء الله واحب الله لقاءه
وروي ان حذيفة بن اليمان قال لابن مسعود وهو لما به من آخر الليل قم فانظر اي ساعة فقام
ابن مسعود ثم جاء فقال قد طلعت الحمراء فقال حذيفة اعوذ بالله من صباح الي النار ودخل مروان
علي ابي هريرة فقال مروان اللهم خفف عنه فقال ابو هريرة اللهم اشدد ثم بكا ابو هريرة وقال والله
ما ابكي حزنا علي الدنيا ولا جزعا من فراقكم ولكن انتظر احدي البشريين من ربي بجنة ام بنار وروي في
الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله اذا رضي عن عبد قال يا ملك الموت اذهب الي فلان
فائتني بروحه لاريحه حسبي من عمله قد بلوته فوجدته حيث احب فينزل ملك الموت ومعه خمسمائة
من الملايكة معهم قضبان الريحان واصول الزعفران كل واحد منهم يبشره ببشارة سوي بشارة
صاحبه وتقوم الملايكة صفين لخروج روحه معهم الريحان فاذا نظر اليهم ابليس وضع يده علي
راسه ثم صرخ قال فيقول له جنوده ما لك يا سيدنا فيقول اما ترون ما اعطي هذا العبد من الكرامة

اين كنتم عن هذا قالوا قد جهدنا به فكان معصوما وقال الحسن لا راحة للمؤمن الا في لقاء الله
ومن كانت راحته في لقاء الله فيوم الموت يوم سروره وفرحه وامنه وعزه وشرفه وقيل لجابر
بن زيد عند الموت ما تشتهي قال نظرة الى الحسن فلما دخل عليه الحسن قيل له هذا الحسن فرفع
طرفه اليه ثم قال يا اخوتاه الساعة والله افارقكم الى النار او الى الجنة وقال محمد بن واسع عند
الموت يا اخوتاه عليكم السلام الى النار او ليعفو الله وتمنى بعضهم ان يبقى في النزع ابدا
ولا يبعث لا لثواب ولا لعذاب فخوف سوء الخاتمة قطع قلوب العارفين وهي من الدواهي العظيمة
عند الموت قد ذكرنا معنى سوء الخاتمة وشدة خوف العارفين منه في كتاب الخوف والرجا
وهو لائق بهذا الموضع ولكنا لا نطول بذكره واعادته **بيان ما يستحب من احوال المحتضر عند الموت**
اعلم ان المحبوب عند الموت من صورة المحتضر ان يكون هو الهدو والسكون ومن لسانه ان يكون
ناطقا بالشهادة ومن قلبه ان يكون حسن الظن بالله تع اما الصورة فقد روي عن النبي عليه السلم
انه قال رقبوا الميت عند ثلث اذا رشح جبينه وذرفت عيناه ويبست شفتاه فهي من رحمة الله
قد نزلت به واذا غط غطيط المخنوق واحمر لونه واربدت شفتاه فهو من عذاب الله قد نزل به
واما انطلاق لسانه بكلمة الشهادة فهي علامة الخير قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلعم
لقنوا موتاكم لا اله الا الله وفي رواية حذيفة فانه يهدم ما قبلها من الخطايا وقال عثمان قال
رسول الله عليه السلم من مات وهو يعلم ان لا اله الا الله دخل الجنة وقال عبدالله وهو يشهد وقال عثمان
اذا احتضر الميت فلقنوه لا اله الا الله فانه ما من عبد يختم له بها عند موته الا كانت زاده الى الجنة وقال
عمر رضي الله عنه احضروا موتاكم وذكروهم فانهم يرون ما لا ترون ولقنوهم لا اله الا الله وقال ابو هريرة سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حضر ملك الموت رجلا يموت فنظر في قلبه فلم يجد فيه شيئا ففك
لحييه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول لا اله الا الله فغفر له بكلمة الاخلاص وينبغي للملقن ان لا
يلح في التلقين ولكن يتلطف فربما لا ينطق لسان المريض فيشق عليه ذلك ويؤدي الى استثقاله
التلقين وكراهيته للكلمة ويخشى ان يكون ذلك سبب سوء الخاتمة وانما معنى هذه الكلمة ان يموت
الرجل وليس في قلبه غير الله فاذا لم يبق له مطلوب سوى الواحد الحق كان قدومه بالموت على
محبوبه غاية النعيم في حقه وان كان القلب مشغوفا بالدنيا ملتفتا اليها متاسفا على لذاتها
وكانت الكلمة على رأس اللسان ولم ينطق القلب على تحقيقه وقع الامر في خطر المشية فان مجرد
حركة اللسان قليل الجدوى الا ان يتفضل الله بالقبول واما حسن الظن فهو مستحب في هذا الوقت وقد

ذكرناه في كتاب الرجاء وقد وردت الاخبار بفضل حسن الظن دخل واثلة بن الاسقع على مريض
فقال اخبرني كيف ظنك بالله فقال اغرقتني ذنوب لي واشفيت على هلكة ولكني ارجو رحمة الله
فكبر واثلة وكبر اهل البيت بتكبيره وقال الله اكبر سمعت رسول الله عليه السلم انا عند ظن عبدي
بي فليظن بي ما شاء ودخل عليه السلم على شاب وهو يموت فقال كيف تجدك قال ارجو الله
واخاف ذنوبي فقال رسول الله لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن الا اعطاه الله
الذي يرجو وآمنه من الذي يخاف وقال ثابت البناني كان شاب به حدة وكانت امه تعظه
وتقول كثيرا يا بني ان لك يوما فاذكر يومك فلما نزل به امر الله تعالى اكبت عليه امه فجعلت تقول
يا بني قد كنت احذرك مصرعك هذا واقول ان لك يوما فقال يا امه ان لي ربا كثير المعروف واني
لارجو ان لا يعدمني اليوم بعض معروفه قال ثابت فرحمه الله بحسن ظنه بربه وقال جابر بن
وداع كان شاب به رهق فاحتضر فقالت له امه يا بني اتوصي بشيء قال نعم خاتمي لا تسلبينيه
فان فيه ذكر الله تعالى فلعل الله يرحمني فلما دفن رأي في النوم فقال اخبروا امي ان الكلمة قد نفعتني
وان الله قد غفر لي ومرض اعرابي فقيل له انك تموت قال اين يذهب بي قالوا الى الله قال
فما كراهتي ان اذهب الى من لا يرى الخير الا منه وقال المعتمر بن سليمان قال ابي حين حضرته
الوفاة يا معتمر حدثني بالرخص لعلي القى الله وانا حسن الظن به وكانوا يستحبون ان يذكر
للعبد محاسن عمله عند موته لكي يحسن ظنه بربه بيان الحسرة عند لقاء ملك الموت
بحكايات يعرب بلسان الحال عنها قال اشعث بن اسلم سال ابرهيم عليه السلم ملك الموت واسمه
عزرائيل وله عينان عين في وجهه وعين في قفاه فقال يا ملك الموت ما تصنع اذا كان نفس
بالمشرق ونفس بالمغرب ووقع الوباء بارض والتقى الزحفان كيف تصنع قال ادعو الارواح باذن
الله فتكون بين اصبعي هاتين قال ودحيت له الارض فتركت مثل الطست بين يديه يتناول
منها حيث يشاء قال وهو يبشره بانه خليل الله تعالى وقال سليمان بن داود لملك الموت عليه السلم ما لي
لا اراك تعدل بين الناس تاخذ هذا وتدع هذا قال ما انا بذلك باعلم منك انما هي صحف او كتب
تلقى الي فيها اسماء وقال وهب بن منبه كان ملك من الملوك اراد ان يركب الى ارض فدعا
بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتى لبس ما اعجبه بعد مرات وكذلك طلب دابة فلم تعجبه
حتى اتى بدواب فركب احسنها فجاء ابليس فنفخ في منخره نفخة فملاه كبرا ثم سار وسارت معه
الخيول وهو لا ينظر الى الناس كبرا فجاءه رجل رث الهيئة فسلم فلم يرد عليه السلم فاخذ بلجام

دابته وقال ارسل اللجام فقد تعب اطيب امر اعطيها قال ان لي اليك حاجة قال اصبر حتى انزل قال لا الآن
فقهره على لجام دابته فقال اذكرها قال هو سر فادني اليه راسه فساره وقال انا ملك الموت فتغير
لون الملك واضطرب لسانه ثم قال دعني حتى ارجع الى اهلي فاقضي لي حاجتي واودعهم قال لا والله
لا ترى اهلك وولدك ابدا فقبض روحه فخر كانه خشبة ثم لقي عبدا مومنا في تلك الحال فسلم فرد السلم
فقال ان لي حاجة اذكرها في اذنك فقال هات فساره فقال انا ملك الموت فقال مرحبا واهلا
بمن طالت غيبته علي فوالله ما كان في الارض غايب احب الي ان القاه منك فقال ملك الموت
اقض حاجتك التي خرجت لها فقال ما لي حاجة اكبر عندي ولا الي احب من لقاء الله تع قال فاختر على
اي حال شيت ان اقبض روحك فقال يقدر على ذلك قال نعم اني امرت بذلك قال فدعني حتى
اتوضا واصلي فاقبض روحي وانا ساجد فقبض روحه وهو ساجد وقال بكر بن عبد الله المزني جمع
رجل من بني اسرائيل مالا فلما اشرف على الموت قال لبنيه اروني اصناف اموالي فاتي بشي كثير من
الخيل والابل والرقيق وغيره فلما نظر اليه بكى تحسرا عليه فراه ملك الموت وهو يبكي فقال ما يبكيك
فوالذي خولك ما انا بخارج من منزلك حتى افرق بين روحك وبدنك قال فالمهلة حتى افرقه قال هيهات
انقطعت عنك المهلة فهلا كان ذلك قبل حضور اجلك فقبض روحه وروي ان رجلا جمع مالا فادعى ولم
يدع صنفا من المال الا اتخذه وابتنى قصرا وجعل عليه بابين وثيقين وجمع عليه حرسا من غلمانه ثم جمع اهله
وصنع لهم طعاما وقعد على سريره ورفع احدى رجليه على الاخرى وهم ياكلون فلما فرغوا قال يا نفس انعمي
لسنين قد جمعت لك ما يكفيك فلم يفرغ من كلامه حتى اقبل اليه ملك الموت في هيئة رجل عليه خلقان
من الثياب في عنقه مخلاة يتشبه بالمساكين فقرع الباب بشدة عظيمة فزعة افزعه وهو على فراشه
فوثب اليه الغلمة وقالوا ما شانك فقال ادعوا الي مولاكم قالوا والى مثلك يخرج مولانا قال نعم فاخبروه بذلك
فقال هلا فعلتم به وفعلتم فقرع الباب قرعة اشد من الاولى فوثب اليه الحرس فقال اخبروه اني ملك الموت
فلما سمعوا القي عليهم الرعب ووقع على مولاهم الذل والتخشع فقال قولوا له قولا لينا وقولوا هل تاخذ معه
احدا فدخل عليه وقال اصنع في مالك ما انت صانع واني لست بخارج منها حتى اخرج نفسك فامر بماله حتى
وضع بين يديه فقال حين راه لعنك الله من مال انت شغلتني عن عبادة ربي ومنعتني ان اتخلى لربي فانطق
الله المال فقال لم تسبني وقد كنت تدخل على السلطان بي ويرد المتقون عن بابهم وكنت تنكح المتنعمات
بي وتجلس مجالس الملوك بي ويرد المتقون وتنفقني في سبيل الشر فلا امتنع منك ولو انفقتني في سبيل
الخير نفعتك خلقت وابن آدم من تراب فمنطلق ببر ومنطلق باثم ثم قبض ملك الموت روحه فسقط وقال

وهب بن منبه قبض ملك الموت روح جبار من الجبابرة ما في الارض مثله ثم عرج الى السماء فقالت الملائكة
لمن كنت اشد رحمة ممن قبضت روحه قال امرت بقبض نفس امراة في فلاة من الارض واتيتها وقد
ولدت مولودا فرحمتها لغربتها ورحمت ولدها لصغره وكونه في فلاة متعهد له فقالت الملائكة الجبار
الذي قبضت الآن روحه هو ذلك المولود الذي رحمته فقال ملك الموت سبحان اللطيف لما يشاء وعن
عطاء بن يسار اذا كان ليلة النصف من شعبان دفع الى ملك الموت صحيفة فيقال اقبض في هذه
السنة من في هذه الصحيفة قال فان العبد ليغرس الغراس وينكح الازواج ويبني البنيان وان
اسمه في تلك الصحيفة وهو لا يدري قال الحسن ما من يوم الا وملك الموت يتصفح كل بيت ثلاث مرات
فمن وجده منهم قد استوفى رزقه وانقضى اجله قبض روحه فاذا قبض روحه اقبل اهله برنة وبكاء فياخذ
ملك الموت بعضادتي الباب فيقول والله ما اكلت له رزقا ولا افنيت له عمرا ولا انتقصت له اجلا وان لي
فيكم لعودة ثم عودة حتى لا ابقي منكم احدا قال الحسن فوالله لو يرون مقامه ويسمعون كلامه لذهلوا
عن ميتهم وليبكوا على انفسهم وقال يزيد الرقاشي بينما جبار من الجبابرة من بني اسرائيل جالسا في منزل
قد خلا ببعض اهله اذ نظر الى شخص قد دخل من باب بيته فثار اليه فزعا مغضبا فقال من انت ومن
ادخلك علي داري قال اما الذي ادخلني الدار فربها واما انا فالذي لا يمنع مني الحجاب ولا استاذن على
الملوك ولا اخاف صولة المتسلطين ولا يمتنع مني كل جبار عنيد ولا شيطان مريد قال فاسقط
في يدي الجبار وارعد حتى سقط منكبا لوجهه ثم رفع اليه راسه مستجديا متذللا فقال له انت
اذا ملك الموت قال انا هو قال فهل انت ممهلي حتى احدث عهدا قال هيهات انقطعت مدتك
وانقضت انفاسك ونفدت ساعاتك فليس الى تاخيرك سبيل قال فالى اين تذهب بي قال الى
عملك الذي قدمته والى بيتك الذي مهدته قال فاني لم اقدم عملا صالحا ولم امهد بيتا حسنا قال
فالى لظى نزاعة للشوى ثم قبض روحه فسقط بين اهله فمن بين صارخ وباكي قال يزيد الرقاشي لو
يعلمون سوء المنقلب كان العويل على ذلك اكثر وعن الاعمش عن خيثمة قال دخل ملك الموت على
سليمان بن داود عليهما السلام فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فلما خرج قال الرجل من
هذا قال هذا ملك الموت قال لقد رايته ينظر الي كانه يريدني قال فماذا تريد قال اريد ان تخلصني منه
فتامر الريح حتى تحملني الى اقصى الهند ففعلت الريح ذلك ثم قال سليمان لملك الموت بعد ان اتاه ثانيا
رايتك تديم النظر الى واحد من جلسائي قال نعم كنت اتعجب منه لاني كنت امرت ان اقبضه باقصى الهند في
ساعة قريبة وهو كان عندك فعجبت من ذلك

الباب الرابع

في وفاة رسول الله عليه السلم والخلفاء الراشدين اعلم ان في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة
حسنة حيا وميتا وفعلا وقولا وجميع احواله عبرة للناظرين وبصيرة للمستبصرين اذ لم يكن احد اكرم على الله
منه اذ كان خليل الله وحبيبه ونجيه وكان صفيه ورسوله ونبيه فانظر هل امهل ساعة عند
انقضاء مدته وهل اخر لحظة بعد حضور منيته لا بل ارسل اليه الملايكة الكرام الموكلين بقبض ارواح
الانام فجدوا بروحه الزكية الكريمة لينقلوها وعالجوها ليرحلوها عن جسده الطاهر الى رحمة ورضوان
وخيرات حسان بل الى مقعد صدق في جوار الرحمن فاشتد مع ذلك في النزع كربه وظهر انينه وترادف
قلقه وارتفع حنينه وتغير لونه وعرق جبينه واضطربت في الانقباض والانبساط شماله ويمينه
حتى بكى لمصرعه من حضره وانتحب لشدة حاله من شاهد منظره فهل رايت منصب النبوة دافعا عنه مقدورا
او هل راقب الملك منه اهلا وعشيرا وهل سامحه اذ كان للحق نصيرا وللخلق بشيرا ونذيرا هيهات
بل امتثل ما كان به مامورا واتبع ما وجده في اللوح مسطورا فهذا كان حاله وهو عند الله ذو المقام
المحمود والحوض المورود وهو اول من تنشق عنه الارض وهو صاحب الشفاعة يوم العرض فالعجب
انا لا نعتبر به ولسنا على ثقة فيما نلقاه بل نحن اسراء الشهوات وقرناء المعاصي والسيئات فما بالنا
لا نتعظ بمصرع محمد سيد المرسلين وامام المتقين وحبيب رب العالمين لعلنا نظن انا مخلدون
او نتوهم انا مع سوء افعالنا عند الله مكرمون هيهات هيهات بل نتيقن انا جميعا على النار
واردون ثم لا ينجو منها الا المتقون فنحن للورود مستيقنون وللصدر عنها متوهمون لا بل
ظلمنا انفسنا ان كنا لذلك بغالب الظن منتظرين فما نحن والله من المتقين وقد قال الله وهو
رب العالمين وان منكم الا واردها الى قوله فيها جثيا فلينظر كل عبد الى نفسه انه الى الظالمين
اقرب ام الى المتقين وانظر الى نفسك بعد ان تنظر الى سيرة السلف الصالحين فلقد كانوا مع
ما وفقوا له من الخائفين ثم انظر الى سيد المرسلين فانه كان من امره على يقين اذ كان سيد
النبيين وقايد المتقين واعتبر كيف كان كربه عند فراق الدنيا وكيف اشتد امره عند الانقلاب
الى الجنة المأوى قال ابن مسعود دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت امنا عايشة
حين دنا الفراق فنظر الينا فدمعت عيناه صلعم ثم قال مرحبا بكم حياكم الله آواكم الله نصركم الله
اوصيكم بتقوى الله واوصيكم الله اني لكم منه نذير مبين الا تعلوا على الله في عباده وبلاده ...
الاجل والمنقلب الى الله والى سدرة المنتهى والى جنة المأوى والكاس الاوفى فاقرؤا على انفسكم
وعلى من دخل في دينكم بعدي مني السلم ورحمة الله وروي انه عليه السلم قال لجبريل عند موته

حنين: ناله نالة كه از سينه برآيد، صراح

انين: آواز برداشتن در گريه، صراح

من لا نبي بعدي فاوحى الله الى جبرئيل ان بشر حبيبي اني لا اخذله في امته وبشره بانه اسرع
الناس خروجا من الارض اذا بعثوا وسيدهم اذا جمعوا وان الجنة محرمة على الامم حتى يدخلها
امته فقال الآن قرت عيني وقالت عايشة امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نصب عليه
من سبعة آبار ففعلنا ذلك فوجد راحة فخرج فصلى بالناس واستغفر لاهل احد
ودعا لهم فاوصى بالانصار فقال اما بعد يا معشر المهاجرين فانكم تزيدون واصبحت الانصار
لا تزيد على هيأتها التي هي عليها اليوم وان الانصار عيبتي التي آويت اليها فاكرموا كريمهم
يعني محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ثم قال ان عبدا خير بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند
الله فبكى ابو بكر رضي الله عنه وظن انه يريد نفسه فقال النبي عليه السلم على رسلك يا ابا بكر
سدوا هذه الابواب الشوارع في المسجد الا باب ابي بكر فاني لا اعلم امرأ افضل عندي في الصحبة
من ابي بكر قالت عايشة قبض عليه السلم في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري وجمع الله بين
ريقي وريقه عند الموت فدخل علي اخي عبد الرحمن وبيده سواك فجعل ينظر اليه فعرفت انه يعجبه
ذلك فقلت آخذه لك فاومى برأسه اي نعم فناولته اياه فادخلته في فيه فاشتد عليه فقلت
الينه لك فاومى برأسه اي نعم فلينته وكان بين يديه ركوة ماء فجعل يدخل يده فيها ويقول
لا اله الا الله ان للموت لسكرات ثم نصب يده ويقول الرفيق الاعلى الرفيق الاعلى فقلت اذن
والله لا يختارنا في الحديث فاستعز برسول الله اي اشتد به المرض واشرف على الموت وروى
سعيد بن عبد الله عن ابيه انه قال لما رأت الانصار ان رسول الله عليه السلم يزداد ثقلا طافوا بالمسجد
فدخل العباس على النبي عليه السلم فاعلمه بمكانهم واشفاقهم ثم دخل عليه الفضل فاعلمه بمثل ذلك
ثم دخل عليه علي بمثله فمد يده وقال ها فتناولوه فقال ما يقولون قالوا يقولون نخشى ان تموت
وتصايح نساؤهم لاجتماع رجالهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فثار رسول الله فخرج متوكئا على علي
والفضل والعباس امامه ورسول الله معصوب الراس يخط برجليه حتى جلس على اسفل مرقاة
من المنبر وثاب الناس اليه فحمد الله واثنى عليه وقال يا ايها الناس بلغني انكم تخافون علي الموت
كانه استنكار منكم للموت وما تنكرون من موت نبيكم الم انع لكم ونعيت اليكم انفسكم هل خلد
نبي قبلي فيمن بعث فاخلد فيكم الا اني لاحق بربي وانكم لاحقون به واني اوصيكم بالمهاجرين
الاولين خيرا واوصى المهاجرين فيما بينهم فان الله عز وجل قال والعصر ان الانسان لفي خسر الى آخرها
وان الامور تجري باذن الله فلا يحملنكم استبطاء امر على استعجاله فان الله عز وجل لا يعجل لعجلة

احد ومن غالب الله غلبه ومن خادعه خدعه فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا
ارحامكم واوصيكم بالانصار خيرا فانهم الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم ان تحسنوا اليهم الم
يشاطروكم الثمار الم يوسعوا عليكم في الديار الم يؤثروكم علي انفسهم وبهم الخصاصة الا فمن ولي
ان يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم الا ولا تستاثروا عليهم الا واني فرط
لكم وانتم لاحقون بي الا وان موعدكم الحوض حوضي اعرض مما بين بصري الشام وصنعا اليمن
يصب فيه ميزاب الكوثر ما اشد بياضا من اللبن والين من الزبد واحلي من الشهد من شرب
منه لم يظما ابدا حصباه اللولو وبطحاوه من مسك من حرمه في الموقف غدا حرم الخير كله الا فمن
احب ان يرد عليه غدا فليكفف لسانه ويده الا مما ينبغي فقال العباس يا نبي الله اوص بقريش
فقال انما اوصي بهذا الامر قريشا والناس تبع لقريش برهم لبرهم وفاجرهم لفاجرهم فاستوصوا
الي قريش بالناس خيرا يا ايها الناس ان الذنوب يغير النعم وتبدل القسم فاذا برّ الناس
برهم ايمتهم واذا فجر الناس عقوهم قال الله عز وجل وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما
كانوا يكسبون وروي ابن مسعود انه قال عليه السلام لابي بكر سل يا ابا بكر فقال يا رسول الله دنا الاجل
فقال قد دنا الاجل وتدلي فقال ليهنك يا نبي الله ما عند الله فليت شعري عن منقلبنا فقال الي الله
قال سدرة المنتهي ثم الي جنه الماوي والفردوس الاعلي والكاس الاوفي والرفيق الاعلي والحظ
الموفي والعيش المهني فقال يا نبي الله من يلي غسلك قال رجال من اهل بيتي الادني فالادني
قال فنيم نكفنك فقال في ثيابي هذه وفي حلة عينيه وفي بياض مصر قال كيف الصلاة عليك
منا وبكينا وبكي ثم قال مهلا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيرا اذا غسلتموني وكفنتموني فضعوني
علي سريري في بيتي هذا علي شفير قبري ثم اخرجوا عني ساعة فان اول من يصلي علي الله عز وجل
هو الذي يصلي عليكم وملائكته ثم ياذن للملائكة في الصلوة علي فاول يدخل علي من خلق الله
ويصلي علي جبرئيل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت مع جنود كثيرة ثم الملائكة باجمعها صلي
الله عليهم اجمعين ثم انتم فادخلوا علي افواجا فصلوا علي افواجا زمرة زمرة وسلموا تسليما ولا تؤذوني
بتزكية ولا صيحة ولا رنة وليبدا منكم الامام واهل بيتي الادني فالادني ثم زمر النسا ثم زمر
الصبيان قال فمن يدخل القبر قال زمر اهل بيتي الادني فالادني مع ملائكة كثير لا ترونهم وهم يرونكم
قوموا فادوا عني الي من بعدي وقال عبد الله بن زمعة جا بلال في اول ربيع الاول فاذن بالصلاة
فقال رسول الله عليه مروا ابا بكر يصلي بالناس فخرجت فلم ار بحضرة الباب الا عمر في رجال ليس فيهم

ابو بكر فقلت قم يا عمر فصل بالناس فقام عمر فلما كبر وكان رجلا صيتا سمع رسول الله عليه السلم
صوته بالتكبير فقال اين ابو بكر يابى الله ذلك والمسلمون قالها ثلث مرات مروا ابا بكر فليصل بالناس
فقالت عايشه يا رسول الله ان ابا بكر رجل رقيق اذا قام في مقامك غلبه البكا فقال انكن صواحبات
يوسف مروا ابا بكر فليصل بالناس قال فصلى ابو بكر بعد الصلوة التي صلى عمر وكان عمر يقول لعبد الله
بن زمعة بعد ذلك ويحك ماذي صنعت بي والله لولا اني ظننت ان رسول الله امرك ما فعلت فيقول
عبد الله اني لم ار احدا اولى بذلك منك قالت عايشه وما قلت ذاك ولا صرفته عن ابي بكر الا رغبة
به عن الدنيا ولما في الولاية من المخاطرة والهلكة الا ما سلم الله وخشيت ايضا ان لا يكون الناس يحبون
رجلا صلى في مقام النبي عليه السلم وهو حي ابدا الا ان يشاء الله يحسدونه ويبغون عليه ويتشئمون به
فاذن الامر امر الله والقضاء قضاوه عصمه الله من كل ما تخوفت من امر الدنيا والدين قالت عايشه اذا
كان اليوم الذي مات فيه رسول الله صلعم رأوا منه في اول النهار خفة فتفرق عنه الرجال الى منازلهم
وحوايجهم مستبشرين واخلوا رسول الله عليه السلم بالنساء فبينا نحن على ذلك لم يكن على مثل حالنا في الرجا
والفرح قبل ذلك قال رسول الله اخرجن عني هذا الملك يستاذن علي فخرج من في البيت غيري وراسه
في حجري فجلس وتنحيت في ناحية البيت فناجى الملك طويلا ثم انه دعاني فاعاد راسه في حجري وقال
للنسوة ادخلن فقلت ما هذا بحس جبرئيل عليه السلم فقال رسول الله اجل يا عايشه هذا ملك الموت
جاءني فقال ان الله ارسلني وامرني ان لا ادخل عليك الا باذن فان لم تاذن لي ارجع وان اذنت لي دخلت
وامرني ان لا اقبضك حتى تامرني فماذا امرك فقلت اكفف حتى ياتيني جبرئيل عليه السلم فهذه ساعة
... قالت عايشه رضي الله عنها فاستقبلنا بامر لم يكن له عندنا جواب ولا راي فوجمنا وكانما ضربنا
بصاخة ما نحير اليه شيا وما يتكلم احد من اهل البيت اعظاما لذلك الامر وهيبة ملات اجوافنا قالت
وجاء جبرئيل في ساعته فسلم فعرفت حسه وخرج اهل البيت فدخل فقال ان الله عز وجل يقرا عليك
السلم ويقول كيف تجدك وهو اعلم بالذي تجد منك ولكن اراد ان يزيدك كرامة وشرفا وان يتم كرامتك وشرفك
على الخلق وان يكون سنة في امتك فقال اجدني وجعا قال ابشر فان الله اراد ان يبلغك ما اعد لك فقال
يا جبرئيل ان ملك الموت ليستاذن علي فاخبره الخبر قال جبرئيل يا محمد ان ربك اليك مشتاق الم اعلمك
... ربك لا والله ما استاذن ملك الموت على احد قط ولا يستاذن عليه ابدا الا ان ربك متم شرفك
وهو اليك مشتاق قال فلا تبرح اذن حتى يجيء واذن للنساء فقال ادني يا فاطمة فاكبت عليه فناجاها
فرفعت راسها ودمعت عيناها يا ودمع وما تطيق الكلام ثم قال ادني مني راسك فاكبت عليه فناجاها فرفعت

رايتها وهي تضحك وما نطقوا بالكلام وكان الذي راينا منها عجبا فسالناها بعد ذلك فقالت اخبرني
وقال اني ميت اليوم فبكيت ثم قال اني دعوت الله ان يلحقك بي في اول اهلي وان يجعلك معي
فاضحكني وادنيت ابنيها منه فشمهما قالت وجاء ملك الموت فسلم فاستاذن فاذن له فقال الملك
ما تامرني يا محمد قال الحقني بربي الآن فقال بلى من يومك هذا اما ان ربك اليك مشتاق ولم يتردد
عن احد تردده عنك ولم ينهني عن الدخول على احد الا باذن غيرك ولكن ساعتك امامك وخرج قالت
وخرج جبرئيل فقال عليك السلم يا رسول الله هذا آخر ما انزل فيه الى الارض ابدا طوي الوحي وطويت
الدنيا وما كانت لي في الارض حاجة غيرك وما لي فيها حاجة الا حضورك ثم لزوم موقفي والا والذي
بعث محمدا بالحق ما في البيت احد يستطيع ان يحير اليه في ذلك كلمة ولا يبعث على احد من رجاله
لعظم ما يسمع من حديثه ووجدنا واشفاقنا قالت فقمت الى النبي عليه السلم حتى اضع راسه
بين ثديي وامسكت بصدره وجعل يغشى عليه حتى يغلب وجبهته ترشح رشحا ما رايته من انسان
قط فجعلت اسلت ذلك العرق وما وجدت رايحة شيء قط اطيب منه فكنت اقول له اذا افاق بابي
وامي ونفسي واهلي ما يلقي جبهتك من الرشح فقال يا عايشة ان نفس المومن يخرج بالرشح ونفس
الكافر يخرج من شدقه كنفس الحمار فعند ذلك ارتعنا وبعثنا الى اهلينا فكان اول رجل جاءنا
ولم يشهده اخي بعثه الي ابي فمات رسول الله قبل ان يجيء احد وانما صدهم الله عنه لانه ولاه جبرئيل
وميكائيل وجعل اذا اغمي عليه قال بل الرفيق الاعلى كان الخيرة تعاد عليه فاذا اطاق الكلام قال
الصلاة الصلاة فانكم لا تزالون متماسكين ما صليتم جميعا الصلاة الصلاة كان يوصي بها حتى
مات وهو يقول الصلاة الصلاة قالت عايشة مات رسول الله بين ارتفاع الضحى وانتصاف
النهار يوم الاثنين قالت فاطمة ما لقيت من يوم الاثنين والله لا يزال الامة تصاب فيها بعظيمة وقالت
ام كلثوم يوم اصيب علي رضي الله عنه بالكوفة مثلها ما لقيت من يوم الاثنين مات فيه رسول الله
وفيه قتل بعلي وفيه قتل ابي فما لقيت من يوم الاثنين وقالت عايشة لما مات رسول الله عليه السلم
اقتحم الناس حين ارتفعت الرنة وسجى رسول الله عليه السلم الملايكة بثوبي فاختلفوا فكذب بعضهم
بموته واخرس بعضهم فما تكلم الا بعد البعد وخلط آخرون فلاثوا الكلام بغير بيان وبقي آخرون
ومعهم عقولهم واقعد آخرون فكان عمر بن الخطاب فيمن كذب بموته وعلي فيمن اقعد وعثمان
فيمن اخرس فخرج عمر على الناس وقال ان رسول الله لم يمت وليرجعنه الله عز وجل وليقطعن ايدي
وارجل من رجال من المنافقين يتمنون لرسول الله الموت انما واعده ربه عز وجل كما واعد موسى

وهو اتيكم وفي رواية انه قال يا ايها الناس كفوا السنتكم عن رسول الله صلى الله عليه فانه لم يمت والله لا
اسمع احدا يذكر ان رسول الله قد مات الا علوته بسيفي هذا واما علي فانه اقعد فلم يبرح البيت
واما عثمان فجعل لا يكلم احدا من المسلمين يؤخذ بيده فيجاء به ويذهب به ولم يكن احد من المسلمين
في مثل حال ابي بكر والعباس فان الله عز وجل عزم لهما على التوفيق والسداد وان كان الناس
لم يرعووا الا بقول ابي بكر جاء العباس فقال والله الذي لا اله الا هو لقد ذاق رسول الله الموت ولقد
قال الله وهو بين اظهركم انك ميت وانهم ميتون الآية وبلغ ابو بكر رضي الله عنه الخبر وهو في بني الحرث
بن الخزرج فجاء فدخل على رسول الله عليه السلام فنظر اليه ثم اكب عليه فقبله ثم قال بابي انت
وامي ما كان الله ليذيقك الموت مرتين فقد والله توفي رسول الله عليه السلام ثم خرج الى الناس
فقال ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد رب محمد فانه حي لا يموت
قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افاين مات او قتل الآية فكان الناس
لم يسمعوا هذه الآية الا يومئذ وفي رواية ان ابا بكر لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله وهو يصلي
على النبي وعيناه تهملان وغصصه ترتفع كقطع الجرة وهو في ذلك جلد الفعل والمقال فاكب
عليه فكشف عن وجهه وقبل جبينه وخديه ومسح وجهه وجعل يبكي ويقول بابي انت وامي
ونفسي واهلي طبت حيا وميتا انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت احد من الانبياء وهو النبوة
تعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء وخصصت حتى صرت مسلية وعممت حتى صرنا فيك
سوا ولولا ان موتك كان اختيارا منك جدنا لحزنك بالنفوس ولولا انك نهيت عن البكاء لانفدنا
عليك ما الشؤون فاما ما لا نستطيع نفيه عنا فكمد وادكار محالفان لا يبرحان اللهم فابلغه
عنا اذكرنا يا محمد صلى الله عليك عند ربك ولنكن من بالك فلولا ما خلفت من السكينة لم يقم
احد لما خلفت من الوحشة اللهم ابلغ نبيك عنا واحفظه فينا وعن ابن عمر انه لما دخل ابو بكر
البيت وصلى واثنى عج اهل البيت عجيجا سمعه اهل المصلى كلما ذكر شيئا ازدادوا فما سكن عجيجهم
الا تسليم رجل على الباب صيت جلد قال السلام عليكم يا اهل البيت كل نفس ذائقة الموت الآية
ان في الله خلفا من كل احد ودركا لكل رغبة ونجاة من كل مخافة فالله فارجوا وبه فثقوا فاستمعوا
له وانكروه وقطعوا البكاء فلما انقطع البكاء فقد صوته فاطلع احدهم فلم ير احدا ثم عادوا فبكوا
فناداهم مناد آخر لا يعرفون صوته يا اهل البيت اذكروا الله واحمدوه على كل حال تكونوا من
المخلصين ان في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل رغيبة فالله فاطيعوا وبامره فاعملوا

فقال ابو بكر هذا الحضر ما اليسع حضر النبي عليه السلم واستوفي القعقاع بن عمرو حكاية خطبه
ابي بكر قال فقام ابو بكر رضي الله عنه في الناس خطيبا حين قضى الناس عبراتهم بخطبة جلها
الصلاة علي النبي فحمد الله علي كل حال واثنى عليه وقال اشهد ان لا اله الا الله وحده
صدق وعده ونصر عبده وغلب الاحزاب وحده واشهد ان محمدا عبده ورسوله وخاتم انبيائه
واشهد ان الكتاب كما نزل وان الدين كما شرع وان الحديث كما حدث وان القول كما قال
وان الله هو الحق المبين اللهم فصل علي محمد عبدك ورسولك ونبيك وحبيبك وامينك وخيرتك
وصفوتك بافضل ما صليت به علي احد من خلقك اللهم اجعل صلواتك ومعافاتك ورحمتك
وبركاتك علي سيد المرسلين وخاتم النبيين وامام المتقين محمد قايد الخير وامام الخير ورسول
الرحمة اللهم قرب زلفته وعظم برهانه وكرم مقامه وابعثه مقاما محمودا يغبطه به الاولون
والاخرون وانفعنا بمقامه المحمود يوم القيمة واخلفه فينا في الدنيا والاخرة وبلغه الدرجة
والوسيلة من الجنة اللهم صل علي محمد وعلي آل محمد وبارك علي محمد وآل محمد كما صليت وباركت
علي ابرهيم انك حميد مجيد ايها الناس انه من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان
يعبد الله فان الله حي لم يمت وان الله قد تقدم اليكم في امره فلا تدعوه جزعا فان الله قد
اختار لنبيه عليه السلم ما عنده علي ما عندكم وقبضه الي ثوابه وخلف فيكم كتابه وسنة
نبيه عليه السلم فمن اخذ بهما عرف ومن فرق بينهما انكر يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط
ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ولا يفتننكم عن دينكم وعاجلوا الشيطان بالخير تعجزوه
ولا تستنظروه فيلحق بكم ويفتنكم وقال ابن عباس لما فرغ ابو بكر من خطبته قال يا عمر
انت الذي بلغني انك تقول ما مات نبي الله عليه السلم اما ترى ان نبي الله عليه السلم قال يوم كذا
وكذا ويوم كذا وكذا وقال تعالى في كتابه انك ميت وانهم ميتون قال والله لكاني لم اسمع بها
في كتاب الله قبل الان لما نزل بنا اشهد ان الكتاب كما نزل وان الحديث كما حدث وان الله
حي لا يموت انا لله وانا اليه راجعون وصلوات الله علي رسوله وعند الله نحتسب رسول الله عليه السلم
ثم جلس الي ابي بكر وقالت عايشة لما اجتمعوا لغسله قالوا والله لا ندري كيف نغسل رسول
الله انجرده عن ثيابه كما نصنع بموتانا او نغسله في ثيابه قالت فارسل الله عليهم النوم حتى
ما بقي منهم رجل الا واضع لحيته في صدره نايما ثم قال قايل لا ندري من هو اغسلوا النبي عليه السلم
وعليه ثيابه فانتبهوا ففعلوا ذلك فغسل رسول الله في قميصه حتى اذا فرغ من غسله كفن

وقال علي رضي الله عنه اردنا خلع قميصه فنودينا لا تخلعوا عن رسول الله ثيابه فاقررناه فغسلناه
في قميصه كما نغسل موتانا مستلقيا ما نشاء ان نقلب لنا منه عضو لما نبالغ فيه الا قلب لنا
حتى نفرغ منه وان معنا لحفيفا في البيت كالريح الرخا ويصوت بنا ارفقوا برسول الله فانكم
ستكفون فهكذا كان وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يترك سبدا ولا لبدا الا دفن معه
قال ابو جعفر فرش لحده بفرشته وقطيفته وفرشت ثيابه عليها التي كان يلبس يقظانا على القطيفة
والمفرش ثم وضع عليها في اكفانه فلم يترك بعد وفاته مالا ولا بنى في حيوته لبنة على لبنة ولا قصبة
على قصبة وفي وفاته عبرة تامة وللمسلمين فيه اسوة حسنة وفات ابو بكر رضي الله عنه لما حضر
ابو بكر جاءت عايشة فتمثلت بهذا البيت لعمرك ما يغني الثرى عن الفتى اذا حشرجت يوما
وضاق به الصدر فكشف عن وجهه وقال ليس كذلك ولكن قولي وجاءت سكرة الموت بالحق
ذلك ما كنت منه تحيد انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما وكفنوني فيهما فان الحي الى الجديد احوج
من الميت وقالت عايشة عند موته وابيض يستسقى الغمام بوجهه ربيع اليتامى عصمة للارامل
فقال ابو بكر ذاك رسول الله عليه السلم ودخلوا عليه وقالوا الا ندعو لك طبيبا ينظر اليك فقال
قد نظر الي وقال لي اني فعال لما اريد ودخل سلمان الفارسي عليه يعوده فقال يا ابا بكر اوصنا
فقال ان الله فاتح عليكم الدنيا فلا تاخذن منها الا بلاغك واعلم ان من صلى صلوة الصبح فهو
في ذمة الله فلا تخفرن الله في ذمته فيكبك في النار على وجهك ولما ثقل ابو بكر واراد الناس
ان يستخلف فاستخلف عمر فقال الناس استخلف علينا فظا غليظا فماذا تقول لربك
فقال اقول استخلفت على خلقك خير خلقك ثم ارسل الى عمر فجاء فقال اني موصيك بوصية
اعلم ان لله تعالى حقا في النهار لا يقبله بالليل وان له حقا بالليل لا يقبله بالنهار وانه
لا يقبل النافلة حتى تؤدي الفريضة وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيمة
باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحق ان يثقل وانما
خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيمة باتباع الباطل وخفته عليهم وحق لميزان
لا يوضع فيه الا الباطل وان يخف وان الله ذكر اهل الجنة باحسن اعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم
فيقول القايل انا دون هؤلاء ولا ابلغ مبلغ هؤلاء وان الله ذكر اهل النار باسوء اعمالهم ورد عليهم
صالح الذي عملوا فيقول القايل انا افضل من هؤلاء وان الله ذكر آية الرحمة وآية العذاب ليكون
المؤمن راغبا راهبا ولا يلقي بيديه الى التهلكة ولا يتمنى على الله غير الحق فان حفظت وصيتي هذه

فلا يكون غايب احب اليك من الموت ولابد لك منه وان ضيعت وضيقي ولا يكون غايب ابغض اليك من الموت
ولستما بمعجز وقال سعيد بن المسيب لما احتضر ابو بكر اتاه ناس من اصحابه فقالوا يا خليفة رسول
الله زودنا فانا نراك لما بك فقال ابو بكر من قال هولا الكلمات حين يمسي وحين يصبح ثم مات جعل
الله روحه في الافق المبين قالوا وما الافق المبين قال قاع بين يدي العرش فيه رياض وانهار واشجار
يغشاه كل يوم مائة رحمة فمن قال هذا القول جعل الله روحه في ذلك المكان اللهم انك ابتدات
الخلق من غير حاجة بك اليهم بل منا منك عليهم ثم جعلتهم فريقين فريقا للنعيم وفريقا للسعير فاجعلني
للنعيم ولا تجعلني للسعير اللهم انك خلقت الخلق فرقا وميزتهم طرقا قبل ان تخلقهم فجعلت منهم
شقيا وسعيدا وغويا ورشيدا فاسعدني بطاعتك ولا تشقني بمعاصيك اللهم انك علمت ما تكسب
كل نفس قبل ان تخلقها فلا محيص لهم مما علمت هولا فاجعلني ممن تستعمله بطاعتك اللهم ان احدا
لا يشا حتى تشا فاجعل مشيتك لي ان اشا ما يقربني اليك اللهم انك قدرت حركات العباد
فلا يتحرك شي الا باذنك فاجعل حركاتي كلها في تقواك اللهم انك قد خلقت الخير والشر وجعلت
لكل واحد منهما اهلا عاملا يعمل به فاجعلني من خير القسمين اللهم انك خلقت الجنة والنار وجعلت
لكل واحد منهما اهلا فاجعلني من سكان جنتك اللهم انك اردت بقوم الهدي وشرحت صدورهم
واردت بقوم الضلال وضيقت به صدورهم واردت بقوم الايمان وشرحت به صدورهم فاشرح
صدري للايمان وزينه في قلبي وكره الي الكفر والفسوق والعصيان واجعلني من الراشدين
اللهم انك دبرت الامور فجعلت مصيرها اليك فاحيني بعد الموت حيوة طيبة وقربني اليك زلفي
اللهم من اصبح وامسي ثقته ورجاوه غيرك فانت ثقتي ورجايي ولا حول ولا قوة الا بالله قال ابو بكر
هذا كله في كتاب الله **وفات عمر رضي الله عنه** قال عمرو بن ميمون كنت قايما غداة اصيب
عمر ما بيني وبينه الا عبد الله بن عباس وكان اذا مر بين الصفين قام بينهما فاذا راي خللا قال
استووا حتى اذا لم ير فيهم خللا تقدم فكبر قال فربما قرا سورة يوسف او النحل او نحو ذلك في الركعة
الاولي حتى يجتمع الناس فما هو الا ان كبر فسمعته يقول قتلني او اكلني الكلب حين طعنه ابو لولوة
فطار العلج بسكين ذات طرفين لا يمر علي احد يمينا وشمالا الا طعنه حتى طعن ثلثة عشر رجلا فمات
منهم تسعة وفي رواية سبعة فلما راي ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا فلما ظن العلج انه ماخوذ
نحر نفسه وتناول عمر عبد الرحمن بن عوف فقدمه فاما من كان يلي عمر فقد راي ما رايته واما
نواحي المسجد فلا يدرون ما الامر غير انهم فقدوا صوت عمر وهم يقولون سبحان الله سبحان الله فصلي بهم

عبد الرحمن صلاة خفيفة فلما انصرفوا قال عمر يا ابن عباس انظر من قتلني قال فجال ساعة ثم جاء
فقال غلام المغيرة بن شعبة قال قاتله الله لقد كنت امرت به معروفا ثم قال الحمد لله الذي لم
يجعل منيتي بيد رجل مسلم قد كنت انت وابوك تحبان ان تكثر العلوج بالمدينة وكان العباس اكثرهم
رقيقا فقال ابن عباس ان شئت فعلت اي ان شئت قتلناهم قال بعد ما تكلموا بلسانكم وصلوا
الى قبلتكم وحجوا حجكم فاحتمل الى بيته فانطلقنا معه قال وكان الناس لم تصبهم مصيبة
قبل يومئذ قال فقايل يقول اخاف عليه وقايل يقول لا باس فاتي بنبيذ فشرب منه فخرج من
جرحه ثم اتي بلبن فشرب منه فخرج من جرحه فعرفوا انه ميت قال فدخلنا عليه وجاء الناس يثنون
عليه وجاء رجل شاب فقال ابشر يا امير المومنين ببشرى من الله عز وجل قد كان لك من صحبة
رسول الله عليه السلم وقدم في الاسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت ثم شهادة فقال وددت
ان ذلك كان كفافا لا علي ولا لي فلما ادبر الرجل اذا ازاره يمس الارض فقال ردوا علي الغلام
فقال يا ابن اخي ارفع ثوبك فانه ابقى لثوبك واتقى لربك ثم قال يا عبد الله انظر ما علي من الدين فحسبوه
فوجدوه ستة وثمانين الفا ونحوه فقال ان وفى به مال آل عمر فاده من اموالهم والا فسل في بني
عدي بن كعب فان لم يف اموالهم فسل من قريش ولا تعدهم الى غيرهم وادّ عني هذا المال انطلق
الى ام المومنين عايشه فقل عمر يقرا عليك السلم ولا تقل امير المومنين فاني لست اليوم للمومنين اميرا
وقل يستاذن عمر بن الخطاب ان يدفن مع صاحبيه فذهب عبد الله فسلم واستاذن ثم دخل
عليها فوجدها قاعدة تبكي فقال يقرا عليك عمر بن الخطاب السلم ويستاذن ان يدفن مع
صاحبيه فقالت كنت اريده لنفسي ولاوثرنه اليوم على نفسي فلما اقبل قيل هذا عبد الله بن عمر
قد جا فقال ارفعوني فاسنده رجل اليه فقال ما لديك قال الذي تحب يا امير المومنين اذنت قال
الحمد لله ما كان شي اهم الي من ذلك فاذا انا قضيت فاحملوني ثم سلم وقل يستاذن عمر فان اذنت
لي فادخلوني وان ردتني ردوني الى مقابر المسلمين ثم جاءت ام المومنين حفصة والنساء يسترنها
فلما رايناها قمنا فولجت عليه فبكت عنده ساعة واستاذن الرجال فولجت داخلا فسمعنا بكاها
من الداخل فقالوا اوص يا امير المومنين استخلف قال ما ارى احق بهذا الامر من هولاء النفر الذين
توفي رسول الله عليه السلم وهو عنهم راض فسمى عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعيدا وعبد الرحمن
بن عوف وقال يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الامر شي كهيئة التعزية له فان اصابت الامارة
سعدا فذلك والا فليستعن به ايكم امر فاني لم اعزله من عجز ولا خيانة ولكن اوصي الخليفة من بعدي

بالمهاجرين الاولين ان يعرف لهم ويحفظ لهم حرمتهم واوصيه بالانصار خيرا الذين تبوؤا الدار والايمان
من قبلهم ان يقبل من محسنهم وان يعفى عن مسيئهم واوصيه باهل الامصار خيرا فانهم ردء الاسلام
وجباة المال وغيظ العدو وان لا يوخذ منهم الا فضلهم عن رضا منهم واوصيه بالاعراب خيرا فانهم
اصل العرب ومادة الاسلام ان يوخذ من حواشي اموالهم ويرد علي فقرائهم واوصيه بذمة الله وذمة
رسوله صلى الله عليه وسلم ان يوفي لهم بعهدهم وان يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا الا طاقتهم قال فلما قبض
خرجنا به فانطلقنا نمشي فسلم عبد الله بن عمر وقال يستاذن عمر بن الخطاب قالت ادخلوه فادخل
فوضع هنالك مع صاحبيه الحديث وروي عن النبي عليه السلم قال قال لي جبريل ليبك الاسلام على
موت عمر وعن ابن عباس قال وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل ان يرفع
وانا فيهم فلم يرعني الا رجل قد اخذ بمنكبي فالتفت فاذا هو علي بن ابي طالب فترحم على عمر وقال
ما خلفت احدا احب الي من ان القى الله بمثل عمله منك وايم الله وان كنت لاظن ليجعلنك الله مع صاحبيك
وذلك اني كنت كثيرا اسمع النبي عليه السلم يقول ذهبت انا وابو بكر وعمر ودخلت انا وابو بكر وعمر وخرجت
انا وابو بكر وعمر فان كنت لارجو ولاظن ان يجعلك الله معهما وفاة عثمان رضي الله عنه
الحديث في قتله مشهور وقد قال عبد الله بن سلام اتيت اخي عثمان لاسلم عليه وهو محصور فدخلت
عليه فقال مرحبا يا اخي رايت رسول الله الليلة في هذه الخوخة وخوخة في البيت فقال يا عثمان
حصروك قلت نعم قال اعطشوك قلت نعم قال فادلى دلوا فيه ماء فشربت حتى رويت حتى اني لاجد
برده بين ثديي وبين كتفي وقال لي ان شئت نصرت عليهم وان شئت افطرت عندنا فاخترت
ان افطر عنده فقتل ذلك اليوم رحمه الله وقال عبد الله بن سلام لمن حضر تشحط عثمان في الموت
حين جرح ماذا قال عثمان وهو يتشحط قالوا سمعناه يقول اللهم اجمع امة محمد صلى الله عليه وسلم
ثلثا قال والذي نفسي بيده لو دعا الله ان لا يجتمعوا ابدا ما اجتمعوا الى يوم [illegible]
حزن القشيري قال شهدت الدار حين اشرف عليهم عثمان رضي الله عنه فقال ايتوني بصاحبيكم
اللذين البّاكم علي قال فجي بهما كانهما جملان او حماران فاشرف عليهم عثمان فقال انشدكم بالله
والاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينه وليس بها ما يستعذب غير بير
رومه فقال من يشتري بير رومه فيجعل دلوه مع دلا المسلمين بخير له منها في الجنة فاشتريتها من
صلب مالي فانتم اليوم تمنعوني ان اشرب منها ومن ماء البحر قالوا اللهم نعم قال انشدكم
بالله والاسلام هل تعلمون ان المسجد ضاق باهله فقال رسول الله من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها

في المسجد بخير له منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي فانتم اليوم تمنعوننى ان اصلي فيها ركعتين
قالوا اللهم نعم قال انشدكم بالله والاسلام هل تعلمون انى جهزت جيش العسرة من مالي قالوا اللهم
نعم ثم قال انشدكم الله والاسلام هل تعلمون ان رسول الله كان علي ثبير مكة ومعه ابو بكر وعمر وانا
فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض قال فركضه برجله فقال اسكن ثبير فما عليك الا نبي
وصديق وشهيدان قالوا اللهم نعم قال الله اكبر شهدوا لي ورب الكعبة اني شهيد وروي عن شيخ
من بني ضبة ان عثمان حين ضرب والدماء يسيل علي لحيته جعل يقول لا اله الا انت سبحانك اني
كنت من الظالمين اللهم اني استعديك عليهم واستعينك علي جميع اموري واسئلك الصبر علي ما
ابتليتني به وفاة علي والحسن والحسين رضي الله عنهم قال الاصبغ الحنظلي لما كانت الليلة
التي اصيب فيها علي رضي الله عنه اتاه ابن التياح حين طلع الفجر يؤذنه بالصلاة وهو مضطجع متثاقل
فعاد الثانية وهو كذلك ثم عاد الثالثة فقام علي يمشي وهو يقول اشدد حيازيمك للموت
فان الموت لاقيك ولا تجزع من الموت اذا حل بواديك فلما بلغ الباب الصغير شد عليه ابن ملجم
فضربه فخرجت ام كلثوم ابنت علي فجعلت يقول مالي ولصلاة الغداة قتل زوجي امير المومنين
صلاة الغداة وقتل ابي صلاة الغداة وعن شيخ من قريش ان عليا رضي الله عنه لما ضربه ابن ملجم
قال فزت ورب الكعبة وعن محمد بن علي انه لما ضرب اوصي بنيه ثم لم ينطق الا بلا اله الا
الله حتى قبض ولما ثقل الحسن بن علي دخل عليه الحسين رضي الله عنهما فقال يا اخي لاي شي
تجزع تقدم علي رسول الله وعلي علي بن ابي طالب وهما ابواك وعلي خديجة بنت خويلد وفاطمة
بنت محمد وهما اماك وعلي حمزة وجعفر وهما عماك فقال يا اخي اقدم علي امر لم اقدم علي مثله وعن
محمد بن الحسن قال لما نزل القوم بالحسين بن علي وايقن انهم قاتلوه قام في اصحابه خطيبا فحمد
الله واثني عليه ثم قال قد نزل من الامر ما ترون ان الدنيا قد تغيرت وتنكرت وادبر معروفها
وتشمرت حتى لم يبق منها الا صبابة كصبابة الاناء الا خسيس عيش كالمرعي الوبيل الا ترون الحق لا
يعمل به والباطل لا يتناهي عنه ليرغب المومن في لقاء الله فاني لا اري الموت الا سعادة والحيوة
مع الظالمين الا برما

الباب الخامس

في كلام المحتضرين من الخلفاء والامراء والصالحين لما حضرت معوية بن ابي سفيان
الوفاة [illegible] قال اقعدوني فاقعد فجعل يسبح الله ويذكره ثم بكي وقال تذكر ربك يا معوية بعد الهرم
والانحطاط الا كان هذا وغصن الشباب نضر ريان وبكي حتى علا بكاؤه وقال يا رب ارحم الشيخ

العاصي ذا القلب القاسي اقل العثرة واغفر الزلة وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ولم يثق باحد
سواك وروي شيخ من قريش انه دخل مع جماعة عليه في مرضه فرأوا في جلده غضونا فحمد الله
واثنى عليه ثم قال اما بعد فهل الدنيا اجمع الا ما جربنا ورأينا اما والله لقد استقبلنا زهرتها
بجدتها وباستلذاذنا بعيشنا فما لبثت الدنيا ان نقضت ذلك منا حالا بعد حال وعروة
بعد عروة فاصبحت الدنيا قد وترتنا واخلقتنا واستلامت الينا واف للدنيا من دار ثم اف
لها من دار ويروى ان آخر خطبة خطبها معوية ان قال ايها الناس ان من زرع قد استحصد
واني قد وليتكم ولن يليكم احد بعدي الا من هو شر مني كما كان من قبلي خيرا مني ويا يزيد اذا
وفى اجلي فول غسلي رجلا لبيبا فان اللبيب من الله بمكان فلينعم الغسل وليجهر
بالتكبير ثم اعمد الى منديل في الخزانة فيه ثوب من ثياب النبي صلى الله عليه وسلم وقراضة من
شعره واظفاره فاستودع القراضة انفي وفمي واذني وعيني واجعل الثوب على جلدي دون
اكفاني ويا يزيد احفظ وصية الله في الوالدين فاذا ادرجتموني في جريدتي ووضعتموني في
في حفرتي فخلوا معاوية وارحم الراحمين وقال محمد بن عقبة لما نزل بمعوية الموت قال يا ليتني
كنت رجلا من قريش بذي طوى واني لم ال من هذا الامر شيئا ولما حضر عبد الملك بن مروان
الوفاة نظر الى غسال بجانب دمشق يلوي ثوبا بيده ثم يضرب به المغسلة فقال عبد الملك
والله ليتني كنت غسالا لا اكل كسب يدي يوما بيوم ولم ال من امر الناس شيئا فبلغ ذلك ابا حازم
فقال الحمد لله الذي جعلهم اذا حضرهم الموت يتمنون ما نحن فيه واذا حضرنا الموت لم نتمن
ما هم فيه وقيل لعبد الملك بن مروان في مرضه كيف تجدك يا امير المومنين قال اجدني كما قال
الله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة الآية وقالت فاطمة بنت عبد الملك
امرأة عمر بن عبد العزيز كنت اسمع عمر في مرضه الذي مات فيه يقول اللهم اخف عليهم
موتي ولو ساعة من نهار فلما كان اليوم الذي قبض فيه خرجت من عنده فجلست في بيت
آخر بيني وبينه باب وهو في قبة له فسمعته يقول تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون
علوا في الارض الآية ثم هدأ فجعلت لا اسمع له حركة ولا كلاما فقلت لوصيف له انظر انائم
هو فلما دخل صاح فوثبت فاذا هو ميت وقيل له لما حضره الموت اعهد يا امير المومنين
قال احذركم مثل مصرعي هذا فانه لابد لكم منه وروي انه لما ثقل عمر بن عبد العزيز دعي له
طبيب فلما نظر اليه قال ارى الرجل قد سقي السم ولا آمن عليه الموت فرفع عمر بصره وقال

ولا امن الموت ايضا على من لم يسق السم قال الطبيب هل احسست بذلك يا امير المومنين
قال نعم قد عرفت ذلك حين وقع في بطني قال الفعالج يا امير المومنين فاني اخاف ان تذهب
نفسك قال رزقي خير منهب اليه والله لو علمت ان شفائي عند شحمة اذني ما رفعت يدي الى
اذني فتناولته اللهم خر لعمر في لقائك فلم يلبث الا اياما حتى مات وقيل لما حضرة الوفاة بكى
كثيرا فقيل ما يبكيك يا امير المومنين ابشر فقد احيا الله بك سننا واظهر بك عدلا فبكى ثم قال
اليس اوقف فاسئل عن امر هذا الخلق فوالله لو عدلت فيهم لخفت على نفسي الا تقوم بحجتها بين يدي الله
الا ان يلقنها حجتها فكيف بكثير مما صنعنا وفاضت عيناه فلم يلبث الا يسيرا حتى مات ولما قرب
وقت موته قال اجلسوني فاجلسوه فقال انا الذي امرتني فقصرت ونهيتني فعصيت ثلاث مرات
ولكن لا اله الا الله ثم رفع راسه فاحد النظر فقيل له في ذلك فقال اني لارى حضرة ما هم ناس
ولا جن ثم قبض وحكى عن هرون الرشيد انه انتقى اكفانه عند الموت بيده وكان ينظر اليها ويقول
ما اغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه وفرش المامون رمادا واضطجع عليه وكان يقول
يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه وكان المعتصم يقول عند موته لو علمت ان عمري هكذا
قصير ما فعلت ما فعلت وكان المنتصر يضطرب على نفسه عند موته فقيل له لا باس عليك يا امير
المومنين فقال ليس الا هذا لقد ذهبت الدنيا والآخرة وقال عمرو بن العاص في الوفاة
وقد نظر الى صناديق لبيته من ياخذها بما فيها ليته كان بعيرا وقال الحجاج عند موته
اللهم اغفر لي فان الناس يقولون انك لا تغفر لي فكان عمر بن عبد العزيز يعجبه هذه
الكلمة منه ويغبطه عليها ولما حكي ذلك للحسين قال اقالها قيل نعم قال عسى فهذه
اقاويل جماعة من خصوص الصالحين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من اهل التصوف
ولما حضر معاذ رضي الله عنه الوفاة قال اللهم اني قد كنت اخافك وانا اليوم ارجوك اللهم
انك تعلم اني لم اكن احب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الانهار ولا لغرس الاشجار ولكن لظما
الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر ولما اشتد به النزع ونزع
نزعا لم ينزعه احد فكان كلما افاق من غمرة فتح طرفه ثم قال رب اخنقني خنقك فوعزتك انك تعلم
ان قلبي يحبك ولما حضر سلمان الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك قال ما ابكي جزعا على الدنيا ولكن عهد
الينا رسول الله صلى الله عليه ان يكون بلغة احدنا من الدنيا كزاد الراكب فلما مات سلمان نظر في جميع
ما ترك فاذا قيمته بضعة عشر درهما ولما حضر بلال الوفاة قالت امراته واحزناه فقال بل واطرباه

غدا نلقى الاحبة محمدا وحزبه وقيل فتح عبد الله بن المبارك عينيه عند الوفاة وضحك وقال لمثل هذا
فليعمل العاملون ولما حضر ابرهيم النخعي الوفاة بكى فقيل ما يبكيك قال انتظر من الله رسولا يبشرني
بالجنة او بالنار وحضر ابن المنكدر الوفاة فبكى فقيل ما يبكيك فقال والله ما ابكي لذنب اعلم اني اتيته
ولكن اخاف اني اتيت شيئا حسبته هينا وهو عند الله عظيم ولما حضرت عامر بن عبد قيس الوفاة
بكى فقيل ما يبكيك قال ما ابكي جزعا من الموت ولا حرصا على الدنيا ولكن ابكي على ما تفوتني من ظما
الهواجر وعلى قيام الليل بالشتاء ولما فضل فضيلا الوفاة غشي عليه ثم فتح عينيه وقال وابعد سفري
وقلة زادي ولما حضرت ابن المبارك الوفاة قال لنصر مولاه اجعل راسي على التراب فبكى نصر فقال
له ما يبكيك قال ذكرت ما كنت فيه من النعيم وانت هو ذا تموت فقيرا غريبا قال اسكت فاني سالت
الله ان يحييني حياة الاغنياء وان يميتني موت الفقراء ثم قال له لقني ولا تعد علي ما لم اتكلم بكلام ثان
وقال عطاء بن يسار تبدى ابليس لرجل عند الموت فقال له نجوت فقال ما امنتك بعد وبكى بعضهم عند
الموت فقيل له ما يبكيك قال آية من كتاب الله تعالى قوله انما يتقبل الله من المتقين ودخل الحسين على رجل
يجود بنفسه فقال ان امرا هذا اوله لينبغي ان يتقى آخره وان امرا هذا آخره لينبغي ان يزهد في اوله قال
الجريري كنت عند الجنيد في حال نزعه وكان يوم الجمعة ويوم النيروز وهو يقرا القرآن فختم فقلت في هذه
الحالة يا ابا القسم فقال ومن اولى بذلك مني وها هو ذا يطوى صحيفتي وقال رويم حضرت وفاة ابي سعيد
الخراز وهو يقول حنين قلوب العارفين الى الذكر وتذكارهم وقت المناجاة للسر اديرت كؤوس للمنايا عليهم
فاغفوا عن الدنيا كاغفاء ذي السكر همومهم جوالة بمعسكر به اهل ود الله كالانجم الزهر فاجسامهم في الارض قتلى بحبه
وارواحهم في الحجب نحو العلى تسري فما عرسوا الا بقرب حبيبهم وما عرجوا من مس بؤس ولا ضر وقيل للجنيد
ان ابا سعيد الخراز كان كثير التواجد عند الموت فقال لم يكن بعجب ان تطير روحه اشتياقا وقيل
لذي النون عند موته ما تشتهي قال ان اعرفه قبل موتي بلحظة وقيل لبعضهم [illegible] الله
قال الى متى تقولون وانا محترق بالله وقال بعضهم كنت عند ممشاد الدينوري فقدم فقير فقال السلام عليكم
هل ههنا موضع نظيف يمكن الانسان ان يموت فيه قال فاشاروا اليه بمكان فكان ثم عين ماء فجدد
الفقير الوضوء وركع ما شاء الله ومضى الى ذلك المكان ومد رجليه ومات وكان ابو العباس الدينوري
يتكلم في مجلسه فصاحت امراة تواجدا فقال لها موتي فقامت المراة فلما بلغت باب الدار التفتت
اليه وقالت قد مت ووقعت ميتة ويحكى عن فاطمة اخت ابي علي الروذباري قالت لما قرب ابو علي
الروذباري وكان راسه في حجري فتح عينيه وقال هذه ابواب السماء قد فتحت وهذه الجنان قد زينت

وهنا قايل يقول يا ابا علي قد بلغناك الرتبة القصوى وان لم تزدها ثم انشا يقول

وحقك لا نظرت الي سواكا ۔ بعين مودة حتى اراكا
اراك معذبي بفتور لحظ ۔ وبالخد المورد من جناكا

وقيل للجنيد قل لا اله الا الله فقال ما نسيته فاذكره وسال جعفر بن نصر بكران الدينوري خادم الشبلي ما الذي رايت منه فقال قل علي درهم مظلمة وتصدقت عن صاحبه بالوف فما على قلبي شغل اعظم منه ثم قال علي درهم مظلمة وتصدقت عن صاحبه بالوف فما علي قلبي شغل اعظم منه ثم قال وضيني للصلاة ففعلت فنسيت تخليل لحيته وقد امسك على لسانه فقبض علي يدي وادخلها في لحيته ثم مات فبكى جعفر وقال ما تقولون في رجل لم يفته في آخر عمره ادب من آداب الشريعة وقيل لبشر بن الحرث لما احتضر وكان يشق عليه كانك تحب الحيوة فقال القدوم على الله شديد وقيل لصالح بن مسمار الا توصي بابنك وعيالك فقال اني لاستحي من الله ان اوصي بهم الي غيره ولما احتضر ابو سليمان الداراني اتاه اصحابه فقالوا ابشر فانك تقدم علي رب غفور رحيم فقال لهم الا تقولون احذر فانك تقدم على رب يحاسبك بالصغير ويعاقبك بالكبير ولما احتضر الواسطي قيل له اوصنا قال احفظوا مراد الحق فيكم واحتضر بعضهم فبكت امراته فقال لها ما يبكيك فقالت عليك ابكي فقال ان كنت باكية فابكي على نفسك فلقد بكيت لهذا اليوم اربعين سنة وقال الجنيد دخلت علي السري السقطي اعوده في مرض موته فقلت كيف تجدك فانشا

كيف اشكو الي طبيبي ما بي ۔ والذي بي اصابني من طبيبي

فاخذت المروحة لاروحه فقال كيف يجد ريح المروحة من جوفه يحترق ثم انشا يقول

القلب محترق والدمع مستبق ۔ والكرب مجتمع والصبر مفترق
كيف القرار على من لا قرار له ۔ مما جناه الهوى والشوق والقلق
يا رب ان يك شي فيه لو فرج ۔ فامنن علي ما به دام في رمق

وحكي ان قوما من اصحاب الشبلي دخلوا عليه وهو في الموت فقالوا له قل لا اله الا الله فانشا يقول

ان بيتا انت ساكنه ۔ غير محتاج الي السرج
وجهك المامول حجتنا ۔ يوم ياتي الناس بالحجج
لا اتاح الله لي فرجا ۔ يوم ادعو منك بالفرج

وحكي ان ابا العباس بن عطا دخل علي الجنيد في وقت نزعه فسلم فلم يجب ثم اجاب بعد ساعة وقال اعذرني فاني كنت في وردي ثم ولي وجهه الي القبلة وكبر ومات وقيل للكتاني لما حضرته الوفاة ما كان عملك فقال لو لم يقرب اجلي ما اخبرتكم به وقفت علي باب قلبي اربعين سنة فكل ما مر فيه غير الله حجبته عنه وحكي عن المعتمر قال كنت فيمن حضر الحكم بن عبد الملك حين جاءه الحق فقلت اللهم هون عليه سكرات الموت فانه كان وكان فذكرت محاسنه فافاق فقال من المتكلم فقلت انا فقال ان ملك الموت عليه السلم

تقول في ابي بكر يحيى رفيق ثم طلبني ولما حضرت يوسف بن اسباط الوفاة شهده حذيفة فوجده قلقا
فقال يا ابا محمد هذا اوان القلق والجزع فقال يا ابا عبد الله وكيف لا اقلق ولا اجزع واني لا اعلم اني
صدقت الله في شي من عملي فقال حذيفة واعجبا لهذا الرجل الصالح يحلف عند موته انه لا يعلم انه
صدق الله في شي من عمله وعن المغازلي قال دخلت علي شيخ من اصحاب هذه القصة وهو عليل
وهو يقول يمكنك ان تعمل ما تريد فارفق بي ودخل بعض المشايخ علي ممشاد في وقت وفاته فقال له
ما فعل الله تعالى بك موضع من باب الدعاء فضحك ثم قال منذ ثلثين سنة تعرض علي الجنة بما فيها فما
اعرتها طرفي وقيل لرويم عند الموت قل لا اله الا الله فقال لا احسن غيره ولما حضر النوري الوفاة
قيل له قل لا اله الا الله فقال اليس اليه ثم امر ودخل المزني علي الشافعي رحمهما الله في مرضه الذي
توفي فيه فقال له كيف اصبحت من الدنيا راحلا وللاخوان مفارقا ولسوء عملي ملاقيا وبكاس المنية
شاربا وعلي الله تعالى واردا ولا ادري اروحي تصير الي الجنة فاهنيها ام الي النار فاعزيها ثم انشا
يقول — فلما قسي قلبي وضاقت مذاهبي — جعلت رجايي نحو عفوك سلما — تعاظمني ذنبي فلما قرنته
بعفوك ربي كان عفوك اعظما — فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل — تجود وتعفو منة وتكرما
ولولاك لا يغوي بابليس عابد — وكيف وقد اغوى صفيك آدما — ولما حضر احمد بن خضرويه الوفاة وسيل
عن مسيلة فدمعت عيناه قال يا بني باب كنت ادقه خمسا وتسعين سنة هو ذي يفتح لي الساعة
لا ادري ايفتح لي بالسعادة او الشقاوة فانى لي اوان الجواب فهذه اقاويلهم وانما اختلفت بحسب
اختلاف احوالهم فغلبت علي بعضهم الخوف وعلي بعضهم الرجا وعلي بعضهم الشوق والحب فتكلم كل
واحد بمقتضى حاله والكل صحيح بالاضافة الي احوالهم

الباب السادس

في اقاويل العارفين علي الجنايز والمقابر وحكم زيارة القبور اعلم ان الجنازة عبرة للبصير وفيها
تنبيه وتذكير الا لاهل الغفلة فانها لا تزيدهم مشاهدتها الا قساوة لانهم يظنون انهم ابدا الي جنازة
غيرهم ينظرون ولا يحسبون انهم لا محالة علي الجنايز يحملون او يحسبون ذلك ولكنهم علي القرب لا يعدون
ولا يتفكرون ان المحمولين علي الجنايز كلهم هكذا كانوا يحسبون فبطل حسبانهم وانقرض علي القرب
زمانهم فلا ينظرن عبد الي جنازة الا ويقدر نفسه محمولا عليها فانه محمول عليها علي القرب وكان
قد ولعله في غد او بعد غد فروي عن ابي هريرة انه كان اذا راي جنازة قال امض وانا علي الاثر وكان
مكحول الدمشقي اذا راي جنازة قال اغدوا فانا رايحون موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الاول
والآخر لا عقل له وقال اسيد بن الحضير ما شهدت جنازة فحدثت نفسي سوي ما هو مفعول به وما هو

سبعون حلة فيلبسها فيرى مخ ساقها من وراء تلك السبعين حلة قد طهر الله الاخلاق من السوء والاجساد من الموت
لا يمتخطون فيها ولا يبولون ولا يتغوطون [illegible] رشحا ورشح مسك لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا اما انه ليس
ليل يكر الغدو على الرواح والرواح على الغدو وان آخر من يدخل الجنة وادناهم منزلة ليمد له في بصره وملكه مسيرة
[illegible] عام في قصور الذهب والفضة وخيام اللؤلؤ ويفسح له في بصره حتى ينظر الى اقصاه كما ينظر الى ادناه يغدى
عليهم بسبعين الف صحفة من ذهب ويراح عليهم بمثلها في كل صحفة لون ليس في الاخرى يجد طعم آخره كما يجد طعم
اوله وان في الجنة لياقوتة فيها سبعون الف دار في كل دار سبعون الف بيت ليس [illegible] ما صدع ولا ثقب وقال
مجاهد ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن يسير في ملكه الف سنة يرى اقصاه كما [illegible] وارفعهم الذي ينظر الى ربه
بالغداة والعشي وقال سعيد بن المسيب ليس احد من اهل الجنة الا في يده ثلث اسورة سوار من ذهب ومن لؤلؤ
وسوار من فضة [illegible] ابو هريرة ان في الجنة حوراء يقال لها العيناء اذا مشت مشى من يمينها ويسارها سبعون الف
[illegible] وصيفة وهي تقول اين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وقال يحيى بن معاذ ترك الدنيا شديد وفوت
الجنة [illegible] وترك الدنيا مهر الآخرة وقال ايضا في طلب الدنيا ذل النفوس وفي طلب الجنة عز النفوس فيا عجبا لمن يختار
المذلة في طلب ما يفنى ويترك العز في طلب ما يبقى صفة الرؤية والنظر الى وجه الله قال الله تعالى للذين
احسنوا الحسنى وزيادة وهي الزيادة هي النظر الى وجه الله وهي اللذة الكبرى التي ينسى فيها نعيم الجنة وقد ذكرنا
حقيقتها في كتاب المحبة وقد شهد له الكتاب والسنة على خلاف ما يعتقده اهل البدعة قال جرير بن عبد الله البجلي
كنا جلوسا عند رسول الله صلعم فرأى القمر ليلة البدر فقال انكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته
فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلوة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس
وقبل غروبها وهو مخرج في الصحيحين وروى مسلم في الصحيح عن صهيب قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله للذين
احسنوا الحسنى وزيادة قال اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار نادى منادي يا اهل الجنة ان لكم عند الله
موعدا يريد ان ينجزكموه قالوا ما هذا الموعود الم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار
قال فيرفع الحجاب وينظرون الى وجه الله عز وجل فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر اليه وقد روى حديث الرؤية
جماعة من الصحابة وهذه هي غاية الحسنى ونهاية النعمى وكل ما فصلناه من النعم عندها نسي وليس سرور اهل الجنة
عند سعادة اللقاء بشيء بل لا يشبه شيء من لذات الجنة الى لذة اللقاء وقد اوجزنا الكلام ههنا لما فصلناه
في كتاب المحبة والرضا فلا ينبغي ان يكون لهمة العبد من الجنة شيء سوى لقاء المولى فاما سائر نعيم الجنة فانه يشارك
فيها البهيمة المسرحة في المرعى ختم الكتاب بخاتمة في سعة رحمة الله على سبيل التفاؤل [illegible]
فقد كان [illegible] الفال وليس لنا من الاعمال ما نرجو به المغفرة فنقتدي برسول الله صلعم في التفاؤل

ونرجو ان يختم عاقبتنا بالخير في الدنيا والآخرة كما ختمنا الكتاب بذكر رحمة الله تعالى فقد قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الآية وقال ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه
ثم يستغفر الله الآية ونحن نستغفر الله تعالى من كل ما زل به القدم او طغى به القلم في كتابنا هذا وفي ساير كتبنا ونستغفره
من اقوالنا التي لا يوافقها اعمالنا ونستغفره مما ادعينا واظهرنا من العلم والبصيرة بدين الله تعالى مع التقصير
ونستغفره من كل علم وعمل قصدنا به وجهه الكريم ثم خالطه غيره ونستغفره من كل وعد وعدناه به من انفسنا
ثم قصرنا في الوفاء به ونستغفره من كل نعمة انعم بها علينا فاستعملناها في معصيته ونستغفره من كل تصريح وتعريض
بنقصان ناقص وتقصير مقصر كنا متصفين به ونستغفره من كل خطرة دعتنا الى تصنع وتكلف تزيينا للناس في
كتاب سطرناه او كلام نظمناه او علم افدناه او استفدناه ونرجو بعد الاستغفار من جميع ذلك كله لنا ولمن طالع
كتابنا هذا او كتبه او سمعه ان يكرمنا بالمغفرة والرحمة والتجاوز عن جميع السيئات ظاهرها وباطنها فان الكرم عميم والرحمة
واسعة والجود على اصناف الخلائق فايض ونحن خلق من خلق الله لا وسيلة لنا اليه الا فضله وكرمه فقد قال
رسول الله صلعم ان الله عز وجل مائة رحمة فانزل منها رحمة بين الجن والانس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون
وبها يتراحمون واخر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيمة ويروى انه اذا كان يوم القيمة اخرج الله
كتابا من تحت العرش فيه ان رحمتي سبقت غضبي وانا ارحم الراحمين فيخرج من النار مثلا اهل الجنة وقال رسول
الله صلعم يتجلى الله عز وجل لنا يوم القيمة ضاحكا فيقول ابشروا معشر المسلمين فانه ليس منكم احد الا وقد جعلت
مكانه في النار يهوديا او نصرانيا وقال عليه السلم يشفع الله آدم يوم القيمة من جميع ذريته في مائة الف الف وعشرة الاف
الف وقال صلعم ان الله عز وجل يقول يوم القيمة للمؤمنين هل احببتم لقائي فيقولون نعم يا ربنا فيقول لم فيقولون
رجونا عفوك ومغفرتك فيقول قد اوجبت لكم مغفرتي وقال رسول الله صلعم يقول الله عز وجل يوم القيمة اخرجوا من
النار من ذكرني يوما او خافني في مقام وقال رسول الله عليه السلم اذا اجتمع اهل النار في النار ومن شاء الله معهم
من اهل القبلة قال الكفار للمسلمين الم تكونوا مسلمين قالوا بلى قالوا فما اغنى عنكم اسلامكم اذ انتم معنا في النار
فيقولون كانت لنا ذنوب فاخذنا بها فيسمع الله عز وجل ما قالوا فيامر باخراج من كان في النار من اهل القبلة
فيخرجون فلما راى ذلك الكفار قالوا يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما اخرجوا ثم قرا رسول الله صلعم ربما يود الذين
كفروا لو كانوا مسلمين وقال رسول الله صلعم لله ارحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها وقال جابر بن
عبد الله من زادت حسناته على سيئاته يوم القيمة فذلك الذي يدخل الجنة بغير حساب ومن استوت حسناته
وسيئاته يوم القيمة فذلك الذي يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة وانما شفاعة رسول الله صلعم لمن اوبق نفسه
واثقل ظهره ويروى ان الله عز وجل قال لموسى علم يا موسى استغاث بك قارون فلم تغثه وعزتي وجلالي

ثم يقول حيل والله بينهم وبين جوابي وكاني بي اكون مثلهم ثم يستقبل الصلوة الى طلوع الفجر وقال
عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه يا فلان لقد ارقت الليلة تفكرا في القبر وساكنه انك لو رايت الميت
بعد ثالثة في قبره لاستوحشت من قربه بعد طول الانس منك به ولرايت بيتا يجول فيه الهوام ويجري فيه
الصديد ويخترقه الديدان مع تغير الريح وبلى الاكفان بعد حسن الهيئة وطيب الريح ونقاء الثوب قال
ثم شهق شهقة خر مغشيا عليه وكان يزيد الرقاشي يقول ايها المقبور في حفرته والمتخلي في القبر
بوحدته المستانس في بطن الارض باعماله ليت شعري باي اعمالك استبشرت وباي اخوانك اغتبطت ثم يبكي
حتى يبل عمامته ثم يقول استبشر والله باعماله الصالحة واغتبط والله باخوانه المتعاونين على طاعة الله تعالى
وكان اذا نظر الى القبور خار كما يخور الثور وقال حاتم الاصم من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم
فقد خان نفسه وخانهم وكان بكر العابد يقول يا اماه ليتك كنت بي عقيما ان لابنك في القبر حبسا طويلا
ومن بعد ذلك منه رحيلا وقال يحيى بن معاذ يا ابن آدم دعاك ربك الى دار السلام فانظر من اين تجيبه ان
اجبته من دنياك واشتغلت بالرحلة اليه دخلتها وان اجبته من قبرك منعتها وكان الحسن بن صالح
اذا اشرف على المقابر يقول ما احسن ظواهرك انما الدواهي في بواطنك وكان عطاء السلمي اذا جن عليه
الليل خرج الى المقبرة ثم قال يا اهل القبور متم فوا موتاه وعاينتم اعمالكم فوا عملاه ثم يقول عطاء غدا
في القبور غدا عطاء في القبور فلا يزال كذلك حتى يصبح وقال سفيان الثوري من اكثر من ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن
غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر وكان الربيع بن خثيم قد حفر في داره قبرا فكان اذا وجد
في قلبه قساوة دخل فيه فاستلقى ومكث ما شاء الله ثم يقول رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت يرددها
ثم يرد على نفسه يا ربيع قد رجعتك فاعمل وقال احمد بن حرب تتعجب الارض من رجل يمهد مضجعه ويسوي
فراشه للنوم فتقول يا ابن آدم لم لا تذكر طول بلاك وما بيني وبينك شيء وقال ميمون بن مهران خرجت مع
عمر بن عبد العزيز الى المقبرة فلما نظر الى القبور بكى ثم اقبل علي فقال يا ميمون هذه قبور آبائي بني امية
كانهم لم يشاركوا اهل الدنيا في لذاتهم وعيشهم اما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلات واستحكم فيهم
البلاء واصابت الهوام مقيلا في ابدانهم ثم بكى وقال والله ما اعلم احدا انعم ممن صار الى هذه القبور وقد
امن من عذاب الله وقال ثابت البناني دخلت المقابر فلما قصدت الخروج منها فاذا بصوت قائل يقول
يا ثابت لا يغرنك صموت اهلها فكم من نفس مغمومة فيها ويروى ان فاطمة بنت الحسين نظرت الى جنازة
الحسن بن الحسين فغطت وجهها وقالت وكانوا رجاء ثم اضحوا رزية لقد عظمت تلك الرزايا وجلت
وقيل انها ضربت على قبره فسطاطا واعتكفت عليه سنة فلما مضت السنة قلعوا الفسطاط ودخلت

المدينه فسمعوا صوتا من جانب البقيع هل يجدوا ما فقدوا فسمعوا من الجانب الآخر بل يئسوا فانقلبوا

فقال ابو موسى التيمي توفيت امرأة الفرزدق فخرج في جنازتها وجوه البصرة وفيهم الحسن فقال

له الحسن يا ابا فراس ماذا اعددت لهذا اليوم فقال شهادة ان لا اله الا الله منذ ستين سنة

فلما دفنت اقام الفرزدق علي قبرها فقال اخاف وراء القبر ان لم تعافني اشد من القبر التهابا واضيقا

اذا جاءني يوم القيمة قايد عنيف وسواق يسوق الفرزدقا لقد خاب من اولاد آدم من مشى الى النار

مغلول القلادة ازرقا وقد انشدوا في اهل القبور قف بالقبور وقل على ساحتها من منكم المغمور في ظلماتها

ومن المكرم منكم في قعرها قد ذاق برد الامن من روعاتها اما السكوت لذي العيون فواحد لا يستبين الفضل في

درجاتها لو جاوبوك فاخبروك بالسن تصف الحقايق بعد من حالاتها اما المطيع فنازل في روضة

يفضي الى ما شاء من دوحاتها والمجرم الطاغي بها متقلب في حفرة ياوي الى حياتها وعقارب تسعى اليه فروحه

في شدة التعذيب من لدغاتها ومر داود الطائي علي امرأة تبكي علي قبر وهي تقول عدمت الحياة ولا نلتها

اذا انت في القبر قد الحدوكا فكيف اذوق طعم الكرى وانت بيمناك قد وسدوكا ثم قالت يا ابناه

ليت شعري باي خديك بدا الدود فصعق داود فكان لم يزل مغشيا عليه وقال مالك بن دينار مررت

بالمقبرة فانشات اقول اتيت القبور فناديتها فاين المعظم والمحتقر واين من دل بسلطانه

واين المزكي اذا ما افتخر قال فنوديت من بينها اسمع صوتا ولا ارى شخصا وهو يقول تفانوا جميعا

فما مخبر وماتوا جميعا ومات الخبر تروح وتغدو بنات الثرى فتمحو محاسن تلك الصور فيا سايلي

عن اناس مضوا اما لك فيما ترى معتبر قال فرجعت وانا باك ابيات وجد مكتوبا على القبر

تناجيك اجداث وهن سكوت وسكانها تحت التراب خفوت ايا جامع الدنيا لغير بلاغة

لمن تجمع الدنيا وانت تموت ووجد على قبر آخر مكتوبا ايا غانم اما ذراك فواسع وما ينفع المقبور

عمران قبره اذا كان فيه جسمه يتهدم وقال ابن السماك مررت على المقابر فاذن على قبر مكتوب

يمر اقاربي جنبات قبري كان اقاربي لم يعرفوني ذوو الميراث يقتسمون مالي وما يالون ان جحدوا

وقد اخذوا سهامهم وعاشوا فيالله اسرع ما نسوني ووجد على قبر مكتوبا وان الحبيب من الاحباب مختلس

فكيف تفرح بالدنيا ولذتها يا من يعد عليه اللفظ والنفس اصبحت يا غافلا في النقص منغمسا

وانت دهرك في اللذات منغمس لا يرحم الموت ذا جهل لغرته ولا الذي كان منه العلم يقتبس

كم اخرس الموت في قبر وقفت به عن الجواب لسانا ما به خرس قد كان قصرك معمورا له شرف

فقبرك اليوم في الاجداث مندرس ووجد على قبر آخر وقفت على الاحبة حين صفت قبورهم كافراس الرهان

فلما ان بكيت وفاض دمعي رات عيناي بينهم مكاني قد علت لما قال لي قبائل قد صار نعمان الي
فاين ما يوصف من طيبه وحاقه في المارمع حسنه هيهات لا ندع [illegible] لا ينفع حسن نفسه
يا ايها الناس كان لي امل قصر بي عن بلوغه الاجل فليتق الله ربه [illegible] للعمل
ما انا وحدي نقلت حيث ترى كل الي مثله سينتقل فهذه ابيات كتبت علي القبور لتقصير سكانها
عن الاعتبار قبل الموت والبصير هو الذي ينظر الي قبر غيره فيري مكانه بين اظهرهم فيستعد
للحوق بهم ويعلم انهم لا يبرحون من مكانهم ما لم يلحق بهم وليتحقق انه لو عرض عليهم يوم واحد من
ايام عمره الذي هو مضيع له لكان ذلك احب اليهم من الدنيا بحذافيرها لانهم عرفوا قدر الاعمال وانكشف
لهم حقايق الامور فانما حسرتهم يوم من العمر ليتدارك المقصر به تقصيره فيتخلص عن العقاب
وليستزيد الموفق به رتبته فيتضاعف له الثواب فانهم انما عرفوا قدر العمر بعد انقطاعه فحسرتهم
في ساعة من الحيوة وانت قادر علي تلك الساعة ولعلك تقدر علي امثالها ثم انت مضيع لها فوطن
نفسك علي التحسر علي تضييعها عند خروج الامر من الاختيار ان لم تاخذ نصيبك من ساعتك علي سبيل
الابتدار فقد قال بعض الصالحين رايت اخا لي في الله فيما يري النايم فقلت يا فلان عشت الحمد
لله رب العالمين قال لان اقدر علي ان اقولها اي الحمد لله احب الي من الدنيا وما فيها ثم قال الم تر حيث
كانوا يدفنوني فان فلانا قام فصلي ركعتين لان اكون اقدر علي ان اصليهما احب الي من الدنيا
وما فيها بيان اقاويلهم عند موت الولد حق علي من مات ولده او قريب من اقاربه ان ينزله
في تقدمه عليه في الموت منزلة ما لو كانا في سفر فسبقه ولده الي البلد الذي هو مستقره ووطنه
فانه لا يعظم عليه تاسفه لعلمه بانه لاحق به علي القرب وليس بينهما الا التقدم والتاخر وهكذا الموت
فان معناه السبق الي الموطن الي ان يلحق المتاخر واذا اعتقد هذا قل جزعه وحزنه لا سيما وقد
ورد في موت الولد من الثواب ما يعزي به كل مصاب قال رسول الله صلعم لان اقدم سقطا احب الي
من ان اخلف مائة فارس كلهم يقاتل في سبيل الله وانما ذكر السقط تنبيها بالادني علي الاعلي والا
فالثواب [illegible] محل الولد من القلب قال زيد بن اسلم توفي ابن لداود عليه السلم فحزن عليه
حزنا شديدا [illegible] ما كان عدله عندك قال ملا [illegible] قيل له فان لك من الاجر مثل ذلك
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المسلمين ثلثة من الولد فيحتسبهم الا كانوا له جنة من النار
فقالت امراة عند رسول الله [illegible] قال او اثنان وليخلص لولده الدعاء لولده عند الموت
فانه ارجى دعاء واقرب [illegible] بالاجابة وقف محمد بن سليمان علي قبر ولده فقال اللهم اني اصبحت

ارجوك له واخافك عليه فحقق رجائي وآمن خوفي ووقف ابو سنان على قبر ابنه فقال اللهم اني قد غفرت
ما وجب لي عليه فاغفر له ما اوجبت لك عليه فانك اجود واكرم ووقف اعرابي على قبر ابنه فقال اللهم اني
وهبت له ما قصر فيه من بري فهب له ما قصر فيه من طاعتك ولما مات ذر بن عمر بن ذر قام ابوه عمر بن
ذر بعد ما وضع في لحده فقال يا ذر لقد شغلنا الحزن عليك عن الحزن لك فليت شعري ما ذا قلت
وما ذا قيل لك ثم قال اللهم ان هذا ذر متعتني به ما متعتني ووفيته اجله ورزقه ولم تظلمه اللهم
وقد الزمته طاعتك وطاعتي اللهم ما وعدتني عليه من الاجر في مصيبتي فقد وهبت له بعد ذلك فهب
له عذابه ولا تعذبه فابكى الناس ثم قال عند انصرافه ما علينا بعدك من خصاصة يا ذر وما بنا الى انسان
مع الله حاجة فلقد مضينا وتركناك ولو اقمنا ما نفعناك ونظر رجل الى امراة بالبصرة فقال ما رايت
مثل هذه النضارة وما ذاك الا من قلة الحزن فقالت يا عبد الله اني لفي حزن ما يشركني فيه احد قال فكيف
قالت ان زوجي ذبح شاة في يوم الاضحى وكان له صبيان مليحان يلعبان فقال اكبرهما للآخر اتريد
ان اريك كيف ذبح ابي الشاة قال نعم فاخذه وذبحه فما شعرنا به الا متشحطا في دمه فلما ارتفع
الصراخ هرب الغلام فلجأ الى جبل فرهقه ذئب فاكله وخرج ابوه يطلبه فمات عطشا من شدة
الحر قالت فافردني الدهر كما ترى فامثال هذه المصيبات ينبغي ان تتذكر عند موت الاولاد ليتسلى
بها عن شدة الجزع فما من مصيبة الا ويتصور ما هو اعظم منها وما يدفعه الله في كل حال فهو
الاكبر بيان زيارة القبور والدعاء للميت وما يتعلق به زيارة القبور مستحبة على الجملة للتذكر
والاعتبار وزيارة قبور الصالحين محبوب لاجل التبرك مع الاعتبار وقد كان رسول الله صلعم نهى عن
زيارة القبور ثم اذن فيه فقد روي علي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كنت نهيتكم عن زيارة
القبور فزوروها فان في زيارتها تذكرة للآخرة غير ان لا تقولوا هجرا وزار رسول الله عليه السلم قبر امه
في الف مقنع فلم ير باكيا اكثر من يومئذ وفيه قال اذن لي في الزيارة دون الاستغفار كما رويناه
من قبل وقال ابن ابي مليكة اقبلت عايشة يوما من المقابر فقلت يا ام المومنين من اين اقبلت
قالت من قبر اخي عبد الرحمن فقلت [illegible] كان رسول الله نهى عنها قالت نعم ثم امر بها ولا ينبغي
ان يتمسك به فيؤذن للنساء في الخروج الى المقابر فانهن يكثرن الهجر على رؤس المقابر فلا يفي
خير زيارتهن بشرها ولا يخلون في الطريق عن تبرج وهذه عظايم والزيارة سنة فكيف
يحتمل لاجلها نعم لا باس بخروج المراة في ثياب بذلة ترد اعين الرجال وذلك بشرط الاقتصار
على الدعاء وترك الحديث على راس القبر [illegible] ذر قال رسول الله زوروا القبور تذكركم الآخرة واغسل

الموتى فان معالجة جسد الموتى موعظة [illegible] وصلة على الحياة لعل ذلك ان يحزنك ان الحزين في ظل الله

وقال ابن ابي مليكة قال رسول الله عليه السلم زوروا موتاكم وسلموا عليهم وصلوا عليهم فان لكم فيهم [illegible]

نافع ان ابن عمر كان لا يمر بقبر واحد الا وقف عليه وسلم عليه وعن جعفر بن محمد عن ابيه ان فاطمة بنت [illegible]

كانت تزور قبر عمها حمزة في الايام فتصلي وتبكي عنده وقال النبي عم من زار قبر ابويه او احدهما في كل

جمعة غفر له وكتب برا وعن ابن سيرين قال قال رسول الله عليه السلم ان الرجل ليموت والداه وهو عاق

بهما فيدعو الله لهما من بعدهما فيكتبه من البارين وقال عليه السلم من زار قبري وجبت له شفاعتي

وقال من زارني بالمدينة محتسبا كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيمة وقال كعب ما من فجر يطلع الا نزل سبعون

الفا من الملايكة حتى يحفوا بالقبر يضربون باجنحتهم ويصلون على النبي عليه السلم حتى اذا امسوا عرجوا وهبط

مثلهم فصنعوا مثل ذلك حتى اذا انشقت الارض خرج في سبعين الفا من الملايكة يوقرونه والمستحب في زيارة

القبور ان يقف مستدبر القبلة مستقبلا لوجه الميت وان يسلم ولا يمسح القبر ولا يقبله ولا يمسه فان ذلك

من عادة النصارى قال نافع كان ابن عمر رايته مائة مرة او اكثر يجي الى القبر فيقول السلام على النبي السلام على

ابي بكر الصديق السلام على ابي وينصرف وعن ابي امامة قال رايت انس بن مالك اتى قبر النبي عليه السلم فوقف

فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلوة فسلم على النبي ثم انصرف وقالت عايشة قال رسول الله عليه السلم ما من

رجل يزور قبر اخيه ويجلس عنده الا استانس به ورد عليه حتى يقوم وقال سليمان بن سحيم رايت رسول الله في النوم

قلت يا رسول الله هولاء الذين ياتونك ويسلمون عليك اتفقه سلامهم قال نعم وارد عليهم وقال ابو هريرة

اذا مر الرجل بقبر الرجل يعرفه فسلم عليه رد عليه السلم وعرفه واذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه رد عليه السلم وقال

رجل من ال عاصم الجحدري رايت عاصم في منامي بعد موته بسنتين فقلت اليس قد مت قال بلى قلت فاين

انت قال انا والله في روضة من رياض الجنة انا ونفر من اصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها الى بكر بن عبد الله

المزني فنتلاقى اخباركم قلت اجسامكم ام ارواحكم فقال هيهات بليت الاجسام وانما تتلاقى الارواح قال

قلت فهل تعلمون بزيارتنا اياكم قال نعلم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت الى طلوع الشمس

قلت وكيف ذلك دون الايام كلها قال [illegible] يوم الجمعة وعظمه وكان محمد بن واسع يزور يوم الجمعة فقيل

اخرت الى الاثنين فقال بلغني [illegible] يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده وقال الضحاك

من زار قبرا قبل يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميت بزيارته [illegible] وكيف ذلك قال لمكان يوم الجمعة وقال

بشر بن منصور لما كان زمن الطاعون كان [illegible] يختلف الى المقابر فيشهد الصلوة على الجنائز فاذا امسى

وقف [illegible] المقابر فقال انس الله وحشتكم [illegible] الله غربتكم وتجاوز عن سياتكم وقبل الله حسناتكم لا يزيد

علي [illegible] الكلمات [illegible] الرجل فامسيت ذات ليلة فانصرفت الي [illegible] ولم ات المقابر فادعو كما كنت ادعو ا

فبينا [illegible] نائم اذا انا بخلق كثير قد جاوني قلت ما [illegible] حاجتكم قالوا نحن اهل المقابر قلت ما حاجتكم قال

انك [illegible] منك هدية عند انصرافك الي اهلك قلت وما هي قالوا الدعوات التي كنت تدعو قلت فاني

اعود لذلك فما تركتها بعد وقال بشار بن غالب النجراني رايت رابعة العدوية العابدة في منامي وكنت كثير الدعا

لها قالت لي يا بشار بن غالب هداياك تاتينا علي اطباق من نور مخمرة بمناديل الحرير قلت وكيف ذاك

قالت وهكذا دعا المومنين الاحيا اذا دعوا للموتي فاستجيب لهم فجعل ذلك الدعا علي اطباق النور

وخمر بمناديل الحرير ثم اتي به الميت فقيل ذلك هدية فلان اليك وقال رسول الله ما الميت في قبره الا كالغريق

المبهوت ينتظر دعوة تلحقه من ابيه او اخيه او صديق له فاذا لحقته كانت احب اليه من الدنيا وما فيها

وان هدايا الاحيا الاموات الدعا والاستغفار وقال بعضهم مات اخ لي فرايته في المنام فقلت ما كان

حالك حين وضعت في قبرك قال اتاني آت بشهاب من نار فلولا ان داعيا دعي لي فرايت انه سيضربني به

وعن هذا استحب تلقين الميت بعد الدفن والدعا له قال سعيد بن عبد الله الازدي شهدت ابا امامة

الباهلي وهو في النزع فقال يا سعيد اذا مت فاصنعوا بي كما امرنا رسول الله فقال اذا مات احدكم

فسويتم عليه التراب فليقم احدكم علي راس قبره ثم يقول يا فلان بن فلانة فانه يسمع ولا يجيب ثم ليقل يا

فلان بن فلانة فانه يقول ارشدنا يرحمك الله ولكن لا تسمعون فيقول له اذكر ما خرجت عليه من الدنيا

شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وانك رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد عليه السلام

نبيا وبالقرآن اماما فان منكر ونكيرا يتاخر كل واحد منهما فيقول انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا وقد

لقن حجته ويكون الله عز وجل حجيجه دونهما فقال رجل يا رسول الله فان لم يعرف اسم امه قال فلينسبه

الي حوا ولا باس بقراءة القرآن علي القبر روي عن علي بن موسي الحداد قال كنت مع احمد بن حنبل في

جنازة ومحمد بن قدامة الجوهري معنا فلما دفن الميت جاء رجل ضرير يقرا عند القبر فقال له احمد

يا هذا ان القراءة عند القبر بدعة فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لاحمد يا ابا عبد الله ما تقول

في مبشر بن اسمعيل الحلبي فقال ثقة قال هل كتبت عنه شيا قال نعم قال اخبرني مبشر بن اسمعيل

عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن ابيه انه اوصي اذا دفن ان يقرا عند راسه بفاتحة البقرة

وخاتمتها وقال سمعت ابن عمر يوصي بذلك فقال له احمد ارجع الي الرجل فقل له يقرا وقال محمد بن احمد

المروزي سمعت احمد يقول اذا دخلتم المقابر فاقروا بفاتحة الكتاب والمعوذتين

واجعلوا ثواب ذلك لاهل المقابر فانه يصل اليهم وقال [illegible] اتيتك من الشام الي البصرة [illegible]

الخندق فتطهرت وصليت ركعتين [illegible] ثم وضعت راسي على قبر فنمت ثم انتبهت فاذا صاحب القبر يشكني
يقول لقد آذيتني منذ الليلة ثم قال انكم لا تعلمون ونحن نعلم ولا نقدر على العمل ثم قال الركعتان اللتان
ركعتهما خير من الدنيا وما فيها ثم قال جزى الله اهل الدنيا عنا خيرا اقرهم عنا السلم
من دعايهم نور امثال الجبال فالمقصود من زيارة القبور للزاير الاعتبار وللمزور الانتفاع بدعايه فلا ينبغي
ان يغفل الزاير عن الدعا لنفسه وللميت ولا عن الاعتبار به وانما يحصل له الاعتبار بان يصور في قلبه
الميت كيف تفرقت اجزاوه وكيف يبعث من قبره وانه على القرب سيلحق به كما روي عن مطرف بن ابي بكر الهذلي
قال كانت عجوز في عبد القيس متعبدة فكانت اذا جاء الليل تحزمت ثم قامت الى المحراب واذا جاء النهار
خرجت الى القبور فبلغني انها عوتبت في كثرة اتيانها المقابر فقالت ان القلب القاسي اذا جفا لم يلينه
الا رسوم البلى واني لآتي القبور فكاني انظر وقد خرجوا من بين اطباقها وكاني انظر الى تلك الوجوه المتعفرة
والى تلك الاجسام المتغيرة والى تلك الاكفان الدسمة فيا لها من نظرة لو اشربها العباد قلوبهم ما انكل مرارتها
للانفس واشد تلفها للابدان بل ينبغي ان يحضر من صورة الميت ما ذكره عمر بن عبد العزيز حيث دخل عليه فقيه
فتعجب من تغير صورته لكثرة الجهد والعبادة فقال له يا فلان لو رايتني بعد ثلث وقد ادخلت قبري وقد خرجت
الحدقتان فسالتا على الخدين وتقلصت الشفتان على الاسنان وخرج الصديد من الفم وانفتح الفم ونتا
البطن فعلا على الصدر وخرج الصلب من الدبر وخرج الدود والصديد من المناخر لرايت اعجب مما تراه الان ويستحب
ايضا الثنا على الميت وان لا يذكر الا بالجميل قالت عايشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات صاحبكم فدعوه
ولا تقعوا فيه وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الاموات فانهم قد افضوا الى ما قدموا وقال صلى الله عليه وسلم لا تذكروا موتاكم
الا بخير فانهم ان يكونوا من اهل الجنة تاثموا وان يكونوا من اهل النار فحسبهم ما هم فيه وقال انس بن مالك مرت
جنازة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاثنوا عليه شرا فقال عليه وجبت ومروا باخرى فاثنوا خيرا فقال وجبت فسال
عمر عن ذلك فقال ان هذا اثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة وهذا اثنيتم عليه شرا فوجبت له النار وانتم شهدا
الله في الارض وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليموت فيثني عليه القوم الثنا يعلم الله منه
غيره فيقول الله تعالى لملايكته اشهدكم اني قد قبلت شهادة عبيدي على عبدي وتجاوزت عن علمي في عبدي

الباب السابع في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر الى النفخة الصور

بيان حقيقة الموت اعلم ان للناس في حقيقة الموت ظنونا كاذبة
قد اخطاوا فيها فظن بعضهم ان الموت [illegible] دم وانه لا حشر ولا نشر ولا عاقبة للخير والشر وان موت الانسان
كموت الحيوانات وجفاف النباتات وهذا [illegible] الملحدة وكل من لا يومن بالله واليوم الاخر وظن قوم انه ينعدم

بالموت [illegible] لاتالم بعقاب ولاتتنعم بثواب مادام في القبر الي ان تعاد [illegible] وقت الحشر وقال آخرون ان
الروح [illegible] لاتنعدم بالموت وانما المث[illegible] الارواح دون الاجساد وان الاجساد لا تبعث ولا تحشر
[illegible] وكل [illegible] الظنون فاسدة ومايلة عن الطريق الذي يشهد له طرق الاعتبار وينطق به الآيات والاخبار
[illegible] الموت معناه تغير حال فقط وان الروح باقية بعد مفارقة الجسد اما معذبة او منعمة ومعنى مفارقتها
للجسد [illegible] انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها فان الاعضاء آلات للروح تستعملها حتى
انها لتبطش باليد وتسمع بالاذن وتبصر بالعين وتعلم حقيقة الاشياء بالقلب والقلب ههنا عبارة
عن الروح فالروح تعلم الاشياء بنفسها من غير آلة ولذلك قد تتالم بنفسها بانواع الحزن والغم والكمد وتتنعم
بانواع الفرح والسرور وكل ذلك لا يتعلق بالاعضاء وكل ما هو وصف للروح بنفسها فيبقى معها بعد مفارقة
الجسد وما لها بواسطة الاعضاء فيتعطل بموت الجسد الي ان تعاد الروح الي الجسد ولا يبعد ان تعاد
الي الجسد في القبر ولا يبعد ان يوخر الي يوم البعث والله اعلم بما حكم به على كل عبد من عباده وانما تعطل
الجسد بالموت يضاهي تعطل الاعضاء المزمنة بفساد مزاج يقع فيه وسدة تقع في الاعصاب تمنع نفوذ
الروح فيها فتكون الروح العالمة العاقلة المدركة باقية مستعملة لبعض الاعضاء وقد استعصى عليها
بعضها والموت عبارة عن استعصاء الاعضاء كلها وكل الاعضاء آلات الروح وهي المستعملة لها واعني
بالروح المعنى المدرك من الانسان للعلوم وآلام الغموم ولذات الافراح ومهما بطل تصرفها في الاعضاء لم
يبطل منها العلوم والادراكات ولا يبطل منها للافراح والغموم ولا يبطل منها قبولها للآلام واللذات
الانسان بالحقيقة هو المعنى المدرك للعلوم وللآلام واللذات وذلك لا يموت اي لا ينعدم ومعنى الموت
انقطاع تصرفه عن البدن وخروج البدن عن ان يكون آلة له كما ان معنى الزمانة خروج اليد عن ان
تكون آلة يستعمله فالموت زمانة مطلقة في الاعضاء كلها وحقيقة الانسان نفسه وروحه وهي باقية
نعم تغير حاله من وجهين احدهما انه سلب منه عينه واذنه ولسانه ويده ورجله وجميع اعضائه وسلب
منه اهله وولده واقاربه وسائر معارفه وسلب عنه خيله ودوابه وغلمانه ودوره وعقاره وسائر املاكه
ولا فرق بين ان يسلب هذه الاشياء من الانسان وبين ان يسلب الانسان من هذه الاشياء وان
المولم هو الفراق والفراق تارة يحصل بان ينهب مال الرجل وتارة بان يسبى الرجل عن المال والالم
واحد في الحالتين وانما معنى الموت سلب [illegible] عن [illegible] بازعاجه الي عالم آخر لا يناسب هذا العالم
فان كان له في الدنيا شي يانس به ويستريح اليه ويعتد بوجوده فيعظم تحسره عليه بعد الموت [illegible]
شقاوه في مفارقته بل يلتفت قلبه الي واحد واحد من ماله وجاهه وعقاره حتى الي قميص كان [illegible]

مثلا ويفرح به وان لم يكن يفرح الا بذكر الله ولم يانس الا به عظم نعيمه وتمت سعادته اذ خلي بينه وبين محبوبه
وقطعت عنه العوائق والشواغل اذ جميع اسباب الدنيا شواغل عن ذكر الله فهذا احد وجهي المخالفة
بين حال الموت وحال الحيوة والثاني ان ينكشف له بالموت ما لم يكن له مكشوفا في الحيوة [illegible]
للمتيقظ ما لم يكن له مكشوفا في النوم فالناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا واول ما ينكشف له ما يضره و[illegible]
من حسناته وسيئاته وقد كان ذلك مسطورا في كتاب مطوي في سر قلبه وكان يشغله عن الاط[لاع]
عليه شواغل الدنيا فاذا انقطعت الشواغل انكشف له جميع احواله ولا ينظر الى سيئاته الا ويتحسر عليها [حسرة]
يؤثر ان يخوض غمرة النار للخلاص من تلك الحسرة وعند ذلك يقال له كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وينكشف
كل ذلك عند انقطاع النفس وقبل الدفن وتشتعل فيه نيران الفراق اعني فراق ما كان يطمئن اليه
من هذه الدنيا الفانية دون ما اراد منها لاجل الزاد والبلغة فان من طلب الزاد للبلغة فاذا بلغ
المقصد فرح بمفارقته بقية الزاد اذا لم يكن يريد الزاد لعينه وهذا حال من لم ياخذ من الدنيا الا بقدر
الضرورة وكان يود ان ينقطع ضرورته ليستغني عنه فقد حصل ما كان يوده واستغنى عنه وهذه
انواع من العذاب والالام عظيمة يهجم عليه قبل الدفن ثم عند الدفن قد يرد روحه الى الجسد لنوع آخر
من العذاب وقد يعفى عنه ويكون حال المتنعم بالدنيا المطمئن اليها كحال من تنعم عند غيبة ملك
من الملوك في داره وملكه وحريمه اعتمادا على ان الملك يتساهل في امره او على ان الملك ليس يدري ما
يتعاطاه من قبيح افعاله فاخذه الملك بغتة وعرض عليه جريدة قد دونت فيها جميع فواحشه وجناياته
ذرة ذرة وخطوة خطوة والملك قاهر متسلط وغيور على حرمه ومنتقم من الجناة على ملكه وغير ملتفت الى من
يتشفع اليه في العصاة عليه فانظر الى حال هذا الماخوذ كيف يكون حاله قبل نزول عذاب الملك به من
الخوف والخجلة والحياء والتحسر والندم فهذا حال الميت الفاجر المغتر بالدنيا المطمئن اليها قبل
نزول عذاب القبر بل عند موته نعوذ بالله منه فان الخزي والافتضاح وهتك الستر اعظم من كل عذاب
يحل بالجسد من الضرب والقطع وغيرهما فهذه اشارة الى حال الميت عند الموت شاهدها اولوا البصائر
بمشاهدة باطنة اقوى من مشاهدة العين وشهد لذلك شواهد الكتاب والسنة نعم لا يمكن كشف
الغطاء عن كنه حقيقة الموت اذ لا يعرف الحيوة ومعرفة الحيوة بمعرفة حقيقة الروح في نفسها وادراك ماهية
ذاتها ولم يؤذن لرسول الله صلعم ان يتكلم فيه ولا ان يزيد على ان يقول الروح من امر ربي فليس لاحد
علماء الدين ان يكشف سر الروح وان اطلع عليه وانما الماذون فيه ذكر حال الروح بعد الموت ويدل على
حقيقة الموت ليس عبارة عن انعدام الروح وانعدام ادراكها آيات واخبار كثيرة اما الآيات فما ورد في

الشهدا. اذ قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله الآية [illegible] اصحاب بدر نادى يوم بدر نادا هم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال [illegible] قد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدتم ما وعد
ربكم [illegible] قال يا رسول الله اتناديهم وهم [illegible] فقال عليه السلم والذي نفسي بيده انهم لاسمع لهذا
الكلام منكم الا انهم لا يقدرون على الجواب فهذا نص في بقا روح الاشقيا وبقا ادراكها ومعرفتها
[illegible] نص في بقا روح الشهدا ولا تخلو الميت عن شقاوة او سعادة وقال عليه السلم القبر اما
حفرة من حفر النيران او روضة من رياض الجنة وهو نص صريح في ان الموت معناه تغير حال فقط وان
ما سيكون من شقاوة الميت وسعادته تتعجل عند الموت من غير تاخر وانما يتاخر بعض انواع العذاب والثواب
دون اصله وروى انس عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الموت القيمة من مات فقد قامت قيامته وقال عليه السلم
اذا مات احدكم عرض عليه مقعده غدوة وعشية ان كان من اهل الجنة فمن الجنة وان كان من
اهل النار فمن النار فقال هذا مقعدكم حتى تبعث اليه يوم القيمة وليس يخفى ما في مشاهدة المقعدين
من عذاب ونعيم في الحال وعن ابي قيس قال كنا مع علقمة في جنازة فقال اما هذا فقد قامت
قيامته. وقال علي رضي الله عنه حرام على كل نفس ان تخرج من الدنيا حتى تعلم انه من اهل الجنة هي ام من
اهل النار. وقال ابو هريرة قال صلى الله عليه وسلم من مات مريضا مات شهيدا ووقي فتان القبر وغدي
وريح عليه برزقه من الجنة. وقال مسروق ما غبطت احدا ما غبطت مؤمنا في اللحد قد استراح من نصب الدنيا
وامن عذاب الله. وقال يعلى بن الوليد كنت امشي يوما مع ابي الدردا فقلت ما تحب فقال الموت
قلت فان لم تمت قال تقل ماله وولده وانما احب الموت لانه لا يحبه الا المؤمن والموت اطلاق للمؤمن
من السجن وانما احب قلة المال والولد لانه فتنة وسبب للانس بالدنيا والانس بمن لا بد من فراقه غاية
الشقاوة وكل ما سوى الله وذكره والانس به فلا بد من فراقه عند الموت لا محالة ولهذا قال ابن عمر انما مثل
المؤمن حين تخرج نفسه او روحه مثل رجل كان في سجن فاخرج منه فهو يتفسح في الارض ويتقلب
فيها وهذا الذي ذكره حال من تجافى عن الدنيا وتبرم بها ولم يكن له انس الا بذكر الله وكانت شواغل الدنيا
تحبسه عن محبوبه ومقاسات الشهوات توذيه فكان في الموت خلاصه من جميع المؤذيات وانفراده بمحبوبه
الذي كان به انسه من غير عايق ودافع وما اجدر ذلك بان يكون منتهى النعيم واللذات واكمل
اللذات للشهدا الذين قتلوا في سبيل الله لانهم ما اقدموا على القتال الا قاطعين التفاتهم عن علايق
الدنيا مشتاقين الى لقاء الله راضين بالقتل في طلب مرضاته فان نظر الى الدنيا فقد باعها طوعا
بالآخرة والبايع لا يلتفت قلبه الى المبيع وان نظر الى الآخرة فقد اشتراها وتشوق اليها فما اعظم فرحه

بما انتزاع اذا ركه وما اقل المعانقة الى [illegible] اذا لفارقه وتجرد القلب لحب الله قد يتفق في بعض الاحوال
ولكن لا يدركه الموت عليه فيتغير للقتال سبب [illegible] فكان سببا لادراك الموت على مثل [illegible] الحالة
فلهذا عظم النعيم اذ معنى النعيم ان ينال الانسان ما اراده قال تعالى ولهم فيها ما يشتهون فكان هذا
اجمع عبارة لمعاني لذات الجنة واعظم العذاب ان يمنع الانسان عن مراده كما قال تعالى وحيل
بينهم وبين ما يشتهون وكان هذا اجمع عبارة لعقوبات جهنم وهذا النعيم يدركه الشهيد كما انقطع
من غير تاخير وهذا امر انكشف لارباب القلوب بنور اليقين فان اردت عليه شهادة من جهة
السمع فجميع احاديث الشهداء تدل عليه وكل حديث يشتمل على التعبير عن منتهى نعيمهم بعبارة
اخرى فقد روي عن عائشة انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر الا ابشرك يا جابر وكان قد
استشهد ابوه قال بلى بشرك الله بالجنة قال ان الله احيا اباك فاقعده بين يديه فقال تمن على ما عندي
اعطيك قال يا رب ما عبدتك حق عبادتك اتمنى عليك ان تردني الى الدنيا فاقاتل مع نبيك فاقتل
فيك مرة اخرى فقال له انه قد سبق مني انك اليها لا ترجع وعن جابر قال استشهد ابي يوم احد
فاشفقت عليه شفقا شديدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اباك عرض على ربه ليس بينه
وبينه ستر قال تمن على ما شئت قال يا رب ردني الى الدنيا حتى اقتل فيك وفي نبيك مرة اخرى
فقال له سبق القضاء مني انهم اليها لا يرجعون وقال كعب يوجد رجل في الجنة يبكي فيقال له لم تبكي
وانت في الجنة قال ابكي لاني لم اقتل في سبيل الله الا قتلة واحدة وكنت اشتهي ان ارد فاقتل
فيه قتلات فاعلم ان المومن ينكشف له عقيب الموت من سعة جلال الله ما تكون الدنيا بالاضافة
اليه كالسجن والضيق ويكون مثاله كالمحبوس في بيت مظلم فتح له باب الى بستان واسع الاكناف
لا يبلغ طرف اقصاه فيها انواع الازهار والاشجار والطيور والثمار فلا يشتهي العود الى السجن
المظلم وقد ضرب رسول الله له مثلا فقال لرجل مات اصبح هذا مرتحلا من الدنيا وتركها لاهلها
فان كان قد رضي فلا يسره ان يرجع الى الدنيا كما لا يسر احدكم ان يرجع الى بطن امه فعرفك بهذا ان
نسبة سعة الاخرة الى الدنيا كنسبة سعة الدنيا الى ظلمة الرحم وقال صلى الله عليه وسلم ايضا ان مثل
المومن في الدنيا كمثل الجنين في بطن امه اذا خرج من بطنها بكى على مخرجه حتى اذا راى الضوء
وما اخرج لم يحب ان يرجع الى مكانه فكذلك المومن يجزع من الموت فاذا افضى الى ربه لم يحب ان يرجع
الى الدنيا كما لا يحب الجنين ان يرجع الى بطن امه وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا قد مات
فقال مستريح او مستراح منه اشار بالمستريح الى المومن وبالمستراح منه الى الفاجر اذ يستريح اهل الدنيا منه

وقال ابو عمرو صاحب السقيا مر بنا ابن عمر وعن [illegible]ان فنظر الى بئر فاذا جمجمة بادية
فامر رجلا فواراها ثم قال ان هذه الابدان ليس يضرها هذا الثرى شيئا وانما الارواح التي تعاقب
وتثاب الى يوم القيمة وعن عمرو بن دينار قال ما من ميت يموت الا وهو يعلم ما يكون في اهله
بعده وانهم ليغسلونه ويكفنونه وانه لينظر اليهم وقال مالك بن انس بلغني ان ارواح المومنين
مرسلة تذهب حيث شاءت وقال النعمان بن بشير سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر
يقول الا انه لم يبق من الدنيا الا مثل الذباب يمر في جوها فالله الله في اخوانكم من اهل القبور
فان اعمالكم تعرض عليهم وقال ابو هريرة قال صلعم لا تفضحوا موتاكم بسيات اعمالكم فانها تعرض على اوليايكم
من اهل القبور ولذلك قال ابو الدرداء اللهم اني اعوذ بك ان اعمل عملا اخزى به عند عبد الله رواحة
وكان قد مات وهو خاله وسيل عبد الله بن عمر عن ارواح المومنين اذا ماتوا اين هي قال صور طير
بيض في ظل العرش وارواح الكافرين في الارض السابعة وقال ابو سعيد الخدري سمعت رسول الله صلعم
يقول ان الميت يعرف من يغسله ومن يحمله ومن يدليه في قبره وقال صالح المري بلغني ان الارواح
يتلاقى عند الموت فيقول ارواح الموتى للروح التي تخرج اليهم كيف ماواك وفي اي الجسدين كنت في
طيب او خبيث وقال عبيد بن عمير اهل القبور يتوكفون الاخبار فاذا اتاهم الميت قالوا ما فعل
فلان قال الم ياتكم او ما قدم عليكم فيقولون لا فيقولون انا لله وانا اليه راجعون سلك به غير سبيلنا
وعن جعفر بن سعيد قال اذا مات الرجل استقبله ولده كما يستقبل الغايب وقال مجاهد ان
الرجل ليبشر بصلاح ولده في قبره وروي ابو ايوب الانصاري عن النبي عليه السلم انه قال ان نفس المومن
اذا قبضت تلقاها اهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشير في الدنيا يقولون انظروا اخاكم حتى يستريح
فانه كان في كرب شديد فيسالونه ما ذا فعل فلان وماذا فعلت فلانة وهل تزوجت فلانة فاذا
سالوه عن رجل مات قبله وقال مات قبلي قالوا انا لله ذهب به الى امه الهاوية بيان كلام
القبر للميت وكلام الموتى اما بلسان المقال او بلسان الحال التي هي افصح في تفهيم الموتى
من لسان المقال في تفهيم الاحيا . قال رسول الله عليه السلم يقول القبر للميت حين يوضع فيه
ويحك يا ابن آدم ما غرك بي الم تعلم اني بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود
ما غرك بي اذ كنت تمر بي فدادا فان كان مصلحا اجاب عنه مجيب القبر فيقول ارايت ان كان ممن
يامر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقول القبر اني اذا اتحول عليه خضرا ويعود جسمه نورا وتصعد روحه
الى الله والفداد هو الذي يقدم رجلا ويوخر اخرى لذلك فسره الراوي وقال ابو عبيد بن عمير الليثي ليس من

٩٢٢

٩١٤

ميت يموت الا نادته حفرته التي يدفن فيها انا بيت الظلمة والوحدة والانفراد فان كنت في حياتك لله
مطيعا كنت عليك اليوم رحمة وان كنت عاصيا فانا عليك اليوم نقمة انا الذي من دخلني مطيعا خرج مسرورا ومن دخلني عاصيا خرج مثبورا وقال محمد بن صبيح بلغنا ان الرجل اذا وضع في
قبره فعذب واصابه بعض ما يكره ناداه جيرانه من الموتى ايها المخلف في الدنيا بعد اخوانه وجيرانه اما كان لك
فينا معتبر اما كان لك في تقدمنا اياك فكرة اما رايت انقطاع اعمالنا عنا وانت في المهلة فهلا استدركت
ما فات اخوانك وتناديه بقاع الارض ايها المغتر بظاهر الدنيا هلا اعتبرت بمن غيب من اهلك
في بطن الارض ممن غرته الدنيا قبلك ثم سبق به اجله الى القبور وانت تراه محمولا تهاداه احبته الى
المنزل الذي لا بد له منه وقال يزيد الرقاشي بلغني ان الميت اذا وضع في قبره واحتوشته اعماله الخبيثة
ثم انطقها الله فقالت يا ايها العبد المنفرد في حفرته انقطع عنك الاخلاء والاهلون ولا انيس لك اليوم
عندنا وقال كعب اذا وضع العبد الصالح في القبر احتوشته اعماله الصالحة الصلوة والصيام والحج والجهاد
والصدقة قال ويجي ملائكة العذاب من قبل رجله فيقول الصلوة اليكم فلا سبيل لكم عليه فقد
اطال في القيام لله عليهما فياتونه من قبل راسه فيقول الصيام لا سبيل لكم عليه فقد اطال في ظماه لله
في دار الدنيا فلا سبيل لكم عليه فياتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد لا سبيل اليكم عنه فقد
انصب نفسه واتعب بدنه وحج وجاهد لله لا سبيل لكم عليه فقال فياتونه من قبل يديه فيقول الصدقة
كفوا خلوا عن صاحبي فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت في يد الله ابتغاء وجهه
فلا سبيل لكم عليه قال فيقال له هنيا طبت حيا وطبت ميتا قال وياتيه ملائكة الرحمة فيفرش له فراشا
من الجنة ودثارا من الجنة ويفسح له في قبره مد بصره ويوتى بقنديل من الجنة فيستضي بنوره الى يوم
القيمة يبعثه الله من قبره وقال عبد الله بن عبيد بن عمير في جنازة بلغني ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان الميت يقعد وهو يسمع خطوة مشيعيه ولا يكلمه شي الا قبره يقول ويحك ابن آدم
اليس قد حذرتني وحذرت ضيقي وقلتي وهولي ودودي فما ذا اعددت لي باب عذاب القبر
وسؤال منكر ونكير قال البرا بن عازب خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنازة رجل من
الانصار فجلس رسول الله على قبره منكسا راسه ثم قال اللهم اني اعوذ بك من عذاب القبر ثلثا ثم قال ان المؤمن
اذا كان في قبل من الاخرة بعث الله ملائكة كان وجوههم الشمس معهم حنوطه وكفنه فيجلسون مد بصره
فاذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والارض وكل ملك في السماء وفتحت ابواب السماء فليس
منها باب الا يحب ان يدخل روحه منه فاذا اصعد بروحه قيل اي رب عبدك فلان فيقول ارجعوه فاروه ما
اعددت له من الكرامة فاني وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم الاية وانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا

مدبرين حتى يقال يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد قال
فينتهرانه انتهارا شديدا وهي اخر فتنة تعرض على الميت فاذا قال ذلك نادى مناد ان صدقت وهي معنى
قوله يثبت الله الذين آمنوا الاية ثم ياتيه آت حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول ابشر برحمة
من ربك وجنات فيها نعيم مقيم فيقول وانت فبشرك الله بخير من انت فيقول انا عملك الصالح والله ما علمت
ان كنت لسريعا في طاعة الله بطيئا عن معصية الله فجزاك الله خيرا قال ثم ينادي منادي ان افرشوا له
من فرش الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة فيفرش له فرش من الجنة ويفتح له بابا الى الجنة فيقول اللهم
عجل قيام الساعة حتى ارجع الى اهلي ومالي قال واما الكافر فانه اذا كان في قبل من الآخرة وانقطاع
من الدنيا نزلت اليه ملائكة غلاظ شداد معهم ثياب من نار وسرابيل من قطران فيحتوشونه
فاذا خرجت نفسه لعنه كل ملك بين السماء والارض وكل ملك في السماء وغلقت ابواب السماء وليس
منها باب الا يكره ان يدخل روحه منه فاذا صعد بروحه نبذ وقيل اي رب عبدك فلان لم تقبله
سماء ولا ارض فيقول ارجعوه فاروه ما اعددت له من الشر اني وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم
الاية فانه يسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال له يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك
فيقال لا دريت ثم ياتيه آت قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب فيقول ابشر بسخط من الله وبعذاب اليم
فيقول بشرك الله بشر من انت فيقول انا عملك الخبيث والله ان كنت لسريعا في معصية الله بطيئا
عن طاعة الله فجزاك الله شرا فيقول وانت فجزاك الله شرا ثم يقيض له اصم اعمى ابكم معه مرزبة من حديد
لو اجتمع عليها الثقلان على ان يقلوها لم يستطيعوا لو ضرب بها جبل صار ترابا فيضربه بها ضربة فيصير
ترابا ثم يعود فيه الروح فيضرب بها عينيه ضربة يسمعها من على وجه الارض ليس الثقلين قال ثم
ينادي مناد ان افرشوا له لوحين من نار وافتحوا له بابا الى النار فيفرش له لوحان من نار ويفتح له باب
الى النار وقال محمد بن علي ما من ميت يموت الا مثل له عند الموت اعماله الحسنة واعماله السيئة
قال فيشخص الى حسناته ويطرف عن سيئاته وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم ان المومن اذا
احتضر اتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر الريحان فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين
وقال ايتها النفس المطمئنة اخرجي راضية مرضية عنك الى روح الله وكرامته واذا اخرجت روحه
وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت عليه الحريرة وبعث بها الى عليين وان الكافر اذا احتضر
اتته الملائكة بمسح فيه جمرة فينزع روحه انتزاعا شديدا ويقال ايتها النفس الخبيثة اخرجي ساخطة
ومسخوطا عليك الى هوان الله وعذابه واذا اخرجت روحه وضعت على تلك الجمرة فان لها نشيشا ويطوى

عليه المسح ويذهب بها الى سجين وعن محمد بن كعب القرظي انه كان يقرا قوله تعالى حتى اذا جاء احدهم
الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا فقال اي شي تريد في اي شي ترغب اتريد
ان ترجع لتجمع المال وتغرس الغراس وتبني البنيان وتشق الانهار فقال لا لعلي اعمل صالحا فيما تركت
قال يقول الجبار كلا انها كلمة هو قايلها اي ليقولنها عند الموت وقال ابو هريرة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم المومن في قبره في روضة خضرا ويرحب له في قبره سبعين ذراعا ويضي حتى
يكون كالقمر ليلة البدر هل تدرون فيما انزلت فان له معيشة ضنكا قالوا الله ورسوله اعلم
قال عذاب الكافر في قبره تسلط عليه تسعة وتسعون تنينا هل تدرون ما التنين تسعة وتسعون
حية لكل حية سبعة رؤس يخدشونه ويلسعونه وينفخون في جسمه الى يوم يبعثون ولا ينبغي ان
يتعجب من هذا العدد على الخصوص فان اعداد هذه العقارب والحيات بعدد اعداد الاخلاق
المذمومة من الكبر والريا والحسد والغل والحقد وساير الصفات فان لها اصولا معدودة
ثم تتشعب عنها فروع معدودة ثم تنقسم فروعها باقسام وتلك الصفات باعيانها هي المهلكات
وهي باعيانها تنقلب عقارب وحيات فالقوي منها يلدغ لدغ التنين والضعيف يلدغ
لدغ العقرب وما بينهما يوذي ايذا الحية وارباب القلوب والبصاير يشاهدون بنور البصيرة
المهلكات وانشعاب فروعها الا ان مقدار عددها لا يوقف عليها الا بنور النبوة وامثال هذه
الاخبار لها ظواهر صحيحة واسرار خفية ولكنها عند ارباب البصاير واضحة فمن لم ينكشف له حقايقها
فلا ينبغي ان ينكر ظواهرها فاقل درجات الايمان التصديق والتسليم فان قلت فنحن نشاهد
الكافر في قبره مدة ونراقبه ولا نشاهد شيا من ذلك فما وجه التصديق على خلاف المشاهدة
فاعلم ان لك ثلث مقامات في التصديق بامثال هذا احدها وهو الاظهر والاصح والاسلم
ان تصدق بانها موجودة وهي تلدغ الميت ولكنك لا تشاهد ذلك فان هذه العين لا تصلح لمشاهدة
الامور الملكوتية وكل ما يتعلق بالاخرة فهو من عالم الملكوت اما ترى الصحابة كيف كانوا يومنون
بنزول جبريل عليه السلم وما كانوا يشاهدونه ويومنون بانه عليه السلم يشاهده فان كنت
لا تومن بهذا فتصحيح الايمان بالملايكة والوحي اهم عليك وان امنت به وجوزت ان يشاهد النبي ما لا
يشاهده الامة فكيف لا تجوز هذا في الميت وكما ان الملك لا يشبه الادميين والحيوانات فالحيات
والعقارب التي تلدغ في القبر ليست من جنس حيات عالمنا بل هو جنس اخر وتدرك بحاسة اخرى
المقام الثاني ان تتذكر امر النايم وانه قد يرى في النوم حية تلدغه وهو يتالم بذلك حتى تراه في نومه

يصيح ويعرق جبينه وقد ينزعج من مكانه وهو يتألم بذلك كله وذلك يدركه من نفسه ويتأذى به كما يتأذى
اليقظان وهو يشاهده وانت ترى ظاهره ساكنا ولا ترى حواليه حية والحية موجودة في حقه والعذاب
في ألم اللدغ فلا فرق بين حية تتخيل او تشاهد المقام الثالث انك تعلم ان الحية بنفسها لا
تولم بل الذي يلقاك منها وهو السم ثم السم ليس هو الالم بل عذابك في الاثر الذي يحصل فيك
من السم فلو حصل مثل ذلك الاثر من غير سم لكان العذاب موجودا وكان لا يمكن تعريف ذلك النوع
من العذاب الا بان يضاف الى السبب الذي يفضي اليه في العادة فانه لو خلق في الانسان لذة
الوقاع من غير مباشرة صورة الوقاع لم يمكن تعريفه الا بان يضاف اليه فيكون الاضافة للتعريف بالسبب
فيكون ثمرة السبب حاصلا وان لم يحصل صورة السبب والسبب يراد لثمرته لا لذاته وهذه الصفات
المهلكات تنقلب مؤذيات ومولمات في النفس عند الموت فيكون آلامها كآلام لدغ الحيات من غير
وجود الحيات وانقلاب الصفة مؤذية يضاهي انقلاب العشق مؤذيا عند موت المعشوق فانه
كان لذيذا فطرأ حال صار اللذيذ بنفسه مولما حتى نزل بالقلب من انواع العذاب ما يتمنى
معه انه لم يكن قد تنعم بالعشق والوصال بل هذا بعينه هو احد انواع عذاب الميت فانه قد سلط
العشق في الدنيا على نفسه فعشق ماله وعقاره وجاهه وولده واقاربه ومعارفه ولو اخذ جميع ذلك
في حياته من لا يرجو رجوعها اليه فماذا ترى ان يكون حاله اليس يعظم شقاؤه ويصعب
عذابه ويتمنى ويقول ليته لم يكن لي مال قط ولا جاه قط فكنت لا اتأذى بفراقه فالموت عبارة عن
مفارقة المحبوبات الدنيوية كلها دفعة واحدة وما حال من كان له واحد فيؤخذ منه ذلك الواحد
فما حال من لا يفرح الا بالدنيا فيؤخذ منه الدنيا ويسلم الى اعدائه ثم يضاف الى هذا العذاب حسرة
على ما فاته من نعيم الآخرة والحجاب عن الله تع فان حب غير الله يحجبه عن لقاء الله تع والتنعم به
فيتوالى عليه الم الفراق من جميع محبوباته وحسرة ما فاته من نعيم الآخرة ابد الآباد وذل الرد والحجاب
عن الله وذلك هو الذي يعذب به اذ لا يشتعل نار الفراق الا نار جهنم كما قال تعالى كلا انهم عن ربهم
يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم واما من لم يأنس بالدنيا ولم يحب الا الله تع وكان مشتاقا الى
الله فقد تخلص من سجن الدنيا ومقاساة الشهوات فيها وقدم على محبوبه وانقطعت عنه العوائق
والصوارف وتوفر عليه النعيم مع الامن عن الزوال ابد الآباد فلمثل ذلك فليعمل العاملون والمقصود
ان الرجل قد يحب فرسه بحيث لو خير بين ان يؤخذ منه وبين ان يلدغه عقرب لآثر الصبر على لدغ
العقرب فاذن الم فراق الفرس عنده اعظم من لدغ العقرب وحبه للفرس هو الذي يلدغه اذا

اخذ منه فرسه فليستعد لهذه اللدغات فان الموت ياخذ منه فرسه ومركبه وداره وعقاره واهله
وولده واحبابه ومعارفه وياخذ منه جاهه وقبوله بل ياخذ منه سمعه وبصره واعضاءه وياس
عن رجوعه اليه فاذا لم يحب سواه وقد اخذ جميع ذلك منه فذلك اعظم عليه من العقارب والحيات
وكما لو اخذ ذلك منه وهو حي فيعظم عذابه فكذلك اذا مات لانا قد بينا ان المعني الذي هو المدرك
للالام واللذات لم يمت بل عذابه بعد الموت اشد لانه في الحيوة يتسلي باسباب يشغل بها حواسه
من مجالسه ومحادثة ويتسلي برجاء العود اليه ويتسلي بر[illegible] العوض منه ولا سلوة بعد الموت
اذ قد انسدت عليه طرق التسلي وحصل الياس فاذا كل قميص له ومنديل قد احبه بحيث كان
يشق عليه لو اخذ منه فانه يبقي متاسفا عليه ومعذبا به فان كان مخفا من الدنيا سلم وهو المعني
بقوله نجا المخفون فان كان مثقلا عظم عذابه وكما ان حال من يسرق منه دينار اخف من حال من يسرق
منه عشرة دنانير فكذلك حال صاحب الدرهم اخف من حال صاحب الدرهمين [illegible] مي بقوله عليه السلم
صاحب الدرهم اخف حسابا من صاحب الدرهمين وما من شي من الدنيا يخلف عنك عند الموت الا وهو
حسرة عليك بعد الموت فان شئت فاستقلل وان شئت فاستكثر فان استكثرت فلست مستكثرا
الا من الحسرة وان استقللت فلست تخفف الا من ظهرك وانما تكثر الحيات والعقارب في قبور الاغنياء
الذين استحبوا الحيوة الدنيا علي الاخرة وفرحوا بها واطمانوا اليها فهذه مقامات الايمان في حيات
القبر وعقاربه وفي ساير انواع عذابه رأي ابو سعيد الخراز ابنا له قد مات في المنام فقال له يا بني
عظني فقال لا تخالف الله فما ريد قال يا بني زدني فقال يا ابت لا تطيق قال قل قال لا تجعل بينك وبين الله
قميصا فما لبس قميصا ثلثين سنة فان قلت فما الصحيح من هذه المقامات الثلث فاعلم ان الناس من لم
يثبت الا الاول وانكر ما بعده ومنهم من انكر الاول واثبت الثاني ومنهم من لم يثبت الا الثالث وانما الحق الذي
انكشف لنا بطريق الاستبصار ان كل ذلك في حيز الامكان وان من ينكر بعض ذلك فهو لضيق حوصلته
وجهله باتساع قدرة الله تعالي وعجايب تدبيره فينكر من افعال الله ما لم ياتنس به ولم ياتلفه وذلك جهل وقصور
بل هذه الطرق الثلثة في التعذيب ممكنة والتصديق بها واجب ورب عبد يعاقب بنوع واحد من هذه
الانواع ورب عبد يجتمع عليه هذه الانواع الثلثة نعوذ بالله من عذاب الله قليله وكثيره وهذا هو الحق
فصدق به تقليدا فيعز علي بسيط الارض من يعرف ذلك تحقيقا والذي اوصيك به ان لا تكثر نظرك
في تفصيل ذلك ولا يشتغل بمعرفته بل اشتغل بالتدبير في دفع العذاب كيف ما كان فان اهملت
العمل والعبادة واشتغلت بالبحث عن ذلك كنت كمن اخذه سلطان وحبسه ليقطع يده ويجدع انفه

واخذ طول الليل يتفكر في انه انما يقطعه بسكين او بسيف او بالموسى واهمل طريق الحيلة في دفع اصل
العذاب عن نفسه وهذا غاية الجهل فقد علم على القطع ان العبد بعد الموت لا يخلو عن عقاب
عظيم او عن نعيم مقيم فينبغي ان يكون الاستعداد له فاما البحث عن تفصيل العقاب والثواب ففضول
وتضييع زمان

بيان سؤال منكر ونكير وصورتهما وضغطة القبر وبقية القول في عذاب القبر

قال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات العبد اتاه ملكان اسودان ازرقان يقال
لاحدهما المنكر وللآخر النكير فيقولان له ما كنت تقول في النبي فان كان مؤمنا قال هو عبد الله ورسوله
اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فيقولان انا كنا لنعلم انك تقول ذلك ثم يفسح له في قبره سبعون
ذراعا في سبعين ذراعا وينور له في قبره ثم يقال له نم فيقول دعوني ارجع الى اهلي فاخبرهم فيقال له
نم فينام كنومة العروس الذي لا يوقظه الا احب اهله اليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وان كان
منافقا قال لا ادري كنت اسمع الناس يقولون شيئا وكنت اقوله فيقولان انا كنا لنعلم انك تقول
ذلك ثم يقال للارض التئمي عليه فتلتئم عليه حتى تختلف فيها اضلاعه فلا يزال معذبا حتى يبعثه
الله من مضجعه ذلك وعن عطاء بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر يا عمر كيف بك اذا
انت مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك اربعة اذرع في ذراع وشبر ثم رجعوا اليك فغسلوك وكفنوك
وحنطوك ثم احتملوك حتى يضعوك فيه ثم يهيلوا عليك التراب ويدفنوك فاذا انصرفوا عنك اتاك
فتانا القبر منكر ونكير اصواتهما كالرعد القاصف وابصارهما كالبرق الخاطف يجران اشعارهما
وينبشان القبر بانيابهما فتلتلاك وترتراك كيف بك عند ذلك يا عمر قال عمر ويكون معي مثل عقلي
الآن قال نعم قال اذا اكفيكهما وهذا نص صريح في ان العقل لا يتغير بالموت انما يتغير البدن والاعضاء
فيكون الميت عاقلا مدركا للآلام واللذات كما كان لا يتغير من عقله شيء وليس العقل المدرك هذه الاعضاء
بل هو شيء باطن ليس له طول ولا عرض بل لا ينقسم في نفسه هو المدرك للاشياء ولو تناثرت اعضاء
الانسان كلها ولم يبق الا الجزء المدرك الذي لا يتجزى ولا ينقسم لكان الانسان العاقل بكماله قائما
باقيا وهو كذلك بعد الموت فان ذلك الجزء لا يحله الموت ولا يطرى عليه العدم وقال محمد بن المنكدر
بلغني ان الكافر يسلط عليه في قبره دابة عمياء صماء في يدها سوط من حديد في راسه مثل عرف
الجمل يضربه الى يوم القيمة لا تراه فتتقيه ولا تسمع صوته فترحمه وقال ابو هريرة اذا وضع الميت في
قبره جاءت اعماله الصالحة فاحتوشته فان اتاه من قبل راسه جاءت قراءة القرآن وان اتاه من
قبل رجليه جاء قيامه وان اتاه من قبل يده قالت اليدان كان والله يبسطني للصدقة والدعاء

لاسبيل لكم اليه فارجعوا وان جاء من قبل فيه جاء ذكره وصيامه وكذلك الصلوة والصبر ناحية ناحية فيقول
اما اني لو رايت خللا لكنت انا صاحبه قال سفيان تجاحش عنه اعماله الصالحة كما تجاحش الرجل عن
اخيه واهله وولده ثم يقال عند ذلك بارك الله لك في مضجعك فنعم الاخلاء اخلاءك ونعم الاصحاب
اصحابك عن حذيفة قال كنا مع رسول الله في جنازة فجلس على راس القبر ثم جعل ينظر فيه ثم قال يضغط
المومن في هذا ضغطة تزول فيها حمايله وقالت عايشة قال رسول الله عليه السلم ان للقبر ضغطة
ولو سلم او نجا منها احد لنجا سعد بن معاد وعن انس توفيت زينب بنت رسول الله وكانت امراة
مسقامة فتبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فساءنا حالها فلما انتهينا الى القبر فدخله التمع وجهه
صفرة فلما خرج اسفر وجهه فقلنا يا رسول الله راينا منك شيا فمم ذلك قال ذكرت ضغطة ابنتي
وشدة عذاب القبر فاتيت فاخبرت ان قد خفف عنها ولقد ضغطت ضغطة سمع صوتها ما بين
الخافقين

الباب الثامن فيما عرف من احوال

الموتى بالمكاشفة في المنام اعلم ان انوار البصاير المستفادة من كتاب الله وسنة رسوله ومن
مناهج الاعتبار عرفنا احوال الموتى على الجملة وانقسامهم الى سعداء واشقياء ولكن حال عمرو
وزيد بعينه ولا ينكشف به اصلا فانا ان عولنا على ايمان زيد فلا ندري على ماذا مات وكيف ختم
له فان عولنا على صلاحه الظاهر فالتقوى محله القلب وهو غامض يخفى على صاحب التقوى
فكيف على غيره ولا حكم لظاهر الصلاح دون التقوى الباطن قال الله تعالى انما يتقبل الله من المتقين
فلا يمكن معرفة حكم زيد وعمرو الا بمشاهدته ومشاهدة ما يجري عليه واذا مات فقد تحول من عالم
الملك والشهادة الى عالم الغيب والملكوت فلا يرى بالعين الظاهرة وانما يدرك بعين اخرى خلقت
تلك العين في قلب كل انسان ولكن الانسان جعل على عينه غشاوة كثيفة من شهواته واشغاله
الدنيوية فصار لا يبصر به ولا يتصور ان يبصر به شيا من عالم الملكوت ما لم تنقشع تلك الغشاوة عن عين
قلبه ولما كانت الغشاوة منقشعة عن اعين الانبياء عليهم السلم فلا جرم نظروا الى الملكوت وشاهدوا
عجايبه والموتى في عالم الملكوت فشاهدوهم واخبروا ولذلك راى رسول الله عليه السلم ضغطة القبر
في حق سعد بن معاد وفي حق زينب ابنته وكذلك حال ابي جابر لما استشهد اذ اخبر ان الله اقعده
بين يديه ليس بينهما ستر ومثل هذه المشاهدة لا مطمع فيها لغير الانبياء والاولياء الذين يقرب
درجتهم منهم وانما الممكن من امثالنا مشاهدة اخرى ضعيفة الا انها ايضا مشاهدة نبوية واعني
به المشاهدة في المنام وهو من انوار النبوة قال صلى الله عليه وسلم الرويا الصالحة جزء من ستة واربعين

جزء من النبوة وهو ايضا انكشاف لا يحصل الا بانقشاع الغشاوة عن القلب فلذلك لا يوثق الا برؤيا
الرجل الصالح الصادق ومن كثر كذبه لم تصدق رؤياه وقال عليه السلم اصدقكم رؤيا اصدقكم حديثا
ومن كثر فساده ومعاصيه اظلم قلبه فكان ما يراه اضغاث احلام ولذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالطهارة عند النوم لينام طاهرا وهو اشارة الى طهارة الباطن ايضا فهو الاصل وطهارة الظاهر
تتمة له وتكملة ومهما صفى القلب انكشف في حدقة القلب ما سيكون في المستقبل كما انكشف دخول
مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم حتى نزل قوله تع لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق
الآية وقل ما يخلو الانسان عن منامات دلت على امور فوجدها صحيحة والرؤيا ومعرفة الغيب
في النوم من عجايب صنع الله تع وبدايع فطرة الآدمي وهو من اوضح الادلة على عالم الملكوت
والخلق غافلون عنه لغفلتهم عن ساير عجايب القلب وعجايب العالم والقول في حقيقة
الرؤيا من دقايق علوم المكاشفة فلا يمكن ذكره علاوة على علم المعاملة ولكن القدر الذي
يمكن ذكره ههنا مثال يفهمك المقصود وهو ان تعلم ان القلب مثاله مثال مرآة يتراءى فيها
الصور وحقايق الامور وان كل ما في قدرة الله تعالى من ابتداء خلق العالم الى آخرها
مسطور ومثبت في خلق خلقه الله يعبر عنه تارة باللوح وتارة بالكتاب المبين وتارة بامام
مبين كما ورد في القرآن فجميع ما جرى في العالم وما سيجري مكتوب فيه ومنقوش عليه نقشا
لا يشاهد بهذه العين ولا يظن ان ذلك اللوح من خشب او حديد وان الكتاب من كاغد
او رق بل ينبغي ان تفهم قطعا ان لوح الله لا يشبه لوح الخلق وكتابه لا يشبه كتاب الخلق كما
ان ذاته وصفاته لا تشبه ذوات الخلق وصفاتهم بل ان كنت تطلب له مثالا لا يقربه الى فهمك
فاعلم ان ثبوت المقادير في اللوح يضاهي ثبوت كلمات القرآن وحروفه في دماغ حافظ القرآن
وقلبه فانه مسطور فيه حتى كأنه حيث يقراه ينظر اليه ولو فتشت عن دماغه جزءا جزءا لم تشاهد
ذلك الخط فمن هذا النمط ينبغي ان يفهم كون اللوح منقوشا بجميع ما قدره الله تع وقضى به هذا ما بدا لنا
وظهر في هذه المسالة والاولى فيها وفي امثالها الايمان والتصديق وترك البحث والتفكر فيها
اذ هي من العلوم الغيبية التي لا وقوف لنا على حقايقها واللوح في المثال كمرآة ظهرت فيها
الصور فلو وضع في مقابلة المرآة مرآة اخرى لكانت صورة تلك المرآة تتراءى في هذه الا ان يكون
بينهما حجاب فالقلب مرآة تقبل رسوم العلوم واللوح مرآة رسوم العلوم كلها موجودة فيها
واشتغال القلب بشهواته ومقتضى حواسه حجاب مرسل بينه وبين مطالعة اللوح المحفوظ

٩٢٦

الذي هو من عالم الملكوت فان هبت ريح وحركت هذا الحجاب ورفعته تلالا في مرآة القلب شي من
عالم الملكوت كالبرق الخاطف وقد يثبت ويدوم وقد لا يدوم وهو الغالب وما دام مستيقظا فهو مشغول
بما تورده الحواس عليه من عالم الملك والشهادة وهو حجاب عن عالم الملكوت ومعنى النوم ان تركد
الحواس فلا تورد على القلب ذلك فاذا تخلص منه ومن الخيال وكان صافيا في جوهره ارتفع الحجاب
بينه وبين اللوح المحفوظ فوقع في قلبه شي مما في اللوح كما يقع الصورة في المرآة اذا ارتفع الحجاب
بينهما الا ان النوم مانع سائر الحواس عن العمل وليس مانعا للخيال عن عمله وعن تحركه فما يقع في القلب
يبتدره الخيال فيحاكيه بمثال يقاربه ويكون المتخيلات اثبت في الحفظ من غيره فيبقى الخيال
في الحفظ فاذا انتبه لم يتذكر الا الخيال فيحتاج المعبر ان ينظر ان هذا الخيال حكاية اي معنى
من المعاني فيرجع الى المعاني بالمناسبة التي بين المتخيل والمعاني وامثلة ذلك ظاهرة عند
من نظر في علم التعبير ويكفيك مثال واحد وهو ان رجلا قال لابن سيرين رايت كان في يدي
خاتم اختم به افواه الرجال وفروج النساء فقال انك مؤذن تؤذن قبل الصبح في رمضان
فقال صدقت فانظر ان روح الختم هو المنع ولاجله يراد الختم وانما ينكشف للقلب حال الشخص
من اللوح المحفوظ كما هو عليه وهو كونه مانعا للناس من الاكل والشرب ولكن الخيال
الف المنع عند المنع بالختم فيمثله بالصورة الخيالية التي تتضمن روح المعنى ولا يبقى في الحفظ الا
الصورة الخيالية فهذه نبذة يسيرة من بحر علوم الرؤيا الذي لا تنحصر عجايبه وكيف لا وهو اخ الموت
وانما الموت هو عجب العجايب وهذا لانه يشبهه من وجه ضعيف اذ في كشف الغطاء عن
عالم الغيب حتى صار النايم يعرف ما سيكون في المستقبل فماذا ترى في الموت الذي يخرق الحجاب
ويكشف الغطاء بالكلية حتى يرى الانسان عند انقطاع النفس من غير تاخير نفسه اما محفوفة
بالانكال والمخازي والفضايح نعوذ بالله منه واما مكنوفة بنعيم مقيم وملك كبير لا آخر له وعند هذا يقال
للاشقياء وقد انكشف الغطاء لقد كنت في غفلة من هذا الاية ويقال اخسئوا فيها ام انتم لا
تبصرون الى قوله انما تجزون ما كنتم تعملون واليهم الاشارة بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا
يحتسبون فاعلم العلماء واحكم الحكماء ينكشف له عقيب الموت من العجايب والآيات ما لم يخطر
قط ولا اختلج بضميره فلو لم يكن للعاقل هم وغم الا الفكرة في خطر تلك الحال ان الحجاب عماذا ينقشع
وما الذي ينكشف وراء الغطاء من شقاوة لازمة او سعادة دايمة لكان ذلك كافيا في استغراق
جميع العمر والعجب من غفلتنا وهذه العظايم بين ايدينا واعجب من ذلك فرحنا باموالنا واهلينا

ربابنا بنا ودربنا في باعضائنا وسمعنا وبصرنا مع انا نعلم مفارقة جميع ذلك يقينا ولكن اين من ينفث
روح القدس في روعه فيقول له ما قال لسيد النبيين عليه السلم احبب ما احببت فانك مفارقه وعش
ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي [illegible] اكان ذلك مكشوفا له بعين اليقين كان
في الدنيا كعابر سبيل لم يضع لبنة [illegible] قصبه على قصبه ولم يخلف دينارا ولا درهما ولم يتخذ
حبيبا ولا خليلا نعم قال لو كنت [illegible] خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الرحمن فين
ان خلة الله تخلل باطن قلبه وان حبه تمكن من حبة قلبه فلم يترك فيه متسعا لخليل ولا حبيب وقد قال
لامته ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فانما امته من اتبعه وما اتبعه الا من اعرض عن الدنيا
واقبل على الآخرة فانه ما دعا الا الى الله واليوم الآخر وما صرف الا عن الدنيا والحظوظ العاجلة فبقدر
ما اعرضت عن الدنيا واقبلت على الآخرة فقد سلكت سبيله الذي سلكه وبقدر ما سلكت سبيله
فقد اتبعته وبقدر ما اتبعته صرت من امته وبقدر ما اقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله ورغبت
عن متابعته والتحقت بالذين قال الله تعالى فيهم فاما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي
المأوى فلو خرجت من مكمن الغرور وانصفت نفسك يا رجل وكلنا ذلك الرجل لعلمت انك من حين تصبح الى حين تمسي لا تسعى
الا في الحظوظ العاجلة ولا تتحرك الا لاجل الدنيا ثم تطمع في ان تكون غدا في امته واتباعه
ما ابعد ظنك وما ابرد طمعك افنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون ولنرجع الى ما كنا بصدده
فقد امتد عنان الكلام الى غير مقصده ولنذكر الآن من المنامات المكاشفة لاحوال الموتى ما يعظم
به الانتفاع اذ ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وليس ذلك الا المنامات بيان منامات كشف
عن احوال الموتى والاعمال النافعة في الآخرة فمن ذلك رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد قال
عليه السلم والصلوة من راى في المنام فقد رآني فان الشيطان لا يتمثل بي وقال عمر رايت رسول الله
في المنام فقلت يا رسول الله ما شاني فالتفت الي وقال الست المقبل وانت صايم قال فوالذي نفسي
بيده لا اقبل امراة وانا صايم ابدا وقال العباس كنت ود العمر فاشتهيت ان اراه في المنام فما
رايته الا عند قرب الحول فرايته يمسح العرق عن جبينه وهو يقول هذا اوان فراغي ان كاد عرشي
ليهد لولا اني لقيته رؤفا رحيما قال الحسن بن علي قال لي علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سنح لي
الليلة في منامي فقلت يا رسول الله ما لقيت من امتك قال ادع عليهم فقلت اللهم ابدلني بهم من هو خير لي
منهم وابدلهم بي من هو شر لهم مني فخرج فضربه ابن ملجم وقال بعض الشيوخ رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
في المنام فقلت يا رسول الله استغفر لي فاعرض عني فقلت يا رسول الله ان سفين بن عيينة حدثنا عن

محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله انك لم تسال شيئا قط فقلت لا فاقبل علي فقال غفر الله لك وروي
عن العباس بن عبد المطلب قال كنت مواخيا لابي لهب مصاحبا له واخبر الله عنه بما اخبر حزنت عليه
واهمني امره فسالت الله ان يريني اياه في [illegible] فرايته يلتهب نارا فسالته عن حاله فقال صرت
الى النار في العذاب لا يخفف عني ولا يروح الا [illegible] في كل الليالي والايام قلت ولم ذاك
قال ولد في تلك الليلة محمد صلى الله عليه وسلم فجاءني اميمة تبشرني بولادة آمنة اياه ففرحت به واعتقت
وليدة لي فرحا فاثابني الله بذلك ان رفع عني العذاب في كل ليلة اثنين وقال عبد الواحد بن زيد
خرجت حاجا فصحبني رجل كان لا يقوم ولا يقعد ولا يتحرك ولا يسكن الا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم
فسالته عن ذلك فقال اخبرك خرجت اول مرة الى مكة ومعي ابي فلما انصرفنا نمت في بعض المنازل
فبينا انا نايم اذ اتاني آت فقال قم امات الله اباك وسود وجهه فقال فقمت مذعورا فكشفت الثوب
عن وجهه فاذا هو ميت اسود الوجه فدخلني من ذلك رعب فبينا انا في ذلك الغم اذ غلبتني عيني
فاذا على راس ابي اربعة سودان معهم اعمدة حديد اذ اقبل رجل حسن الوجه بين ثوبين اخضرين
فقال لهم تنحوا فمسح وجهه بيده ثم اتاني فقال قم بيض الله وجه ابيك فقلت له من انت بابي انت
وامي فقال انا محمد قال فقمت فكشفت الثوب عن وجهه فاذا هو ابيض فما تركت الصلاة بعد
ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عمر بن عبد العزيز قال رايت رسول الله وابو بكر وعمر جالسان
عنده فسلمت وجلست فبينا انا جالس اذ اتي بعلي ومعوية فادخلا بيتا واخذ عليهما الباب وانا
انظر فما كان باسرع ان خرج علي رضي الله عنه وهو يقول قضي لي ورب الكعبة وما كان باسرع
ان خرج معوية على اثره ويقول غفر لي ورب الكعبة واستيقظ ابن عباس من نومه مرة فاسترجع
وقال قتل الحسين والله وكان قبل قتله فانكره اصحابه قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومعه زجاجة من دم فقال الا تعلم ما صنعت امتي بعدي قتلوا ابني الحسين وهذا دمه ودما اصحابه
ارفعها الى الله تعالى فجاء الخبر بعد اربع وعشرين يوما بقتله في اليوم الذي رآه ورأى الصديق في
المنام فقيل انك تقول ابدا في لسانك هنا اورد في الموارد فما فعل الله بك قال قلت به لا اله الا الله
فاوردني الجنة بيان منامات المشايخ قال بعض المشايخ رايت تميم الداري في المنام
فقلت يا سيدي ما فعل الله بك قال درني في الجنان فقيل يا تميم هل استحسنت فيها شيئا فقلت
لا يا سيدي فقال لو استحسنت منها شيئا لوكلتك اليها ولم اوصلك الي وراي يوسف بن الحسين
في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي فقيل بماذا قال ما خلطت جدا بهزل وعن منصور

اسمعيل قال رايت عبد الله البزاز في المنام فقلت ما فعل الله بك قال اوقفني بين يديه فغفر لي كل ذنب
اقررت به الا ذنبا واحدا فاني استحييت ان اقر به فوقفني في العرق حتى سقط لحم وجهي فعلت
ما كان ذلك قال نظرت الى غلام جميل فاستحييت من الله ان اذكره وقال ابو جعفر
الصيدلاني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وحوله جماعة من الفقراء فبينا نحن كذلك
اذا انشقت السماء ونزل ملكان احدهما بيده طست وبيد الاخر ابريق فوضع الطست بين يدي
رسول الله فغسل يده ثم امر حتى غسلوا ثم وضع الطست بين يدي فقال احدهما للاخر لا تصب على
يده فانه ليس منهم فقلت يا رسول الله اني احبك واحب هولاء الفقراء وقد روي عنك انك قلت المرء
مع من احب قال بلى قال صب على يده فانه منهم وقال الجنيد رايت في النوم كاني اتكلم على الناس
فوقف علي ملك فقال اقرب ما تقرب به المتقربون الى الله تعالى ماذا فقلت عمل خفي بميزان وفي فولى
الملك وهو يقول كلام موفق والله وراي مجمع في النوم فقيل له كيف رايت الامر قال رايت الزاهدين
في الدنيا ذهبوا بخير الدنيا والاخرة ، وقال رجل من اهل الشام للعلاء بن زياد رايتك في النوم كانك
في الجنة فنزل عن مجلسه واقبل عليه ثم قال لعل الشيطان اراد امرا فعصمت منه فاتبعه
رجلا يتلقى وقال محمد بن واسع الرويا تسر المومن ولا تغره وقال صالح بن بشير رايت عطاء السلمي
في المنام فقلت له رحمك الله لقد كنت طويل الحزن في الدنيا فقال اما والله لقد اعقبني ذلك
راحة طويلة وفرحا دايما فقلت في اي الدرجات انت قال مع الذين انعم الله عليهم من النبيين الاية
وسيل زرارة بن اوفى في المنام اي الاعمال افضل عندكم فقال الرضا وقصر الامل وقال
يزيد بن مذعور رايت الاوزاعي في النوم فقلت يا ابا عمرو دلني على عمل اتقرب به الى الله تعالى فقال ما رايت
هناك درجة ارفع من درجة العلماء ثم درجة المحزونين قال وكان يزيد شيخا كبيرا فلم يزل يبكي
حتى اظلمت عيناه ، وقال عيينة رايت اخي في المنام فقلت يا اخي ما فعل الله بك قال كل ذنب
استغفرت منه غفر لي وما لم استغفر منه لم يغفر وقال علي الطلحي رايت في المنام امراة لا تشبه
نساء الدنيا فقلت من انت قالت حوراء قلت زوجيني نفسك قالت اخطبني الى سيدي
وامهرني قلت وما مهرك قالت حبس نفسك عن آفاتها قال ابرهيم بن اسحق الحربي رايت زبيدة
في المنام فقلت ما فعل الله بك قالت غفر لي قلت لها بما انفقت في طريق مكة قالت اما النفقات
التي انفقتها رجع اجورها الى اربابها وغفر لي بنيتي ولما مات سفين الثوري رأوه في المنام
فقيل له ما فعل الله بك فقال وضعت اول قدمي على الصراط والثاني في الجنة وقال احمد بن ابي

الحواري رايت فيما يرى النايم جارية ما رايت احسن منها وكان يتلالا وجهها نورا فقلت لها
مما ذا اضوى وجهك قالت تذكر تلك الدموع التي بكيت فيها فقلت نعم قالت اخذت دمعك
فمسحت به وجهي فمن ثم ضوء وجهي [illegible] الكتاني رايت الجنيد في النوم فقلت ما
فعل الله بك قال طاحت تلك الاشارات وذهبت [illegible] ما حصلنا الا على ركعتين كنا
نصليهما في الليل ورايت زبيدة في المنام فقيل لها ما فعل الله بك قالت غفر لي بهذه الكلمات
الاربع لا اله الا الله افنى بها عمري لا اله الا الله ادخل بها قبري لا اله الا الله اخلو بها وحدي
لا اله الا الله القى بها ربي وراي بشر في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال رحمني ربي عز وجل
قال اما استحييت مني كنت تخافني كل ذلك الخوف وراي ابا سليمان في النوم فقيل له ما
فعل الله بك قال رحمني وما كان شي اضر علي من اشارات القوم الي وقال ابو بكر الكتاني رايت
في النوم شابا لم ار احسن منه فقلت من انت قال التقوى قلت فاين تسكن قال كل قلب حزين
ثم التفت فاذا امراة سوداء كاوحش ما يكون قلت من انت قالت انا السقم قلت فاين
تسكنين قالت كل قلب فرح مرح قال فانتبهت واعتقدت ان لا اضحك الا غلبة وقال
ابو سعيد الخراز رايت في المنام كان ابليس وثب علي فاخذت العصا لاضربه فلم يفزع منها
فهتف بي هاتف هذا لا يخاف من هذه وانما يخاف من نور يكون في القلب وقال المسوحي
رايت ابليس في النوم فقلت الا تستحي من الناس فقال تالله ما هولاء ناس لو كانوا من الناس
ما كنت العب بهم طرفي النهار كما يتلاعب الصبيان بالكرة بل الناس قوم غير هولاء قد اسقموا
جسمي واشار بيده الى اصحابنا الصوفية وقال ابو سعيد الخراز كنت في دمشق فرايت في
المنام كان النبي صلى الله عليه وسلم جاءني متكيا على ابي بكر وعمر فجاء فوقف علي وانا اقول شيئا
من الاصوات وادق في صدري فقال لشر هذا اكثر من خيره وعن ابن عيينه قال رايت
سفين الثوري في النوم كانه في الجنه يطير من شجرة الى شجرة يقول لمثل هذا فليعمل العاملون
فقلت له اوصني قال اقلل من معرفة الناس وروى ابو حاتم الرازي عن قبيصة بن عقبه قال
رايت سفين الثوري في النوم فقلت ما فعل الله بك فقال نظرت الى ربي كفاحا فقال لي
هنيا رضاي عنك يا ابن سعيد لقد كنت قواما اذا اظلم الدجى بعبرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختر اي قصر اردته وزرني فاني منك غير بعيد وراي الشبلي بعد موته في النوم بثلثة ايام
فقيل له ما فعل الله بك قال ناقشني حتى ايست فلما راى ياسي تغمدني برحمته وراي مجنون بني

عاصي فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي بصلي جمة على الجنيد ورأى الثوري في النوم فقيل له ما
فعل الله بك قال رحمني فقيل له ما حال عبد الله بن المبارك فقال هو ممن يلج على ربه في كل يوم مرتين
ورأى بعضهم فسئل عن حاله فقال حاسبونا فدققوا [illegible] منوا فاعتقوا ورأي مالك بن انس فقيل له ما
فعل الله بك قال غفر لي بكلمة كان يقولها عثمان بن عفان عند روية الجنازة سبحان الحي الذي
لا يموت ورأي الليلة التي مات فيها الحسن البصري كان ابواب السما مفتحة وكان مناديا ينادي
الا ان الحسن البصري قدم على الله وهو عنه راض ورأي الجاحظ فقيل له ما فعل الله بك قال فلا تكتب
بخطك غير شي يسرك في القيمة ان تراه ورأي الجنيد ابليس في المنام عريانا فقال الا تستحي من الناس
فقال اهولاء ناس الناس اقوام في المسجد الشونيزية اضنوا جسدي واحرقوا كبدي قال الجنيد
فلما انتبهت غدوت الي المسجد فرايت جماعة وضعوا روسهم علي ركبهم يتفكرون فلما راوني قالوا
لا يغرنك حديث الخبيث وروي النصراباذي بمكة بعد وفاته في النوم فقيل له ما فعل الله بك
قال عوتبت عتاب الاشراف ثم نوديت يا ابا القسم ابعد الاتصال الانفصال فقلت لا يا ذا الجلال
فما وضعت في اللحد حتى لحقت بالاحد ورأي عتبة الغلام حوراء في المنام على صورة حسنة
فقالت يا عتبة انا لك عاشق فانظر ان لا تعمل من الاعمال شيا يحال بيني وبينك قال عتبة طلقت
الدنيا طلقا لا رجعة لي عليها حتى القاك وقيل راي ايوب السختياني جنازة عاصي فدخل الدهليز
حتى لا يضطر الي الصلاة عليها فراي بعضهم الميت في المنام فقال له ما فعل الله بك قال غفر لي وقال
قل لايوب قل لو انتم تملكون خزاين رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق وقال بعضهم رايت الليلة
التي مات فيها داود الطايي نورا وملايكة نزولا وملايكة صعودا فقلت اي ليلة هذه فقالوا
ليلة مات فيها داود الطايي وقد زخرفت الجنة لقدوم روحه وقال ابو سعيد الشحام رايت
سهلا الصعلوكي في النوم فقلت ايها الشيخ فقال دع التشيخ فقلت تلك الاحوال التي شاهدتها
فقال لم تغن عنا شيا فقلت ما فعل الله بك قال غفر لي بمسايل كان يسال عنها العجز وقال
ابو بكر الرستيدي رايت محمد الطوسي المعلم في النوم فقال لي قل لابي سعيد الصفار المودب كنا
على انا لا نحول عن الهوى فوحق حسن الحب حلتم وما حلنا فانتبهت فذكرت له فقال كنت ازور
قبره كل جمعة فلم ازره هذه الجمعة وقال ابن راشد رايت ابن المبارك في النوم بعد وفاته قلت اليس
قد مت قال بلى قلت فما صنع بك ربك قال غفر لي مغفرة احاطت بكل ذنب قلت فسفين الثوري
قال بخ بخ ذلك من الذين انعم الله عليهم من النبيين الاية وقال ربيع بن سليمان رايت الشافعي بعد

وفاته في النوم فقلت يا عبد الله ما صنع الله بك قال اجلسني على كرسي من ذهب ونثر علي من اللؤلؤ
الرطب ورأى رجل من اصحاب الحسن ليلة مات الحسن كان مناديا ينادي ان الله اصطفى آدم ونوحا
وآل ابرهيم وآل عمران على العالمين و [illegible] ابي الحسن على اهل زمانه وقال ابو يعقوب
القاري الدقيقي رايت في منامي رجلا آدم [illegible] يتبعونه فقلت من هذا قيل اويس القرني
فاتبعته فقلت اوصني رحمك الله فكلح في وجهي فقلت مسترشد فارشدني ارشدك الله فاقبل
علي وقال ابتغ رحمة ربك عند محبته واحذر نقمته عند معصيته ولا ينقطع رجاءك منه في خلال
ذلك ثم ولى وتركني وقال ابو بكر بن ابي مريم رايت ورقاء بن بشر الحضرمي فقلت ما فعل الله بك يا ورقا
قال نجوت بعد كل جهد قلت فاي الاعمال افضل قال البكاء من خشية الله تع وقال يزيد بن نعامة
هلكت جارية في الطاعون الجارف فلقيها ابوها في المنام فقال يا بنية اخبريني عن الآخرة قالت
يا ابت قدمنا على امر عظيم نعلم ولا نعمل وتعملون ولا تعلمون والله لتسبيحة او تسبيحتان او ركعة او
ركعتان في نسخة عملي احب الي من الدنيا وما فيها وقال بعض اصحاب عتبة الغلام رايت عتبة
في النوم فقلت ما صنع الله بك قال دخلت الجنة بتلك الدعوة المكتوبة في بيتك فلما اصبحت جئت
الى بيتي فاذا خط عتبة في حائط البيت مكتوب يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين ويا مقيل عثرات
العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم اجمعين واجعلنا مع الاحياء المرزوقين الذين
انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين رب العالمين وقال ابو [illegible] بن
احمد رايت سفين الثوري في الجنة يطير من نخلة الى نخلة ومن شجرة الى شجرة فقلت يا ابا عبد الله بم نلت
هذا قال بالورع قلت فما بال علي بن عاصم قال ذلك لا يكاد يرى الا كما يرى الكواكب ورأى رجل
من التابعين النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال يا رسول الله عظني فقال نعم من لم يتفقد النقصان
فهو في نقصان ومن كان في نقصان فالموت خير له وقال الشافعي دهمني في هذه الايام امر امضني
ولم يطلع عليه غير الله فلما كانت البارحة اتاني آت في منامي فقال يا محمد بن ادريس قل اللهم اني لا املك
لنفسي ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حيوة ولا نشورا ولا استطيع ان اخذ الا ما اعطيتني ولا اتقي الا ما وقيتني
اللهم فوفقني لما تحب وترضى من القول والعمل في عافية فلما اصبحت اعدت ذلك فلما ترحل النهار
اعطاني الله طلبتي وسهل لي الخلاص مما كنت فيه فعليكم بهذه الدعوات لا تغفلوا عنها فهذه جملة من
المكاشفات تدل على احوال الموتى وعلى الاعمال المقربة الى الله زلفى فلنذكر بعد هذا ما بين يدي الموتى
من ابتداء نفخة الصور الى آخر القرار اما في الجنة او في النار الشطر الثاني من الكتاب في احوال

المبتلى من وقت نفخة الصور الى آخر الاستقرار في الجنة او النار وتفصيل ما بين يديه من الاهوال
والاخطار وفيه بيان نفخة الصور وصفة ارض المحشر واهله وصفة عرق اهل المحشر وصفة
طول يوم القيمة وصفة القيمة ودواهيها واسا[illegible] المسايلة عن الذنوب وصفة الميزان
وصفة الخصما ورد المظالم وصفة الصراط [illegible]ة الشفاعة وصفة الحوض وصفة جهنم واهوالها
وانكالها وحياتها وعقاربها وصفة الجنة واصناف نعيمها وعدد الجنان وابوابها وغرفها
وحيطانها وانهارها واشجارها ولباس اهلها وفرشهم وسررهم وصفة طعامهم وصفة الحور
العين والولدان وصفة النظر الى وجه الله تع وباب في سعة رحمة الله وبه ختم الكتاب **صفة
نفخ الصور** قد عرفت فيما سبق شدة احوال الميت في سكرات الموت وخطره في خوف
العاقبة ثم في مقاساته لظلمة القبر وديدانه ثم منكر ونكير وسؤالهما ثم لعذاب القبر وخطره ان كان
مغضوبا عليه واعظم من ذلك كله الاخطار التي بين يديه من نفخ الصور والبعث يوم النشور والعرض
على الجبار والسؤال عن القليل والكثير ونصب الميزان لمعرفة المقادير ثم مجاوزة الصراط مع
دقته وحدته ثم انتظار النداء عند فصل القضاء اما بالاسعاد واما بالاشقاء فهذه احوال
واهوال لا بد لك من معرفتها ثم من الايمان بها على سبيل الجزم والتصديق ثم من تطويل الفكر
فيها لينبعث من قلبك دواعي الاستعداد لها واكثر الناس لم يدخل الايمان باليوم الآخر صميم
قلوبهم ولم يتمكن من سويدا فوادهم ويدل عليه شدة تشمرهم واستعدادهم لحر الصيف وبرد الشتا
وتهاونهم بحر جهنم وزمهريرها مع ما يكتنفه من المصاعب والاهوال بل هم اذا سئلوا عن اليوم الآخر
نطقت به السنتهم ثم غفلت عنها قلوبهم ومن اخبر بان ما بين يديه من الطعام مسموم فقال
لصاحبه الذي اخبره صدقت ثم مد اليه يده لتناوله كان مصدقا بلسانه ومكذبا بعمله وتكذيب العمل
ابلغ من تكذيب اللسان وقد قال صلعم قال الله تع شتمني ابن آدم وما ينبغي له ان يشتمني وكذبني
وما ينبغي له ان يكذبني اما شتمه اياي فيقول ان لي ولدا واما تكذيبه فيقول لن يعيدني كما بدأني
وانما قصور الباطن عن قوة اليقين والتصديق بالبعث والنشور لقلة الفهم في هذا العالم لامثال
تلك الامور ولو لم يشاهد الانسان توالد الحيوانات فقيل له ان صانعا يصنع من النطفة القذرة
مثل هذا الآدمي المصور العاقل المتكلم المتصرف لاشتد نفور باطنه عن التصديق به ولذلك
قال تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وقال ايحسب الانسان
ان يترك سدى الم يك نطفة من مني يمنى الآية ففي خلق الآدمي مع كثرة عجائبه واختلاف تركيب

اعضائه اعاجيب تربي على الاعاجيب في بعثه واعادته فكيف ينكر ذلك من قدرة الله تع وحكمته من
يشاهد ذلك وصنعه وقدرته وان كان في ايمانك ضعف فقوّ الايمان بالنظر في النشاة الاولى
فان الثانية مثلها واسهل منها وا[illegible] الايمان به فاشعر قلبك تلك المخاوف والاخطار
واكثر فيها التفكر والاعتبار ليسلب عن [illegible] القرار فتشتغل بالتشمر للعرض على الجبار
وتفكر اولا فيما يقرع سمع سكان القبور من شدة نفخ الصور فانها صيحة واحدة تنفرج بها القبور
عن رؤس الموتى فيثورون دفعة واحدة فتوهم نفسك وقد وثبت متغيرا وجهك مغبرا بدنك
من فرقك اي قدمك في تراب قبرك مبهوتا من شدة الصعقة شاخص العين نحو النداء وقد ثار
الخلق ثورة واحدة من القبور التي طال فيها بلاهم وقد ازعجهم الفزع والرعب مضافا الى ما كان
عليهم من الغموم والهموم وشدة الانتظار لعاقبة الامر كما قال تعالى ونفخ في الصور فصعق من في
السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى الاية وقال فاذا نقر في الناقور الاية ويقولون
متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ما ينظرون الا صيحة واحدة الى قوله وصدق المرسلون فلو لم يكن
بين يديك الا هول تلك النفخة لكان جديرا بان يتقى فانها نفخة وصيحة يصعق بها من في
السموات ومن في الارض يعني يموتون بها الا من شاء الله وهم بعض الملائكة ولذلك قال صلعم
كيف انعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى الجبهة واصغى بالاذن متى يؤمر فينفخ قال
مقاتل الصور هو القرن وذلك ان اسرافيل واضع فاه على القرن كهيئة البوق ودائرة راس القرن كعرض
السموات والارض وهو شاخص ببصره نحو العرش ينتظر متى يؤمر فينفخ النفخة الاولى فاذا نفخ
صعق من في السموات ومن في الارض اي مات كل حيوان من شدة الفزع الا من شاء الله وهو جبرئيل
وميكائيل واسرافيل وملك الموت ثم يامر الله ملك الموت ان يقبض روح جبرئيل ثم روح ميكائيل
ثم روح اسرافيل ثم يامر ملك الموت فيموت ثم يلبث الخلق بعد النفخة الاولى في البرزخ اربعين
سنة ثم يحيي الله اسرافيل فيامره ان ينفخ النفخة الثانية فذلك قوله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم
قيام ينظرون على ارجلهم ينظرون الى البعث وقال صلى الله عليه وسلم حين بعثت بعث الي صاحب
الصور فاهوى به الى فيه وقدم رجلا واخر اخرى ينتظر متى يؤمر بالنفخ الا فاتقوا النفخ وتفكر في
الخلائق وذلهم وانكسارهم واستكانتهم عند الانبعاث خوفا من هذه الصعقة وانتظارا لما
يقضى عليه من سعادة او شقاوة وانت فيما بينهم منكسر كانكسارهم متحير كتحيرهم فان كنت في
الدنيا من المترفهين ومن الاغنياء المتنعمين فملوك الارض في ذلك اليوم هم اذل اهل الجمع

واصغرهم واحقرهم يطؤون بالاقدام مثل الذر وعند ذلك تقبل الوحوش من البراري والجبال
منكسة رؤسها مختلطة بالخلايق بعد توحشها ذليلة ليوم النشور من غير خطيئة تدنست بها ولكن
حشرهم شدة الصعقة وهول النفخة وشغلهم [illegible] عن الخلق والتوحش بهم وذلك قوله
تعالى واذا الوحوش حشرت ثم اقبلت الشياطين [illegible] بعد تمردها وعتوها فادعيت خاشعة
من هيبة العرض على الله تعالى تصديقا لقوله فوربك لنحشرنهم والشياطين الآية فتفكر في حالك وحال
قلبك هنالك **صفة ارض المحشر واهله** ثم انظر كيف يساقون بعد البعث والنشور وهم حفاة
عراة الى ارض المحشر ارض بيضا قاع صفصف لا ترى فيها عوجا ولا امتا ولا ترى عليها ربوة يختفي
الانسان وراها ولا وهدة ينخفض عن الاعين فيها بل هو صعيد واحد بسيط لا تفاوت فيه
يساقون اليه زمرا فسبحان من جمع الخلايق على اختلاف اصنافهم من اقطار الارض اذ ساقهم
بالراجفة تتبعها الرادفة والراجفة هي النفخة الاولى والرادفة هي الثانية وحقيق لتلك القلوب
ان تكون يومئذ واجفة ولتلك الابصار ان تكون خاشعة قال صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة
على ارض بيضا عفرا كقرصة نقي ليس فيها معلم لاحد قال الراوي فالعفرة بياض ليس بالناصع والنقي
هو النقي عن القشر والنخالة ولا معلم اي لا بنا يستر ولا تفاوت يرد البصر ولا تظنن ان تلك الارض
مثل ارض الدنيا بل لا يساويه الا في الاسم قال الله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات
قال ابن عباس زاد فيها وينقص ويذهب اشجارها وجبالها واوديتها وما فيها وتمد مد الاديم
العكاظي ارض بيضا مثل الفضة لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة والسموات يذهب شمسها
وقمرها ونجومها فانظر يا مسكين في هول ذلك اليوم وشدته فانه اذا اجتمع الخلايق على هذا
الصعيد تناثرت من فوقهم نجوم السما وطمست الشمس والقمر واظلمت الارض لخمود سراجها
فبينما انت كذلك اذ دارت السماء فوق رؤسهم وانشقت مع غلظها وشدتها خمس مائة عام
والملائكة قيام على حافاتها وارجائها فيا هول صوت انشقاقها في سمعك ويا هيبة ليوم
تنشق فيه السما مع صلابتها وشدتها ثم تنهار وتسيل كالفضة المذابة تخالطها صفرة فصارت
وردة كالدهان وصارت السما كالمهل وصارت الجبال كالعهن واشتبك الناس كالفراش
المبثوث وهم عراة حفاة مشاة قال عليه السلام يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد الجمهم
العرق فبلغ شحوم الاذان قالت سودة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم رواية احمد فقلت
قلت يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا الى بعض قال شغل الناس عن ذلك لكل امرئ منهم

يومئذ شان يغنيه فاعظم بيوم يكشف فيه العورات ويومن فيه مع ذلك من النظر والالتفات كيف
وبعضهم يمشون علي بطونهم ووجوههم فلا قدرة لهم علي الالتفات الي غيرهم قال ابو هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة ثلثة اصناف ركبانا ومشاة وعلي وجوههم فقال
رجل يا رسول الله وكيف يمشون علي وجوههم قال الذي [illegible] مشاهم علي اقدامهم قادر ان يمشيهم
علي وجوههم وفي طبع الآدمي انكار كل ما لم يانس به و[illegible] الانسان الحية وهي تمشي على
بطنها كالبرق الخاطف لانكر تصور المشي من غير رجل والمشي [illegible] رجل ايضا مستبعد عند من لم
يشاهد ذلك فاياك ان تنكر شيا من عجايب يوم القيمة لمخالفتها قياس ما في الدنيا فانك لو لم
تكن قد شاهدت عجايب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت اشد انكارا لها فاحضر
في قلبك صورتك وانت واقف عاريا مكشوفا ذليلا مدحورا مبهوتا منتظرا لما يجري عليك من القضا
بالسعادة او بالشقاوة واعظم هذه الحالة فانها عظيمة صفة العرق ثم تفكر في ازدحام
الخلايق واجتماعهم حتى ازدحم علي الموقف اهل السموات السبع واهل الارضين السبع من
ملك وجن وانس وشيطان ووحوش وسبع وطير فاشرقت عليه الشمس وقد تضاعف حرها
وتبدلت عما كان عليها من خفة امرها ثم ادنيت من روس العالمين قاب قوسين فلم يبق على
الارض ظل الا ظل عرش الله رب العالمين ولم يمكن من الاستظلال به الا المقربون فمن بين
مستظل بالعرش وبين مضحي بحر الشمس قد صهرته بحرها واشتد كربه وغمه من وهجها ثم
تدافعت الخلايق ودفعت بعضها بعضا لشدة الزحام واختلاف الاقدام وانضاف اليه شدة
الخجلة والحيا من الافتضاح والاخزا عند العرض على جبار السما واجتمع وهج الشمس وحر الانفاس
واحتراق القلوب بنار الحيا والخوف ففاض العرق من اصل كل شعرة حتى سالت على صعيد
القيمة ثم ارتفعت الي ابدانهم على قدر منازلهم عند الله فبعضهم بلغ العرق ركبتيه وبعضهم حقويه
وبعضهم الي شحمة اذنه وبعضهم كاد يغيب فيه قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم يقوم
الناس لرب العالمين حتى يغيب احدهم في رشحه الي انصاف اذنيه وقال ابو هريرة قال صلعم
يعرق الناس يوم القيمة حتى يذهب عرقهم في الارض سبعين باعا ويلجمهم ويبلغ اذانهم
كذا رواه البخاري ومسلم في الصحيح في حديث آخر قياما شاخصة ابصارهم اربعين سنة
الي السما فيلجمهم العرق من شدة الكرب وقال عقبة بن عامر قال صلى الله عليه وسلم تدنو الشمس
من الارض يوم القيمة فيعرق الناس فمن الناس من يبلغ عرقه عقبه ومنهم من يبلغ نصف ساقه ومنهم

من يبلغ ركبته ومنهم من يبلغ فخذه ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم من يبلغ فاه فاشار بيده فالجمها فاه
ومنهم من يغطيه عرقه وضرب بيده على راسه هكذا فتامل يا مسكين في عرق اهل المحشر وشدة
كربهم وان فيهم من ينادي ويقول رب اخرجني من هذه الكرب والانتظار ولو الى النار وكل
ذلكم ولم يلقوا بعد حسابا ولا عقابا فانك واحد منهم ولا يدري الى اين يبلغك العرق واعلم ان كل
عرق لم يخرجه التعب في سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد في قضاء حاجة مسلم
وتحمل مشقة في امر بمعروف ونهي عن منكر فسيخرجه الحياء والخوف في صعيد القيمة ويطول
فيه الكرب ولو سلم ابن آدم من الجهل والغرور اعلم ان تعب العرق في تحمل مصاعب الطاعات
اهون امرا واقصر زمانا من عرق الكرب والانتظار في القيمة فانه يوم عظيم شديد طويل مدته
صفة طول يوم القيمة يوم يقف فيه الخلايق شاخصة ابصارهم منفطرة قلوبهم لا يكلمون
ولا ينظر في امورهم يقفون ثلثمايه عام لا ياكلون فيه اكلة ولا يشربون شربة ولا يجدون فيه
روح نسيم قال كعب وقتادة يوم يقوم الناس لرب العالمين قال يقومون مقدار ثلثمايه
عام بل قال عبد الله بن عمر تلا رسول الله هذه الآية قال كيف بكم اذا جمعكم الله كما يجمع النبل
في الكنانة خمسين الف سنة لا ينظر اليكم وقال الحسن ما ظنك بيوم قاموا فيه على قدامهم
خمسين الف سنة لم ياكلوا فيها اكلة ولم يشربوا فيها شربة حتى اذا انقطعت اعناقهم عطشا
واحترقت اجوافهم جوعا انصرف بهم الى النار فسقوا من عين آنية قد انى حرها واشتد نفحها فلما
بلغ المجهود منهم ما لا طاقة لهم به كلم بعضهم بعضا في طلب من يكرم على مولاه ليشفع في حقهم
فلم يتعلقوا بنبي الا دفعهم وقال دعوني نفسي نفسي شغلني امري عن امر غيري واعتذر كل احد
بشدة غضب الله وقال لقد غضب ربنا اليوم غضبا شديدا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب
بعده مثله حتى يشفع نبينا صلى الله عليه وسلم لمن يوذن له فيه ولا يملكون الشفاعة الا لمن
اذن له الرحمن ورضي له قولا فتامل في طول هذا اليوم وشدة الانتظار فيه حتى يخفف عليك
انتظار الصبر عن المعاصي في عمرك المختصر واعلم ان من طال انتظاره في الدنيا للموت لشدة
مقاساته للصبر عن الشهوات فانه يقصر انتظاره في ذلك اليوم خاصة قال صلى الله عليه وسلم
لما سيل عن طول ذلك اليوم قال والذي نفسي بيده انه ليخفف على المومن حتى يكون اهون
عليه من الصلوة المكتوبة يصليها في الدنيا واجتهد ان يكون من اوليك المومنين فما دام قصار
الايام طوال ربح ربحا لا منتهى لسروره واستحقر عمرك بل عمر الدنيا وهو سبعة الف سنة فانك

لو صرت سبعة الف سنة مثلا لتتخلص من يوم مقداره خمسون الف سنة لكان يحك كثيرا وتهبك يسيرا
صفة يوم القيمة ودواهيها واساميها فاستعد يا مسكين لهذا اليوم العظيم شانه المديد زمانه
القاهر سلطانه القريب اوانه يوم ترى السماء فيه انفطرت والكواكب من هوله انتثرت والنجوم الزواهر
انكدرت والشمس فيه كورت والجبال سيرت والعشار عطلت والوحوش حشرت والبحار سجرت
والنفوس الى الابدان زوجت والجحيم سعرت والجنة ازلفت والجبال فيه نسفت والارض فيه
مدت يوم زلزلت فيه الارض زلزالها واخرجت اثقالها يوم يصدر فيه الناس اشتاتا ليروا اعمالهم
يوم تحمل الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت فيه كل واقعة وانشقت السماء فهي يومئذ
واهية والملك على ارجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم
خافية يوم تسير الجبال وترى الارض هامدة يوم ترج فيه الارض رجا وتبس الجبال بسا فكانت هباء
منبثا يوم تكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش يوم تذهل كل
مرضعة عما ارضعت الى قوله شديد يوم تبدل الارض غير الارض الى قوله القهار يوم ينسف الجبال
فيه نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يوم ترى الجبال تحسبها جامدة وهي
تمر مر السحاب يوم انشقت فيه السماء فكانت وردة كالدهان فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا
جان يوم يمنع الفصحاء فيه من الكلام ولا يسال فيه عن الاجرام بل يوخذ بالنواصي والاقدام يوم تجد
كل نفس ما عملت من خير محضرا الاية يوم تعلم كل نفس فيه ما احضرت وتشهد ما قدمت واخرت يوم
تخرس فيه الالسن وتنطق فيه الجوارح يوم شيب ذكره سيد المرسلين اذ قال له الصديق اراك قد
شبت قال شيبتني سورة هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت فيا ايها العاقل
العاجز انما حظك من قراءتك ان تمجمج القرآن وتحرك به اللسان ولو كنت متفكرا فيما تقرا لكنت جديرا
بان تنشق مرارتك فيما شاب فيه سيد البشر واذا قنعت بحركة اللسان فقد حرمت ثمرة القرآن فالقيمة
احد ما ذكر فيه وقد وصف الله بعض دواهيها واكثر من اساميها ليقف بكثرة اساميها على كثرة معانيها
فليس المقصود تكرير الاسامي والالقاب بل الغرض تنبيه اولي الالباب فتحت كل اسم من اسماء القيمة
سر وفي كل نعت من نعوتها معنى فاحرص على معرفة معانيها ونحن الآن نجمع لك اساميها فهي
يوم القيمة ويوم الحسرة ويوم الندامة ويوم المحاسبة ويوم المسايلة ويوم المسابقة ويوم المنافسة
ويوم المناقشة ويوم الزلزلة ويوم الدمدمة ويوم الصاعقة ويوم الواقعة ويوم القارعة ويوم الراجفة
ويوم الرادفة ويوم الغاشية ويوم الداهية ويوم الآزفة ويوم الحاقة ويوم الطامة ويوم الصاخة ويوم التلاق

ويوم الفراق ويوم الميثاق ويوم القصاص ويوم التناد ويوم الحساب ويوم المآب ويوم العذاب ويوم
الفرار ويوم التلاقي ويوم البعث ويوم القضا ويوم الجزا ويوم البلا ويوم البكا ويوم الحشر ويوم الوعد ويوم العرض
ويوم الوزن ويوم الحق ويوم الحكم ويوم الفصل ويوم الجمع ويوم البعث ويوم الفتح ويوم الخزي ويوم
عظيم ويوم عقيم ويوم عسير ويوم الدين ويوم اليقين ويوم النشور ويوم المصير ويوم النفخة ويوم
الصيحة ويوم الرجفة ويوم الرجة ويوم الزجرة ويوم السكرة ويوم الفزع ويوم الجزع ويوم المنتهى
ويوم المأوى ويوم الميقات ويوم الميعاد ويوم المرصاد ويوم القلق ويوم العرق ويوم الافتقاد
ويوم الانكدار ويوم الانتشار ويوم الانشقاق ويوم الوقوف ويوم الخروج ويوم الوعيد ويوم
التغابن ويوم عبوس ويوم معلوم ويوم موعود ويوم مشهود ويوم لاريب فيه ويوم تبلى السرائر
ويوم لا تجزي نفس عن نفس شيئا ويوم تشخص فيه الابصار ويوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ويوم لا تملك
نفس لنفس شيئا ويوم يدعون الى نار جهنم دعا ويوم يسحبون في النار ويوم تقلب وجوههم في
النار ويوم لا يجزي والد عن ولده ويوم يفر المرء من اخيه ويوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون
ويوم [illegible] من الله ويوم هم بارزون ويوم هم على النار يفتنون ويوم لا ينفع مال ولا بنون ويوم لا
ينفع [illegible] معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار يوم ترد فيه المعاذير وتبلى السرائر وتظهر
الضماير وكشفت الاستار وخشعت الابصار وسكنت الاصوات وقل الالتفات وبرزت الخفيات
وظهرت الخطيات [illegible] العباد ومعهم الاشهاد وشاب الصغير وسكر الكبير ووضعت الموازين
ونشرت الدواوين وبرزت الجحيم واغلي الحميم وزفرت النار ويئس الكفار وسعرت النيران وتغير
الالوان وخرس اللسان ونطق جوارح الانسان فيا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم حيث اغلقت
[illegible] المستور [illegible] استترت عن الخلايق ففارقت الفجور فماذا نفعك وقد شهدت عليك
[illegible] فالويل كل الويل لنا معاشر الغافلين ارسل الله الينا سيد المرسلين ونزل عليه الكتاب المبين
[illegible] هذه الصفات من نعوت يوم الدين ثم عرفنا غفلتنا ويقول اقترب للناس حسابهم وهم في
غفلة [illegible] لاهية قلوبهم ثم عرفنا قرب القيامة فيقول اقتربت الساعة وانشق القمر
انهم يرونه بعيدا ونريه قريبا وما يدريك لعل الساعة قريب ثم يكون احسن احوالنا ان نجد دراسة
هذا القرآن فلا نتدبر معانيه ولا ننظر في كثرة اوصاف هذا اليوم واساميه ولا نستعد للتخلص من
دواهيه فنعوذ بالله من هذه الغفلة ان لم يتداركنا الله بواسع الرحمة صفة المسائلة ثم تفكر يا مسكين
بعد هذه [illegible] به عليك من السؤال شفاها من غير ترجمان فيسال عن القليل والكثير والنقير

والقطمير فبينا انت في كرب القيمة وعرقها وشدة عظايمها اذ نزلت ملائكة من ارجاء السماء باجسام
عظام واشخاص ضخام غلاظ شداد امروا ان ياخذوا بنواصي المجرمين الى موقف العرض على الجبار قال
رسول الله صلعم ان الله عز وجل ملكا ما بين شفري عينيه مسيرة مائة عام فما ظنك بنفسك اذا شاهدت
مثل هولاء الملايكة ارسلوا اليك لياخذوك الى مقام العرض وتراهم على عظم اشخاصهم منكسرين لشدة
اليوم مستشعرين مما بدا من غضب الجبار على عباده وعند نزولهم لا يبقى نبي ولا صديق ولا صالح الا يخرون
لاذقانهم خوفا من ان يكونوا هم الماخوذين فهذا حال المقربين فما ظنك بالعصاة المجرمين وعند ذلك
يبادر اقوام من شدة الفزع فيقولون للملايكة افيكم ربنا وذلك لعظيم مركبهم وشدة هيبتهم فتفزع الملايكة
من سوالهم اجلالا لخالقهم عن ان يكون فيهم فنادوا باصواتهم منزهين لمليكهم عما توهمه اهل الارض
وقالوا سبحان ربنا ما هو فينا ولكنه آت من بعد وعند ذلك تقوم الملايكة صفا محدقين بالخلايق من الجوانب
وعلى جميعهم شعار الذل والخضوع وهيئة الخوف والمهابة لشدة اليوم وعند ذلك يصدق الله تعالى
قوله فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غايبين فوربك لنسئلنهم
اجمعين عما كانوا يعملون فيبدا بالانبياء يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا [illegible]
يوم تذهل فيه عقول الانبياء وتمحى علومهم من شدة الهيبة اذ يقال لهم ماذا اجبتم وقد ارسلتم الى الخلايق
وكانوا قد علموا فذهبت عقولهم فلا يدرون بماذا يجيبون فيقولون من شدة الهيبة لا علم لنا انك
انت علام الغيوب وهم في ذلك الوقت صادقون اذا طارت منهم العقول وامحت العلوم الى ان يقويهم الله
فيدعى نوح فيقال هل بلغت فيقول نعم فيقال لامته هل بلغكم فيقولون ما اتانا من نذير ويوتى
لعيسى ويقول الله له انت قلت للناس اتخذوني وامي آلهين فيبقى متشحطا تحت هيبة هذا السوال
سنين فيا اعظم يوم يقام فيه السياسة على الانبياء بمثل هذا السوال ثم يقبل الملايكة فينادون احدا
واحدا انا فلان بن فلان هلم الى موقف العرض وعند ذلك ترتعد الفرايص وتضطرب الجوارح
وتبهت العقول ويتمنى اقوام ان يذهب بهم الى النار ولا يعرض قبايح اعمالهم على الجبار ولا يكشف سترهم
على ملاء الخلايق وقبل الابتداء بالسوال يظهر نور العرش واشرقت الارض بنور ربها وايقن قلب كل عبد
باقبال الجبار لمسايل العباد وظن كل واحد انه ما يريد احدا سواه وانه المقصود بالاخذ والسوال دون من
عداه فيقول الجبار عند ذلك يا جبريل ائتني بالنار فجاء بها جبريل وقال لها يا جهنم اجيبي خالقك ومليكك
فصادفها جبريل على غيظها وغضبها فلم يلبث بعد ندائه ان ثارت وفارت وزفرت الى الخلايق وشهقت
وسمع الخلايق تغيظها وزفيرها وانتهضت خزانها متوعدة الى الخلايق غضبا على من عصى الله تع وخالف امره

فاحمل ببالك واحضر في قلبك قلوب العباد وقد امتلات فزعا ورعبا فتساقطوا على ركبهم وولوا مدبرين
يوم ترى كل امة جاثية وسقط بعضهم على الوجه منكبين وينادي الظالمون والعصاة بالويل والثبور
ويقول الصديقون نفسي نفسي فبيناهم كذلك اذ زفرت النار زفرتها الثانية فيضاعف خوفهم وذلت
نفوسهم وظنوا انهم ماخوذون ثم زفرت الثالثة فتساقط الخلائق لوجوههم وشخصوا بابصارهم ينظرون
من طرف خاشع خفي وانقصمت عند ذلك قلوب الظالمين فبلغت لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين وذهلت
العقول من السعداء والاشقياء اجمعين وبعد ذلك تقبل الله على الرسل وقال لهم ماذا اجبتم فاذا راوا
ما اقيم من السياسة على الانبياء اشتد الفزع على العصاة ففر الوالد من ولده والاخ من اخيه والزوج
من زوجته وبقي كل واحد منتظرا امره ثم يوخذ واحد واحد فيساله الله شفاها عن قليل عمله وكثيره وعن
سره وعلانيته وعن جميع جوارحه واعضائه قال ابو هريرة قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيمة فقال
هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا قال فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية
ربكم فيلقى العبد فيقول له الم اكرمك واسودك وازوجك واسخر لك الخيل والابل واذرك ترأس وتربع
فيقول العبد نعم فيقول افظننت انك ملاقي فيقول لا فيقول فاني انساك كما نسيتني فتوهم نفسك
يا مسكين وقد اخذ الملائكة بعضديك وانت واقف بين يدي الله تعالى يسالك شفاها فيقول لك الم
انعم عليك بالشباب ففيماذا ابليته الم امهل لك في العمر ففيماذا افنيته الم ارزقك الاموال فمن اين
اكتسبته وفيماذا انفقته الم اكرمك بالعلم فماذا عملت فيما علمت فكيف ترى حياءك وخجلك وهو
يعدد عليك انعامه ومعاصيك واياديه ومساويك فان انكرت شهدت عليك جوارحك قال انس كنا مع
رسول الله عليه السلم فضحك ثم قال تدرون مم اضحك قلنا الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول
يا رب الم تجرني من الظلم قال فيقول بلى قال فيقول فاني لا اجيز على نفسي الا شاهدا مني فيقول كفى بنفسك
اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي فتنطق باعماله
ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول لاعضائه بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل فنعوذ بالله من
الافتضاح على ملأ الخلق بشهادة الاعضاء الا ان الله تعالى وعد المومن ان يستر عليه ولا يطلع عليه غيره
سال ابن عمر رجل فقال له كيف سمعت يقول في النجوى قال قال رسول الله عليه السلم يدنو احدكم من ربه
حتى يضع كنفه عليه فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم ثم يقول اني سترتها
في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم وقد قال رسول الله عليه السلم من ستر على مومن عورته ستر الله عورته
يوم القيمة فهذا انما يرجى لعبد مومن ستر على الناس عيوبهم واحتمل في حق نفسه تقصيرهم ولم يحرك لسانا

يذكر مساوي الناس ولم يذكرهم في غيبتهم بما يكرهون لو سمعوه فهو جدير بان يجازى بمثلها في القيمة
وهب انه قد ستر عن غيرك أليس قد قرع سمعك النداء الى العرض فيكفيك تلك الروعة جزاء عن ذنوبك
اذ يؤخذ بناصيتك فتقاد وفؤادك مضطرب ولبك طاير وفرايصك مرتعدة وجوارحك مضطربة ولونك
متغير والعالم عليك من شدة الهول مظلم فقدر نفسك وانت بهذه الصفة تتخطى الرقاب وتخرق
الصفوف وتقاد كما يقاد الفرس المجنوب وقد رفعت الخلايق اليك ابصارهم فتوهم نفسك في ايدي
الموكلين بك على هذه الصفة حتى انتهى بك الى عرش الرحمن فرموك من ايديهم وناداك الله سبحانه
بعظيم كلامه يا ابن آدم ادن مني فدنوت بقلب خافق محزون وجل وطرف خاشع ذليل وفؤاد منكسر
واعطيت كتابك الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصيها فكم من فاحشة نسيتها فتذكرتها وكم من
طاعة غفلت عن آفاتها فانكشف لك عن مساويها فكم لك من خجل وجبن وكم لك من حصر وعجز فليت
شعري باي قدم تقوم بين يديه وباي لسان تجيب وباي قلب تعقل ما تقول ثم تفكر في عظم حيائك اذا
ذكرك ذنوبك شفاها اذ يقول يا عبدي اما استحييت مني فبارزتني بالقبيح واستحييت من خلقي
فاظهرت لهم الجميل أكنت اهون عليك من ساير عبادي واستخففت نظري اليك فلم تكترث واستعظمت
نظر غيري الم انعم عليك فماذا غرك بي فظننت اني لا اراك وانك لا تلقاني قال رسول الله عليه السلم
ما منكم من احد الا ويساله رب العالمين ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان وقال عم ليقفن احدكم بين يدي
الله تع ليس بينه وبينه حجاب فيقول له الم اوتك مالا فيقولن بلى فيقول الم ارسل اليك رسولا فيقول بلى
ثم ينظر عن يمينه فلا يرى الا النار ثم ينظر عن شماله فلا يرى الا النار فليتق احدكم النار ولو بشق تمرة فان لم
يجد فبكلمة طيبة وقال ابن مسعود ما منكم من احد الا سيخلوا الله به كما يخلوا احدكم بالقمر ليلة البدر
ثم يقول يا ابن آدم ما غرك بي يا ابن آدم ما عملت فيما علمت يا ابن آدم ماذا اجبت المرسلين يا ابن آدم
الم اكن رقيبا على عينك وانت تنظر بها الى ما لا يحل لك الم اكن رقيبا على اذنك وهكذا حتى اعد
ساير الاعضاء وقال مجاهد لا تزول قدما عبد يوم القيمة بين يدي الله عز وجل حتى يساله عن اربع
خصال عن عمره فيما افناه وعن علمه ما عمل فيه وعن جسده فيما ابلاه وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه
فاعظم يا مسكين بحيائك عند ذلك وبخطرك فانك بين ان يقال لك سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها
لك اليوم في الاخرة وعند ذلك يعظم سرورك وفرحك ويغبطك الاولون والاخرون واما ان يقال للملايكة خذوا
هذا العبد السوء فغلوه ثم الجحيم صلوه وعند ذلك لو بكت عليك السموات والارض لكان ذلك حقا
لعظم مصيبتك وشدة حسرتك على ما فرطت فيه من طاعة الله وعلى ما بعت به آخرتك من دنيا دنية لم

يلي ملكك وصفة الميزان ثم لا تغفل عن الفكر في الميزان وتطاير الكتب الى الشمايل والايمان فان
الناس بعد السؤال ثلث فرق فرقة ليس لهم حسنة فيخرج من النار عنق اسود فيلقطهم لقط الطير
الحب وينطوي عليهم ويلقيهم في النار فيبتلعهم النار وينادي عليهم بشقاوة لا سعادة بعدها
وقسم آخر لا سيئة لهم فينادي مناد ليقم الحامدون لله على كل حال فيقومون ويسرحون الى
الجنة ثم يفعل ذلك باهل قيام الليل ثم من لم يشغله تجارة الدنيا ولا بيعها عن ذكر الله وينادي عليهم
بسعادة لا شقاوة بعدها ويبقى قسم ثالث هم الاكثرون خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وقد يخفى عليهم ولا
يخفى على الله ان الغالب حسناتهم او سيئاتهم ولكن يابى الله الا ان يعرفهم حقيقة ذلك ليبين فضله
عند العفو وعدله عند العقاب فيتطاير الصحايف والكتب منطوية على الحسنات والسيئات
وينصب الميزان وتشخص الابصار الى الكتب اتقع في اليمين او في الشمال ثم الى لسان الميزان اتميل
الى جانب السيئات او الحسنات وهذه حالة هايلة تطيش فيها عقول الخلايق روي الحسن ان رسول
الله عليه السلم كان راسه في حجر عايشة فنعس فتذكرت الآخرة فبكت حتى سال دموعها على خد النبي
فانتبه فقال لها ما يبكيك يا عايشة قالت ذكرت الآخرة هل تذكرون اهليكم يوم القيمة قال والذي نفسي
بيده في ثلث مواطن فان احدا لا يذكر الا نفسه اذا وضعت الموازين ووزنت الاعمال حتى ينظر ابن
آدم ايخف ميزانه ام يثقل وعند الصحف حتى ينظر ايمينه ياخذ او بشماله وعند الصراط وعن انس
قال يؤتى بابن آدم يوم القيمة حتى يوقف بين كفتي الميزان ويوكل به ملك فان ثقل ميزانه نادى
الملك بصوت يسمع الخلايق سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها ابدا وان خف نادى بصوت يسمع
الخلايق شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها ابدا وعند خفة كفة الحسنات اقبلت الزبانية
بايديهم مقامع من حديد عليهم ثياب من النار فياخذون نصيب النار الى النار قال رسول الله عليه
السلم يوم القيمة انه يوم ينادي الله تعالى فيه آدم فيقول الله قم يا آدم فابعث بعث النار فيقول وكم بعث النار
فيقول من كل الف تسعماية وتسعة وتسعون في النار وواحد في الجنة فلما سمع الصحابة ابلسوا حتى
ما اوضحوا بضاحكة فلما راى نبي الله الذي عند اصحابه قال اعملوا وابشروا فوالذي نفس محمد بيده
ان معكم لخليقتين ما كانتا مع احد قط الا كثرتاه مع من هلك من بني آدم وبني ابليس قالوا وما هما
يا نبي الله قال ياجوج وماجوج قال فسري عن القوم فقال اعملوا وابشروا فوالذي نفس محمد بيده ما انتم
في الناس يوم القيمة الا كالشامة في جنب البعير او كالرقمة في ذراع الدابة صفة الخصماء ورد
المظالم فقد عرفت هول الميزان وخطره وان الاعين شاخصة الى لسان الميزان فمن ثقلت

موازينه فهو في عيشة راضية ومن خفت موازينه فامه هاويه وما ادريك ما هيه نار حاميه واعلم انه لا
ينجو من خطر الحساب والميزان الا من حاسب في الدنيا نفسه ووزن فيها بميزان الشرع اعماله واقواله
وخطراته ولحظاته كما قال عمر رضي الله عنه حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا
وانما حسابه لنفسه ان يتوب عن كل معصية قبل الموت توبة نصوحا ويتدارك ما فرط من تقصير في
فرايض الله ويرد المظالم حبه بعد حبه ويستحل كل من تعرض له بلسانه ويده وسوء ظنه بقلبه ويطيب قلوبهم
حتى يموت ولم يبق عليه فريضة ولا مظلمة فهذا يدخل الجنة بغير حساب وان مات قبل رد المظالم
احاطت به خصماؤه فهذا ياخذ بيده وهذا يقبض علي ناصيته وهذا يتعلق بتلبيبه وهذا يقول
ظلمتني وهذا يقول شتمتني وهذا يقول استهزأت بي وهذا يقول ذكرتني في الغيبه بما يسوءني وهذا
يقول جاورتني فاسات جواري وهذا يقول عاملتني فغششتني وهذا يقول بايعتني فغبنتني واخفيت
عني عيب متاعك وهذا يقول كذبت في سعر متاعك وهذا يقول رايتني محتاجا وكنت غنيا فما اطعمتني
وهذا يقول وجدتني مظلوما وكنت قادرا علي دفع الظلم فداهنت الظالم وما راعيتني فبينا انت كذلك
وقد انشب الخصما فيك مخالبهم واحكموا في جلابيبك ايديهم وانت مبهوت متحير من كثرتهم حتى لم يبق
في عمرك احد عاملته علي درهم او جالسته في مجلس الا وقد استحق عليك مظلمة بغيبه او خيانة او
نظر بعين استحقار وقد ضعفت عن مقاومتهم ومددت عنق الرجا الي سيدك ومولاك لعله يخلصك
من ايديهم اذ قرع سمعك نداء الجبار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم فعند ذلك ينخلع
قلبك من الهيبة وتوقن نفسك بالبوار وتذكر ما انذرك الله به علي لسان رسوله حيث قال ولا تحسبن
الله غافلا عما يعمل الظالمون الي قوله لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هوا فما اشد فرحك اليوم بتمضمضك
باعراض الناس وتناولك اموالهم وما اشد حسرتك في ذلك اليوم اذا وقف بك علي بساط العدل وشوفهت
بخطاب السياسة وانت مفلس فقير عاجز مهين لا يقدر علي ان ترد حقا او تظهر عذرا فعند ذلك
توخذ حسناتك التي تعبت فيها عمرك وتنقل الي خصمايك عوضا عن حقوقهم وقال ابو هريرة قال
رسول الله عليه السلام هل تدرون من المفلس قالوا المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع
فقال المفلس من امتي من ياتي يوم القيمه بصلاة وصيام وزكوة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا
واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته وان فنيت
حسناته قبل ان يقضي ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار فانظر الي مصيبتك
في مثل هذا اليوم اذ ليس لك حسنة سلمت من آفات الرياء ومكايد الشيطان فان سلمت حسنة

واخذوه بيده بوم طويله ابتدرها خصماؤك فاخذوها ولعلك لو حاسبت نفسك وانت مواظب على صيام
النهار وقيام الليل لعلمت انه لا ينقضي عليك يوم الا ويجري على لسانك من غيبة المسلمين ما يستوفي
جميع حسناتك فكيف ببقية السيآت من اكل الحرام والشبهات والتقصير في الطاعات وكيف ترجو
الخلاص من المظالم في يوم يقتص فيه للجماء من القرناء وعن ابي ذر ان رسول الله عليه السلم راى شاتين
تنتطحان فقال يا ابا ذر اتدري فيم تنتطحان قلت لا قال ولكن ربك يدري وسيقضي بينهما يوم
القيمة وقال ابو هريرة في قوله وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم
انه يحشر الخلق كلهم يوم القيمة البهائم والدواب والطير وكل شيء فيبلغ من عدل الله عز وجل ان
ياخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوني ترابا فكيف انت يا مسكين في يوم ترى صحيفتك خالية عن حسنات
طال فيها تعبك فيقول اين حسناتي فيقال نقلت الى صحيفة خصمائك وترى صحيفتك مشحونة
بسيئات طال في الصبر عنها نصبك واشتد بسبب الكف عنها عناؤك فتقول يا رب هذه سيئات
ما قارفتها قط فيقال هذه سيئات الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم في
المبايعة والمجاورة والمخاطبة والمناظرة والمذاكرة والمدارسة وسائر اصناف
المعاملة قال ابن مسعود قال رسول الله عليه السلم ان الشيطان قد يئس ان تعبد الاصنام
بارض العرب ولكن سيرضى منكم بما هو دون ذلك بالمحقرات وهي الموبقات فاتقوا الظلم ما
استطعتم فان العبد ليجيء يوم القيمة بامثال الجبال من الطاعات فيرى انهن ستنجيه فما
يزال عبد يجيء فيقول رب ان فلانا ظلمني بمظلمة فيقول امح من حسناته فما يزال كذلك حتى ما
يبقى له من حسناته شيء وان مثل ذلك سفر نزلوا بفلاة من الارض ليس معهم حطب فتفرق
القوم ليحتطبوا فلم يلبثوا ان اعظموا نارهم وصنعوا ما ارادوا وكذلك الذنوب ولما نزل قوله تعالى
انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون قال الزبير يا رسول الله ايكرر علينا
ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب قال نعم ليكررن عليكم حتى تؤدوا الى كل ذي حق
حقه قال الزبير والله ان الامر لشديد فاعظم بشدة يوم لا يسامح فيه بخطوة ولا يتجاوز فيه عن
لطمة ولا عن كلمة ينتقم للمظلوم من الظالم قال انس سمعت رسول الله عليه السلم يقول يحشر الله
العباد عراة غرلا بهما قلنا ما بهما قال ليس معهم شيء ثم يناديهم ربهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه
من قرب انا الملك انا الديان لا ينبغي لاحد من اهل الجنة ان يدخل الجنة ولاحد من اهل النار
عنده مظلمة ولا لاحد من اهل النار ان يدخل النار ولاحد من اهل الجنة عنده مظلمة حتى

اقتصه منه حتى اللطمة قلنا وكيف وانما نأتي الله عراة غرلا بهما فقال بالحسنات والسيئات فخف
الله عباد الله مظالم العباد باخذ اموالهم والتعرض لاعراضهم وتضييق قلوبهم واساءة الخلق
في معاشرتهم فان ما بين العبد وبين الله خاصة المغفرة اليه اسرع ومن اجتمعت عليه مظالم
وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال ارباب المظالم فليكثر من حسناته ليوم القصاص وليسر
بعض الحسنات بينه وبين الله بكمال الاخلاص بحيث لا يطلع عليه الا الله فعساه يقربه ذلك
الى الله تعالى فينال به لطفه الذي ادخره لاحبابه المؤمنين في دفع مظالم العباد عنهم كما روي
انس عن رسول الله عليه السلم انه قال بينما رسول الله جالس اذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه
فقال عمر ما يضحكك يا رسول الله بابي انت وامي فقال رجلان جثيا من امتي بين يدي رب العزة
فقال احدهما يا رب خذ لي مظلمتي من اخي فقال الله تعالى اعط اخاك مظلمته فقال يا رب
لم يبق من حسناتي شيء فقال الله للطالب كيف يصنع ولم يبق من حسناته قال يا رب يحمل عني
من اوزاري قال وفاضت عينا رسول الله عليه السلم بالبكاء ثم قال ان ذلك ليوم عظيم
يوم يحتاج الناس الى ان يحمل عنهم من اوزارهم قال فقال الله للطالب ارفع راسك فانظر في
الجنان فرفع راسه فقال يا رب ارى مداين من فضة مرتفعة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ
لاي نبي هذا او لاي صديق هذا او لاي شهيد هذا قال لمن اعطى الثمن قال يا رب ومن
يملك ثمنه قال انت تملكه قال بما هو قال بعفوك عن اخيك قال يا رب اني قد عفوت عنه قال
الله عز وجل خذ بيد اخيك وادخله الجنة ثم قال رسول الله عليه السلم عند ذلك اتقوا الله واصلحوا
ذات بينكم فان الله يصلح بين المؤمنين وهذا تنبيه على ان ذلك انما ينال بالتخلق باخلاق
الله وهو اصلاح ذات البين وساير الاخلاق فتفكر الآن في نفسك ان خلت صحيفتك عن
المظالم او تلطف لك حتى عفي عنك وابتت بسعادة الابد كيف يكون سرورك في منصرفك من فصل
القضاء وقد خلع عليك خلعة الرضاء وعدت بسعادة ليس بعدها شقاء وبنعيم لا يدور
بحواشيها الفناء وعند ذلك طار قلبك سرورا وفرحا وابيض وجهك واستنار واشرق كما يشرق
القمر ليلة البدر فتوهم تبخترك بين الخلائق رافعا راسك خاليا عن الاوزار ظهرك ونضرة نسيم النعيم
وبرد الرضا يتلألأ من جبينك وخلق الاولين والآخرين ينظرون اليك والى حالك ويغبطونك في
حسنك وجمالك والملائكة يمشون بين يديك ومن خلفك وينادون على رؤس الاشهاد هذا فلان بن
فلان رضي الله عنه وارضاه وقد سعد سعادة لا يشقى بعدها ابدا افترى ان هذا المنصب ليس اعظم

خبايا العيوب التي سترتها في قلوب الخلق في الدنيا بريائك ومداهنتك وتصنعك وتزينك فان كنت تعلم انه
خرج منه الا شي يسير اليه نتوسل الي ادراك هذه الرتبه بالاخلاص الصافي والنيه الصادقه في معاملتك
مع اطلاعه علي خبرك كستره عليك الآن وان يكن الاخرى والعياذ بالله بان خرج من صحيفتك جريمة كنت تحسبها
هينة وهي عند الله عظيمة فمقتك لاجلها فقال عليك لعنتي يا عبد السوء ولا اقبل منك عبادتك فلا تسمع
هذا النداء الا ويسود وجهك ثم تغضب الملايكه لغضب الله فيقولون وعليك لعنتنا ولعنة الخلايق اجمعين
وتتعاور عند ذلك بتسابق اليك الزبانيه وقد غضبت لغضب خالقها فاقدمت عليك بفظاظتها وزعارتها
وضربها المنكر فتاخذ بناصيتك ويسحبونك علي وجهك علي ملا الخلق وهم ينظرون الي سواد وجهك
والي ظهور خزيك وانت تنادي بالويل والثبور وهم يقولون لك لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا
كثيرا وتنادي الملايكه ويقولون هذا فلان بن فلان كشف الله عن فضايحه ومخازيه ولعنه بقبايح
مساويه فشقي شقاوة لا يسعد بعدها ابدا وربما يكون ذلك بذنب اذنبته خيفة من عباد الله وطلبا
للمكانه في قلوبهم او خوفا من الافتضاح عندهم فما اعظم جهلك اذ تحترز عن الافتضاح عند طايفه يسيرة
من عباد الله في الدنيا المنقرضة ثم لا تخشى من الافتضاح العظيم في ذلك الملا العظيم مع التعرض لسخط الله
وعقابه الاليم والسياق بايدي الزبانيه الي سواء الجحيم فهذه احوالك واهوالك وانت بعد لم تشعر بالخطر
الاعظم وهو خطر الصراط **صفة الصراط** ثم تفكر بعد هذه الاهوال في قول الله تعالى يوم نحشر المتقين الي
الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الي جهنم وردا وفي قوله تعالى فاهدوهم الي صراط الجحيم وقفوهم انهم مسئولون
فالناس بعد هذه الاهوال يساقون الي الصراط وهو جسر ممدود علي متن النار احد من السيف
وادق من الشعر فمن استقام في هذا العالم علي الصراط المستقيم خف علي صراط الآخرة ونجى ومن عدل
عن الاستقامة في الدنيا واثقل ظهره بالاوزار وعصى تعثر علي اول قدم من الصراط وتردى فتفكر الآن
فيما يحل من الفزع بفؤادك اذا رايت الصراط ودقته ثم وقع بصرك علي سواد جهنم من تحته ثم قرع سمعك
شهيق النار وتغيظها وقد كلفت ان تمشي علي الصراط مع ضعف حالك واضطراب قلبك وتزلزل قدمك وثقل
ظهرك بالاوزار المانعة لك عن المشي علي بساط الارض فضلا من حدة الصراط فكيف بك اذا وضعت عليه
احدى رجليك فاحسست بحدته واضطررت الي ان ترفع القدم الثاني والخلايق بين يديك يزلون
ويتعثرون ويتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب وانت تنظر اليهم كيف ينتكسون فتسفل
الي جهة النار رؤسهم وتعلو ارجلهم فيا لها من منظر ما افظعه ومرتقى ما اصعبه ومجاز ما اضيقه
فانظر الي حالك وانت تزحف عليه وتصعد اليه وانت مثقل الظهر باوزارك تلتفت يمينا وشمالا الي الخلق

وهم يتهافتون في النار والرسول عليه السلم يقول يا رب سلم سلم سلم سلم والزعقات بالويل والثبور
قد ارتفعت اليك من قعر جهنم لكثرة من زل عن الصراط من الخلائق فكيف بك لو زلت قدمك ولم
ينفعك ندمك وقلت واويلاه هذا ما كنت اخافه فيا ليتني قدمت لحياتي يا ليتني اتخذت مع الرسول
سبيلا فيا ويلتي ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يا ليتني كنت ترابا يا ليتني لم تلدني امي [illegible]
تختطفك النيران والعياذ بالله وينادي المنادي اخسئوا فيها ولا تكلمون فلا يبقى سبيل الا الصياح
والانين والتنفس والاستغاثة فكيف ترى الان عقلك وهذه الاخطار بين يديك فان كنت غير مؤمن
به فما اطول مقامك مع الكفار في دركات جهنم وان كنت به مؤمنا وعنه غافلا وبالاستعداد له متهاونا
فما اعظم خسرانك وطغيانك وماذا ينفعك ايمانك اذا لم يبعثك الى السعي في طلب رضاء الله تعالى بطاعته
وترك معاصيه فلو لم يكن بين يديك الا هول الصراط وارتياع قلبك من خطر الجواز وان سلمت فناهيك به
هولا وفزعا ورعبا قال رسول الله عليه السلم يضرب الصراط بين ظهري جهنم فاكون اول من يجيز بامتي من
الرسل ولا يتكلم يومئذ الا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم اللهم سلم وفي جهنم كلاليب
مثل شوك السعدان هل رايتم شوك السعدان قالوا نعم يا رسول الله قال فانها مثل شوك السعدان
غير انه لا يعلم قدر عظمها الا الله تخطف الناس باعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو وقال
ابو سعيد الخدري قال رسول الله عليه السلم يمر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب وخطاطيف تخطف
الناس يمينا وشمالا وعلى جنبتيه ملائكة يقولون اللهم سلم سلم ومن الناس من يمر مثل البرق الخاطف
ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالفرس المجري ومنهم من يسعى سعيا ومنهم من يمشي مشيا ومنهم من يحبو حبوا
ومنهم من يزحف زحفا فاما اهل النار الذين هم اهلها فلا يموتون ولا يحيون واما ناس فيوخذون بذنوب
وخطايا فيحترقون فيكونون فحما ثم يؤذن في الشفاعة الحديث وعن ابن مسعود انه عليه السلم قال يجمع الله
الاولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياما اربعين سنة شاخصة ابصارهم الى السماء ينتظرون فصل
القضاء وذكر الحديث الى ذكر سجود المؤمنين قال ثم يقول ارفعوا رؤوسكم فيرفعون رؤوسهم فيعطيهم نورهم
على قدر اعمالهم فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه ومنهم من يعطى نورا اصغر من ذلك ومنهم
من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه ومنهم من يعطى اصغر من ذلك حتى يكون اخرهم رجلا يعطى نوره على ابهام
قدمه فيضيء مرة ويطفأ اخرى فاذا اضاء قدم قدمه فمشى واذا طفئ قام ثم ذكر مرورهم على الصراط على قدر
نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر
كشد الفرس ومنهم من يمر كشد الرجل حتى يمر الذي اعطى نوره على ابهام قدمه يحبو على وجهه ويديه

درجليه [illegible] وتعلق بيدا وتخر رجل وتعلق رجل وتصيب جوانبه النار قال فلا يزال كذلك حتى يخلص
فاذا خلص وقف عليها ثم قال الحمد لله لقد اعطاني الله مالم يعط احدا اذ نجاني منها بعد اذ رايتها فينطلق
الي غدير عند باب الجنة فيغتسل وقال انس بن مالك سمعت النبي عليه السلم يقول الصراط كحد
السيف او كحد الشعرة وان الملايكة ينجون المومنين والمومنات وان جبريل لاخذ بحجزتي واني لاقول
يارب سلم سلم فالزالون والزالات يومئذ كثير فهذه اهوال الصراط وعظايمه فطول فيه فكرك فان اسلم
الناس من اهوال القيمة من طال فيه فكره في الدنيا فان الله لا يجمع على عبد بين خوفين فمن خاف هذه
الاهوال في الدنيا امنها في الآخرة ولست اعني بالخوف رقة كرقة النسا تدمع عينك ويرق قلبك
حال السماع ثم تنساه علي القرب وتعود الي لهوك ولعبك فما لذلك من الخوف في شي بل من خاف
شيئا هرب منه ومن رجا شيئا طلبه فلا ينجيك الا خوف يمنعك عن معاصي الله ويحثك علي طاعته
وابعد من رقة النسا خوف الحمقى اذا سمعوا الاهوال سبق لسانهم الي الاستعاذة فقالوا استعيذ
بالله نعوذ بالله سلم سلم وهم مع ذلك مصرون علي المعاصي التي هي سبب هلاكهم فالشيطان يضحك
من استعاذتهم كما يضحك علي من يقصده سبع ضاري في صحرا ووراه حصن فاذا راى انياب السبع
وصولته من بعد قال بلسانه اعوذ بهذا الحصن الحصين واستعين بشدة بنيانه واحكام اركانه
فيقول ذلك بلسانه وهو قاعد في مكانه فانى يغني ذلك عن السبع وكذلك اهوال الآخرة ليس لها حصن
الا قول لا اله الا الله صادقا ومعنى صدقه ان لا يكون لك مقصود سوي الله ولا معبود سواه ومن اتخذ
الهه هواه فهو بعيد عن الصدق في توحيده وامره مخطر في نفسه فان عجزت عن ذلك كله فكن
محبا لرسول الله صلعم حريصا علي تعظيم سنته ومتشوقا الي مراعاة قلوب الصالحين من امته ومتبركا
بادعيتهم فعساك تنال من شفاعته او شفاعتهم فتنجو بالشفاعة ان كنت قليل البضاعة
صفة الشفاعة اعلم انه اذا حق دخول النار علي طوايف من المومنين فان الله تع بفضله
يقبل فيهم شفاعة الانبيا والصديقين بل شفاعة العلما والصالحين وكل من له عند الله
جاه وحسن معاملة فان له شفاعة في اهله وقرابته واصدقايه ومعارفه فكن حريصا علي ان
تكتسب لنفسك عندهم رتبة الشفاعة وذلك بان لا تحقر آدميا اصلا فان الله خبا ولايته في عباده
فلعل الذي تزدريه عينك هو ولي الله ولا تستصغر معصية اصلا فان الله خبا غضبه في معاصيه
فلعل مقت الله فيه ولا تستحقر طاعة اصلا فان الله خبا رضاه في طاعته فلعل رضا الله فيه ولو الكلمة
الطيبة او اللقمة او النية الحسنة او ما يجري مجراه وشواهد الشفاعة في القرآن والاخبار

كثيرا قال الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى روى عمرو بن العاص ان رسول الله عليه السلم
تلا قول ابرهيم رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك
غفور رحيم وقول عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك ثم رفع يديه وقال امتي امتي ثم بكى فقال الله
عز وجل يا جبريل اذهب الي محمد فسله ما يبكيك فاتاه فسأله فاخبره بما قال وهو اعلم به فقال يا جبريل
اذهب الي محمد فقل له انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك وقال عليه اعطيت خمسا لم يعطهن
احد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر واحلت لي الغنايم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي
الارض مسجدا وترابها لي طهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل واعطيت الشفاعة
وكل نبي بعث الي قومه خاصة وبعثت الي الناس عامة وقال عليه السلم اذا كان يوم القيمة كنت
امام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم من غير فخر وقال عليه انا سيد ولد آدم ولا فخر وانا اول
من تنشق عنه الارض وانا اول شافع ومشفع بيدي لواء الحمد تحتي آدم فمن دونه وقال عليه لكل
نبي دعوة مستجابة فاريد ان اختبي دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة وقال ابن عباس قال عليه
الانبياء منابر من ذهب فيجلسون عليها ويبقى منبري لا اجلس عليه قائما بين يدي ربي منتصبا
مخافة ان يبعث بي الي الجنة ويبقى امتي بعدي فاقول يا رب امتي فيقول الله يا محمد وما تريد
ان اصنع بامتك فاقول يا رب عجل حسابهم فما ازال اشفع حتى اعطى صكا برجال قد بعث بهم
الي النار وحتى ان مالكا خازن النار يقول يا محمد ما تركت للنار لغضب ربك في امتك من نقمة
وقال عليه السلم اني لاشفع يوم القيمة لاكثر مما على وجه الارض من حجر ومدر وقال ابو هريرة
اتى رسول الله عليه بلحم فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة ثم قال انا سيد الناس يوم
القيمة وهل تدرون مم ذاك يجمع الله الناس الاولين والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم
البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الكرب والغم ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس
بعضهم لبعض الا ترون ما قد بلغكم الا تنظرون من يشفع لكم الي ربكم فيقول بعض الناس لبعض عليكم
بآدم عليه السلم فياتون آدم فيقولون له انت ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وامر
الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا الي ربك الا ترى الي ما نحن فيه الا ترى الي ما قد بلغنا فيقول لهم
آدم ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وانه نهاني عن
الشجرة فعصيته نفسي نفسي اذهبوا الي غيري اذهبوا الي نوح فياتون نوحا عليه فيقولون
يا نوح انت اول الرسل الي اهل الارض وقد سماك الله عبدا شكورا اشفع لنا الي ربك الا ترى

الي ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله وانه قد كانت لي دعوة دعوتها
علي قومي نفسي نفسي اذهبوا الي غيري اذهبوا الي ابرهيم خليل الله فياتون ابرهيم عليه السلم فيقولون
انت نبي الله وخليله من اهل الارض اشفع لنا الي ربك الا تري الي ما نحن فيه فيقول لهم ان ربي
غضب غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله واني كنت كذبت ثلثة كذبات ويذكرها
نفسي نفسي اذهبوا الي غيري اذهبوا الي موسي عليه السلام فياتون موسي فيقولون يا موسي انت
رسول الله فضلك برسالته وبكلامه علي الناس اشفع لنا الا تري الي ما نحن فيه فيقول ان ربي
غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله واني قتلت نفسا لم اومر بقتلها
نفسي نفسي اذهبوا الي غيري اذهبوا الي عيسي فياتون عيسي عليه السلم فيقولون يا عيسي انت رسول
الله وكلمته القاها الي مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد اشفع لنا الا تري الي ما نحن فيه
فيقول عيسي ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر
ذنبا نفسي نفسي اذهبوا الي غيري اذهبوا الي محمد فياتون محمدا عليه السلم فيقولون يا محمد انت
رسول الله وخاتم الانبيا وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر اشفع لنا الي ربك الا تري الي
ما نحن فيه فانطلق فاتي تحت العرش فاقع ساجدا لربي ثم يفتح الله لي من محامده وحسن الثنا
عليه شيا لم يفتحه علي احد قبلي ثم يقال يا محمد ارفع راسك سل تعطه واشفع تشفع فارفع راسي
فاقول امتي امتي يا رب فيقال يا محمد ادخل من امتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن
من ابواب الجنة وهم شركا الناس فيما سوي ذلك من الابواب ثم قال والذي نفسي بيده ان ما
بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير او كما بين مكة وبصري وفي حديث اخر هذا
السياق بعينه مع ذكر خطايا ابرهيم وهو قوله في الكوكب هذا ربي وقوله لا بل فعله كبيرهم
وقوله اني سقيم فهذه شفاعة رسول الله ولاحاد امته من العلما والصالحين شفاعة ايضا حتي
قال رسول الله عليه السلم يدخل الجنة بشفاعة رجل من امتي اكثر من ربيعة ومضر وقال عليه السلم
يقال للرجل قم يا فلان فاشفع فيقوم الرجل فيشفع للقبيلة ولاهل البيت وللرجل وللرجلين
علي قدر عمله وعن انس قال رسول الله ان رجلا من اهل الجنة يشرف يوم القيمة علي اهل النار
فيناديه رجل من اهل النار ويقول يا فلان هل تعرفني فيقول لا والله ما اعرفك من انت فيقول انا
الذي مررت بي في الدنيا يوما فاستسقيتني شربة ما فسقيتك قال قد عرفت قال فاشفع لي
بها عند ربك فيسال الله تعالي ذلك ويقول اني اشرفت علي اهل النار فناداني رجل من اهلها فقال

هل تعرفني فقلت لا من انت قال انا الذي استسقيتني في الدنيا فسقيتك فاشفع لي بها فيشفعني فيه
فيشفعه الله فيه فيومر به فيخرج من النار وعن انس قال قال رسول الله انا اول الناس خروجا اذا بعثوا
وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا لواء الحمد بيدي يومئذ وانا اكرم ولد آدم على ربي ولا
فخر وقال رسول الله عليه السلم واكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلايق يقوم
ذلك المقام غيري وقال ابن عباس جلس ناس من اصحاب رسول الله ينتظرونه فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم
يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله عز وجل اتخذ من خلقه خليلا اتخذ ابرهيم خليلا
وقال آخر ماذا باعجب من كلام موسى كلمه تكليما وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال آخر آدم اصطفاه
الله فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان ابرهيم خليل الله وهو كذلك وموسى نجي
الله وهو كذلك وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر
وانا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع يوم القيمة ولا فخر وانا اول من يحرك حلق
الجنة فيفتح الله لي فادخلها ومعي فقراء المومنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر صفة
الحوض اعلم ان الحوض مكرمة عظيمة خص الله بها نبينا صلعم وقد اشتملت الاخبار على وصفه ونحن
نرجوا ان يرزقنا الله تع في الدنيا علمه وفي الآخرة ذوقه فان من صفاته ان من شرب منه لم يظما ابدا
قال انس اغفى رسول الله عليه السلم اغفاء فرفع راسه متبسما فقالوا له يا رسول الله لم ضحكت قال انزلت علي
آنفا وقرا بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر حتى ختمها ثم قال هل تدرون ما الكوثر قالوا الله
ورسوله اعلم قال انه نهر وعدنيه ربي عز وجل في الجنة عليه خير كثير عليه حوض يرد عليه امتي يوم القيمة
آنيته عدد الكواكب وقال انس قال رسول الله عليه السلم بينما انا اسير في الجنة اذا انا بنهر حافتاه قباب
اللولو المجوف قلت ما هذا يا جبرئيل قال هذا الكوثر الذي اعطاك ربك فضرب الملك بيده فاذا
طينته مسكا اذفر وقال كان رسول الله يقول ما بين لابتي حوضي مثل ما بين صنعا والمدينة او مثل ما بين
المدينة وعمان وروى ابن عمر انه لما نزل قوله انا اعطيناك الكوثر قال رسول الله هو نهر في الجنة حافتاه من
من ذهب شرابه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل واشد ريحا من المسك يجري على جنادل اللولو
والمرجان وقال ثوبان مولى رسول الله عليه السلم قال رسول الله ان حوضي ما بين عدن الى عمان البلقا
ماؤها اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل واكوابه عدد نجوم السماء من شرب شربة لم يظما بعدها
ابدا اول الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين فقال عمر بن الخطاب ومن هم يا رسول الله فقال هم الشعث
رؤسا الدنسو ثيابا الذين لا ينكحون المتنعمات ولا يفتح لهم ابواب السدد فقال عمر بن عبد العزيز والله لقد

نكحت الشهات فاطمة بنت عبد الملك وفتحت لي ابواب السدد الا ان يرحمني الله لاجرم لا ادهن راسي حتى
يشعث ولا اغسل ثوبي الذي علي جسدي حتى يتسخ وعن ابي ذر قال قلت يا رسول الله ما آنية الحوض
قال والذي نفس محمد بيده لآنيته اكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة المظلمة المصحية من شرب
منها لم يظما آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة عرضه مثل طوله ما بين عمان وايلة ماؤه اشد
بياضا من اللبن واحلي من العسل وعن سمرة قال قال رسول الله عليه السلم ان لكل نبي حوضا وانهم
يتباهون ايهم اكثر واردة واني ارجو ان اكون اكثرهم واردة فهذا رجا رسول الله عليه السلم فليرج
كل عبد ان يكون في جملة الواردين وليحذر ان يكون متمنيا ومغترا وهو يظن انه راجي فان الراجي
للحصاد من بث البذر ونقي الارض وسقاها الماء ثم جلس يرجوا فضل الله بالانبات ودفع الصواعق
الي اوان الحصاد واما من ترك الحراثة والزراعة وتنقية الارض وسقيها واخذ يرجوا من فضل
الله ان ينبت له الحب والفاكهة فهذا مغتر ومتمني وليس من الراجين في شي وهكذا رجا
اكثر الخلق وهو غرور الحمقى نعوذ بالله من الغرور والغفلة فان الاغترار بالله اعظم من الاغترار بالدنيا
قال الله تعالى فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور القول في صفة جهنم واهوالها وانكالها
ايها الغافل عن نفسه المغرور بما انت فيه من شواغل هذه الدنيا المشرفة عن الانقضا دع
التفكر فيما انت مرتحل عنه واصرف الفكر الي موردك فانك اخبرت بان النار مورد للجميع اذ قال
وان منكم الا واردها الي قوله ثم ننجي الذين اتقوا فانت من الورود على يقين ومن النجاة على شك
فاستشعر في قلبك هول ذلك المورد واهوالها فعساك تستعد للنجاة بالشر لاعمالها وتامل في
احوال الخلايق وقد قاسوا من دواهي القيمة ما قاسوا فبينما هم في كربها واهوالها واقفين ينتظرون
حقيقة انباها وتشفيع شفعايها اذ احاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب واظلت عليهم
نار ذات لهب وسمعوا لها زفيرا وجرجرة يفصح عن شدة الغيظ والغضب فعند ذلك ايقن المجرمون
بالعطب وجثت الامم على الركب حتى اشفق البرا من سو المنقلب وخرج المنادي من الزبانية
قايلا اين فلان بن فلان المسوف نفسه في الدنيا بطول الامل المضيع عمره في سو العمل فيبادرونه
بمقامع من حديد ويستقبلونه بعظايم التهديد ويسوقونه الي العذاب الشديد وينكسونه في
قعر الجحيم ويقولون له ذق انك انت العزيز الكريم فاسكنوه دارا ضيقة الارجا مظلمة المسالك مبهمة
المهالك يخلد فيها الاسير ويوقد فيها السعير شرابهم فيها الحميم ومستقرهم الجحيم الزبانية
تقمعهم والهاوية تجمعهم امانيهم فيها الهلاك وما لهم منها فكاك قد شدت اقدامهم الي النواصي واسودت

وجوههم من ظلمة المعاصي ينادون من اكنافها ويصيحون من اطرافها يا مالك قد حق علينا الوعيد يا مالك قد اثقلنا
الحديد يا مالك قد نضجت منا الجلود يا مالك اخرجنا منها فانا لا نعود فيقول الزبانية هيهات لات حين
ولا امان ولا خروج لكم من دار الهوان فاخسئوا فيها ولا تكلمون ان اخرجتم منها لكنتم الي ما نهيتم عنه عائدون
فعند ذلك يقنطون وعلي ما فرطوا في جنب الله يتاسفون ولا ينفعهم الندم ولا يغنيهم الاسف بل يكبون
علي وجوههم مغلولين النار من فوقهم والنار من تحتهم والنار عن ايمانهم والنار عن شمائلهم فهم غرقي في النار
طعامهم نار وشرابهم نار ولباسهم نار ومهادهم نار فهم بين مقطعات النيران وسرابيل القطران وضرب
المقامع وثقل السلاسل فهم يتجلجلون في مضايقها ويتحطمون في دركاتها ويضطربون بين غواشيها
النيران كغلي القدور ويهتفون بالويل والعويل ومهما دعوا بالثبور صب من فوق رؤسهم الحميم
يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد تهشم بها جباههم فيتفجر الصديد من افواههم وتتقطع
من العطش اكبادهم وتسيل علي الخدود احداقهم ويسقط من الوجنات لحومها ويتمعط من الاطراف شعورها
بل جلودها كلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها وعريت من اللحم عظامهم فبقيت الارواح منوطة بالعروق
وعلائق العصب وهي تنش في لفح تلك النيران وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون فكيف بك لو نظرت
اليهم وقد سودت وجوههم اشد سوادا من الحميم واعميت ابصارهم وابكمت السنتهم وقصمت ظهورهم
وكسرت عظامهم وجدعت آذانهم ومزقت جلودهم وغلت ايديهم الي اعناقهم وجمعت بين نواصيهم واقدامهم
وهم يمشون علي النار بوجوههم ويطؤن حسك الحديد باحداقهم فلهيب النار سار في بواطن اجزائهم
وحيات الهاوية وعقاربها متشبثة بظواهر اعضائهم هذه جملة احوالهم وانظر الآن في تفصيل اهوالها
وتفكر ايضا في اودية جهنم وشعابها وقد قال عليه السلم ان في جهنم سبعين الف واد في كل واد
سبعون الف شعب وفي كل شعب سبعون الف ثعبان وسبعون الف عقرب لا ينتهي الكافر والمنافق
حتي يواقع ذلك كله وقال علي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من جب الحزن او وادي الحزن قيل
يا رسول الله وما وادي الحزن قال وادي في جهنم يتعوذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة اعده الله
للقراء المرائين فهذه سعة جهنم وانشعاب اوديتها وهي بحسب عدد اودية الدنيا وشهواتها وعدد ابوابها
بعدد الاعضاء السبعة التي بها يعصي العبد بعضها فوق بعض الاعلي جهنم ثم سقر ثم لظي ثم الحطمة
ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية فانظر الآن في عمق الهاوية فانه لا حد لعمقها كما لا حد لعمق شهوات الدنيا
فكما لا ينتهي ارب من الدنيا الا الي ارب اعظم منه فلا ينتهي هاوية من جهنم الا الي هاوية اعمق منها قال
ابو هريرة كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا وجبة فقال رسول الله اتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله اعلم

وقال هذا حجر ارسل في جهنم منذ [illegible] عاما الآن حين انتهى الى قعرها ثم انظر الى تفاوت الدرجات
فان الآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا فكما ان اكباب الناس على الدنيا متفاوت فمن منهمك مستكثر
كالغريق فيه ومن خائض فيه الى حد محدود فكذلك تناول النار لهم متفاوت فان الله لا يظلم مثقال
حبة ولا تترادف انواع العذاب على كل من في النار كيف كان بل لكل واحد حد معلوم على قدر عصيانه
وذنبه الآن اقلهم عذابا لو عرضت عليه الدنيا بحذافيرها لافتدى بها من شدة ما هو فيه قال
رسول الله عليه السلام ادنى اهل النار عذابا ينتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه فانظر
الآن الى من خفف عليه واعتبر به من شدد عليه ومهما شككت في شدة عذاب النار فقرب اصبعك
من النار وقس ذلك به ثم اعلم انك اخطأت في القياس فان نار الدنيا لا تناسب نار جهنم ولكن لما
كان اشد عذاب في الدنيا عذاب هذه النار عرف عذاب جهنم بها وهيهات لو وجد اهل
الجحيم مثل هذه النار لخاضوها طائعين هربا مما هو فيه وعن هذا عبر في بعض الاخبار
قال ان نار الدنيا غسلت بسبعين ماء من مياه الرحمة حتى اطاقها اهل الدنيا بل صرح رسول
الله عليه السلام بصفة نار جهنم فقال اوقدت تلك النار الف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها
الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة وقال عليه السلام
اشتكت النار الى ربها فقالت يا رب اكل بعضي بعضا فاذن لها بنفسين نفس في الشتاء
ونفس في الصيف اشارة الى ان حر الشمس وزمهرير الشتاء من نفسها وقال انس بن مالك
يؤتى بانعم الناس في الدنيا من الكفار فيقال اغمسوه في النار غمسة ثم يقال له هل رايت نعيما
قط فيقول لا ويؤتى باشد الناس ضرا فيقال اغمسوه في الجنة غمسة ثم يقال هل رايت ضرا قط
فيقول لا وقال ابو هريرة لو كان في المسجد مائة الف او يزيدون ثم تنفس رجل من اهل النار
لماتوا وقد قال بعض العلماء في قوله تلفح وجوههم النار انها لفحتهم لفحة واحدة فما ابقت لحما
على عظم الا القته عند اعقابهم ثم انظر بعد هذا الى نتن الصديد الذي يسيل من ابدانهم
حتى يغرقون فيها وهو الغساق قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله عليه السلام لو ان دلوا من غساق
جهنم القي في الدنيا لانتن اهل الارض فهذا شرابهم اذا استغاثوا من العطش ويسقى من ماء
صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه وياتيه الموت من كل مكان وما هو بميت وان يستغيثوا يغاثوا
بماء كالمهل الى قوله وساءت مرتفقا ثم انظر الى طعامهم وهو الزقوم كما قال ثم انكم ايها الضالون
الى قوله شرب الهيم وقال انها شجرة تخرج في اصل الجحيم الى قوله لشوبا من حميم وقال تعالى تصلى نارا حامية

لدي من عين آنية وقال ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة الآية وقال ابن عباس قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لو ان قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا لافسدت على اهل الدنيا
معايشهم فكيف من يكون طعامه ذلك وقال انس قال رسول الله عليه السلم ارغبوا فيما رغبكم
الله واحذروا وخافوا ما خوفكم الله به من عذابه وعقابه ومن جهنم فانها لو كانت قطرة من الجنة
معكم في دنياكم التي انتم فيها حلتها لكم ولو كانت قطرة من النار معكم في دنياكم التي انتم فيها
خبثتها عليكم وقال ابو الدرداء قال رسول الله عليه السلم يلقى على اهل النار الجوع حتى يعدل ما هم
فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع فيستغ
يثون بالطعام فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون انهم كانوا يجيزون الغصص في
الدنيا بالشراب فيستغيثون بالشراب فيرفع اليهم الحميم بكلاليب الحديد فاذا ادنت من وجوههم
شوتها فاذا دخلت بطونهم قطعت ما في بطونهم فيقولون ادعوا خزنة جهنم قال فيدعون خزنة
جهنم ان ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فيقولون اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا
بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال قال فيقولون ادعوا مالكا فيدعون فيقولون
يا مالك ليقض علينا ربك قال فيجيبهم انكم ماكثون قال الاعمش انبئت ان بين دعائهم وبين اجابة مالك
اياهم الف عام قال فيقولون ادعوا ربكم فلا احد خير من ربكم فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا
وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيجيبهم اخسئوا فيها ولا تكلمون
قال فعند ذلك يئسوا من كل خير وعند ذلك اخذوا في الزفير والحسرة والويل وقال ابو امامة قال
رسول الله في قوله ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه قال يقرب اليه فيكرهه فاذا ادني
منه شوى وجهه ووقعت فروة راسه فاذا شربه قطع امعاءهم يقول الله تعالى وان يستغيثوا
يغاثوا بماء كالمهل فهذا طعامهم وشرابهم عند جوعهم وعطشهم فانظر الآن الى حيات
جهنم وعقاربها والى شدة سمومها وعظم اشخاصها وفظاعة منظرها وقد سلطت على اهلها
واغريت بهم فهي لا تفتر عن النهش واللدغ ساعة واحدة قال ابو هريرة قال رسول الله من اتاه الله مالا
فلم يؤد زكوته مثل له يوم القيمة شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيمة ثم ياخذ بلهزمتيه يعني
شدقيه فيقول انا مالك انا كنزك ثم تلا قوله ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله الآية
وقال الرسول عليه السلم ان في النار حيات مثل اعناق البخت يلسعن اللسعة فيجد
حموتها اربعين خريفا وان فيها العقارب كالبغال الموكفة يلسعن اللسعة فيجد حموتها ار
بعين

خزيا وهذه العقارب والحيات [illegible] ما يسلط على من سلط عليه في الدنيا البخل وسوء الخلق
وايذاء الناس ومن وقى ذلك وقي هذه الحيات فلم تمثل له ثم تفكر بعد هذا كله في تعظيم
اجسام اهل النار فان الله يزيد في اشخاصهم طولا وعرضا حتى يتزايد عقابهم بسببه فيحسون
بلفح النار ولدغ العقارب والحيات من جميع اجزايها دفعة واحدة على التوالي قال ابو هريرة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر في النار مثل احد وغلظ جلده مسيرة ثلث وقال الرسول
ان شفته السفلى ساقطة على صدره والعليا قالصة قد غطت وجهه وقال عليه السلم ان الكافر
ليجر لسانه في سجين يوم القيمة يتوطاه الناس ومع عظم الاجسام كذلك يحرقهم النار مرات فتجدد
جلودهم ولحومهم قال الحسن كلما نضجت جلودهم ولحومهم قال الحسن كلما نضجت جلودهم بد[لناهم]
غيرها قال تاكلهم النار كل يوم سبعين الف مرة كلما اكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا
ثم تفكر الان في بكاء اهل النار وشهيقهم ودعايهم بالويل والثبور فان ذلك يسلط عليهم
في اول لقايهم النار قال رسول الله عليه السلم يوتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع
كل زمام سبعون الف ملك وقال انس قال رسول الله عليه السلم يرسل على اهل النار البكا
فيبكون حتى ينقطع الدموع فيبكون الدم حتى يرى في خدودهم كهيئة الاخدود لو ارسلت فيها
السفن لجرت وما دام يوذن لهم في البكاء والشهيق والزفير والدعوة بالويل والثبور فلهم مستروح
ولكنهم يمنعون ايضا من ذلك قال محمد بن كعب لاهل النار خمس دعوات يجيبهم الله عز وجل في اربعة
فاذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها ابدا يقولون ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا
بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل فيقول الله مجيبا لهم ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم الاية ثم
يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا فيجيبهم الله اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من
زوال فيقولون ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فيقول الله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من
تذكر الاية ثم يقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا الى قوله فانا ظالمون فيجيبهم الله اخسئوا فيها
ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها ابدا وذلك غاية شدة العذاب قال مالك بن انس قال زيد بن اسلم
في قوله سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص قال صبروا مائة سنة ثم جزعوا مائة سنة
ثم قالوا سواء علينا اجزعنا ام صبرنا وقال عليه السلم يوتى بالموت يوم القيمة كانه كبش املح فيذبح
ثم يقال يا اهل الجنة خلود لا موت ويا اهل النار خلود لا موت وعن الحسن قال يخرج من النار
رجل بعد الف عام وليتني كنت ذلك الرجل وراى الحسن جالسا في زاوية وهو يبكي فقيل له لم

يبكي فقال اخشى ان يطرحني في النار ولا يبالي فهذه اصناف عذاب جهنم على الجملة وتفصيل غمومها
واحزانها ومحنها وحسراتها لا نهاية لها فاعظم الامور عليهم مع ما يلاقونه من شدة العذاب حسرة فوت
نعيم الجنة وفوت لقاء الله وفوت رضاه مع علمهم بانهم باعوا كل ذلك بثمن بخس دراهم معدودة اذ لم يبيعوها
الا بشهوات حقيرة في الدنيا اياما قصيرة وكانت غير صافية بل كانت مكدرة منغصة فيقولون في انفسهم
واحسرتاه كيف اهلكنا انفسنا بعصيان ربنا وكيف لم نكلف انفسنا الصبر اياما قلائل ولو صبرنا لكانت
قد انقضت علينا ايامه وبقينا الان في جوار الرحمن متنعمين بالرضى والرضوان فيا لحسرة هؤلاء وقد فاتهم
ما فاتهم وبلوا بما بلوا به ولم يبق معهم شيء من نعيم الدنيا ولذاتها ثم انهم لو لم يشاهدوا نعيم الجنة لم تعظم
حسرتهم لكنها تعرض عليهم وقد قال رسول الله ﷺ يؤمر يوم القيمة بناس من الناس الى الجنة حتى اذا دنوا منها
واستنشقوا رائحتها ونظروا الى قصورها والى ما اعد الله لاهلها فيها نودوا ان اصرفوهم عنها لا نصيب
لهم فيها فيرجعون بحسرة ما رجع الاولون بمثلها فيقولون يا ربنا لو ادخلتنا النار قبل ان تريتنا ما
اريتنا من ثوابك ״ اعددت فيها لاوليائك كان اهون علينا قال ذاك اردت بكم كنتم اذا خلوتم
بي بارزتموني بالعظايم اذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراؤون الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم
هبتم الناس ولم تهابوني واجللتم الناس ولم تجلوني وتركتم للناس ولم تتركوا لي فاليوم اذيقكم
العذاب الاليم مع ما حرمتكم من الثواب قال احمد بن حرب ان احدنا يؤثر الظل على الشمس ولا يؤثر الجنة
على النار وقال عيسى عليه السلم كم من بدن صحيح ووجه صبيح ولسان فصيح غدا بين اطباق النار يصيح
وقال داود الهي لا صبر لي على حر شمسك فكيف صبري على حر نارك ولا صبر لي على صوت رحمتك فكيف على
صوت عذابك فانظر يا مسكين في هذه الاهوال واعلم ان النار خلقها الله تع باهوالها وخلق لها
اهلا لا يزيد ولا ينقص وان هذا امر قد قضي وفرغ منه قال الله تع وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم
في غفلة ولعمري الاشارة به الى يوم القيمة ولكن ما قضي الامر يوم القيمة بل في ازل الازال ولكن اظهر
يوم القيمة ما سبق به القضاء والعجب منك حيث تضحك وتلهو وتشتغل بمحقرات الدنيا ولست تدري
ان القضاء بماذا سبق في حقك فان قلت فليت شعري ماذا موردي والى ماذا مالي ومرجعي وما الذي
سبق به القضاء في حقي فلك علامة تستانس بها وتصدق رجاءك بسببها وهو ان تنظر الى احوالك
واعمالك فان كلا ميسر لما خلق له فان كان قد يسر لك سبيل الخير فابشر فانك مبعد عن النار وان كنت
لا تقصد خيرا الا ويحيط بك العوائق فتدفعه ولا تقصد شرا الا ويتيسر لك اسبابه فاعلم انك مقضي عليك فان
دلالة هذا على العاقبة كدلالة المطر على النبات ودلالة الدخان على النار فقد قال الله تع ان الابرار لفي

نعيم وان الفجار لفي جحيم فلا تعرض نفسك عن الآيتين وقد عرفت مستقركم في الدارين القول في
صفة الجنة واصناف نعيمها هذه الدار التي عرفت غمومها وشرورها تقابلها دار اخرى فتامل
نعيمها وسرورها فان من بعد من احديهما استقر لا محالة في الاخرى فاستثر الخوف من قلبك بطول
التفكر في اهوال الجحيم واستثر الرجاء بطول الفكر في النعيم المقيم الموعود لاهل الجنان وسق نفسك
بسوط الخوف وقدها بزمام الرجاء الى الصراط المستقيم فبه تنال الملك العظيم وتسلم من العذاب الاليم
فتفكر في اهل الجنة وفي وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم جالسين على منابر من
الياقوت الاحمر في خيام من اللؤلؤ الرطب الابيض فيها بسط من العبقري الاخضر متكئين
على ارائك منصوبة على اطراف انهار مطردة بالخمر والعسل محفوفة بالغلمان والولدان مزينة بالحور
العين من الخيرات الحسان كانهن الياقوت والمرجان لم يطمثهن قبلهم انس ولا جان يمشين في درجات
الجنان اذا اختالت احداهن في مشيها حمل اعطافها سبعون الفا من الولدان عليها من طرائف
الحرير الابيض ما تتحير فيه الابصار مكللات بالتيجان المرصعة باللؤلؤ والمرجان [illegible] غنجات
عطرات آمنات من الهرم والبؤس مقصورات في الخيام في قصور من الياقوت [illegible] روضات الجنان
قاصرات الطرف عين ثم يطاف عليهم وعليهن باكواب واباريق وكاس من معين ويطوف
عليهم خدام وولدان كامثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون في مقام امين في جنات وعيون
في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ينظرون فيها الى وجه الملك الكريم وقد اشرقت
في وجوههم نضرة النعيم لا يرهقهم قتر ولا ذلة بل عباد مكرمون وبانواع التحف من ربهم يتعاهدون
فهم فيما اشتهت انفسهم خالدون لا يخافون فيها ولا هم يحزنون وهم من ريب المنون آمنون فهم
فيها يتنعمون ويأكلون من اطعمتها ويشربون من انهارها لبنا وخمرا وعسلا في انهار اراضيها من فضة
وحصباؤها مرجان وعلى ارض ترابها مسك اذفر ونباتها زعفران ويمطرون من سحاب فيها من ماء
النسرين على كثبان الكافور ويؤتون باكواب واي اكواب اكواب من فضة مرصعة بالدر والياقوت
والمرجان كوب فيه من الرحيق المختوم ممزوج بها السلسبيل العذب كوب يشرق من نوره من صفاء
جوهره يبدو الشراب من ورائه برقته وحمرته لم تصنعه آدمي فيقصر في تسوية صنعته وتحسين
صناعته في كف خادم يحكي ضياء وجهه الشمس في اشراقها ولكن من اين للشمس مثل حلاوة صورته
وحسن اصداغه وملاحة احداقه فيا عجبا لمن يؤمن بدار هذه صفتها ويوقن بانه لا يموت اهلها
ولا تحل الفجائع بمن نزل بفنائها ولا تنظر الاحداث بعين التغيير الى اهلها كيف يانس بدار قد اذن

الله في خرابها وتيهها بعيش دونها والله ولو لم يكن فيها الا سلامة الابدان مع الامن من
الموت والجوع والعطش وساير اصناف الحدثان لكان جديرا بان يهجر الدنيا بسببها
وان لا يوثر عليها ما التصرم والتنغص من ضرورتها كيف واهلها ملوك آمنون وفي انواع
السرور متمتعون لهم فيها كل ما يشتهون وهم في كل يوم بفناء العرش يحضرون والى وجه الله
الكريم ينظرون وينالون بالنظر من اللذة ما لا ينظرون معه الى ساير نعيم الجنان ولا يلتفتون
وهم على الدوام بين اصناف هذه النعم يترددون ومن زوالها آمنون قال
ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي منادي ان لكم ان تصحوا فلا تسقموا ابدا وان
لكم ان تحيوا فلا تموتوا ابدا وان لكم ان تشبوا فلا تهرموا ابدا وان لكم ان تنعموا فلا تبأسوا ابدا فذلك قوله
عز وجل ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون فمهما اردت ان تعرف صفة الجنة
[illegible] القرآن فليس وراء بيان الله بيان واقرا من قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان الى آخر
سورة الرحمن واقرا سورة الواقعة وغيرها من السور وان اردت ان تعرف تفصيل صفاتها
من الاخبار فتامل الآن تفصيلها صفاتها من الاخبار بعد ان اطلعت على جملتها وتامل اولا
عدد الجنان قال رسول الله عليه السلام في قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان قال جنتان من
فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى
ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن ثم انظر الى ابواب الجنة فانها كثيرة بحسب اصول
الطاعات كما ان ابواب النار بحسب اصول المعاصي قال ابو هريرة قال رسول الله عليه السلام
من انفق زوجين من ماله في سبيل الله دعي من ابواب الجنة وللجنة ابواب فمن كان من اهل
الصلوة دعي من باب الصلوة ومن كان من اهل الصيام دعي من باب الريان ومن كان من اهل
الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من اهل الجهاد دعي من باب الجهاد قال ابو بكر والله ما على
احد من ضرورة من ايها دعي فهل يدعى احد منها كلها قال نعم وارجو ان تكون منهم وعن عاصم
بن ضمرة عن علي انه ذكر النار فعظم امرها ذكرا لا احفظه ثم قال وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة
زمرا حتى اذا [illegible] الى باب من ابوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان
فعمدوا الى احديهما كانما امروا به فشربوا منها فاذهبت ما في بطونهم من اذى او باس ثم عمدوا
الى الاخرى فتطهروا بها فجرت عليهم نضرة النعيم فلم تغير اشعارهم بعدها ابدا ولا تشعث رؤوسهم
كانما ادهنوا بالدهان ثم انتهوا الى الجنة فقالوا سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ثم تلقاهم

الولدان فيطيفون بهم كما يطيف ولدان اهل الدنيا بالحميم يقدم عليهم من غيبته يقولون له ابشر اعد الله
لك من الكرامة كذا وكذا ثم ينطلق غلام من اوليك الولدان الي بعض ازواجه من الحور العين فيقول
قد جا فلان باسمه الذي كان يدعى به في الدنيا قالت انت رايته فيقول انا رايته وهو باثري
فيستخفها الفرح حتى تقوم على اسكفة بابها فاذا انتهى الي منزله نظر الي اساس بنيانه
فاذا جندل اللولو فوقه صرح اخضر واحمر واصفر من كل لون ثم رفع راسه فنظر الي سقفه فاذا
مثل البرق ولولا ان الله عز وجل قدره لالم ان يذهب بصره ثم طاطا راسه واذا ازواجه واكواب
موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة ثم اتكى فقال الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي
لولا ان هدانا الله ثم ينادي منادي تحيون فلا تموتون ابدا وتقيمون ولا تطعنون ابدا وتصحون
فلا تمرضون ابدا وقال عليه السلم اتي يوم القيمة باب الجنة فاستفتح فيقول الخازن من انت
فاقول محمد فيقول بك امرت ان لا افتح لاحد قبلك وتامل الان في غرف الجنة و[illegible] اختلاف د[illegible]
فيها فان الاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا وكما ان بين الناس في الطاعات الظاهرة والاخلاق
الباطنة المحمودة تفاوت ظاهر فكذلك فيما يجازون به تفاوت ظاهر فان كنت تطلب اعلى
الدرجات فاجتهد ان لا يسبقك احد بطاعة الله فقد امرك الله بالمسابقة والمنافسة فيها وقال
وسابقوا الي مغفرة من ربكم [illegible] وقال [illegible] ذلك [illegible] فليتنافس المتنافسون والعجب انه لو تقدم
عليك اقرانك او جيرانك بزيادة د[illegible] بعلو بنا[illegible] [illegible] لثقل عليك وضاق بها صدرك وتنغص لسبب
الحسد عيشك واحسن احوالك ان تستقر في الجنة [illegible] فيها من يتقدمك بلطائف
لا توازيها الدنيا بحذافيرها فقد قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله [illegible] ان اهل الجنة ليتراءون اهل
الغرف من فوقهم كما [illegible] الكوكب الغابر في الافق من المشرق او المغرب لتفاضل ما بينهم قالوا
يا رسول الله تلك منازل [illegible] [illegible] غيرهم قال بلي والذي نفسي بيده رجال امنوا بالله وصدقوا
المرسلين وقال ايضا ان اهل [illegible] العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في افق من
افاق السما وان [illegible] منهما وقال جابر قال لنا رسول الله عليه السلم الا احدثكم بغرف
الجنة قال قلت بلى يا رسول الله [illegible] بابينا انت وامنا قال ان في الجنة غرفا من اصناف الجوهر كله يرى
ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وفيها من النعيم واللذات والسرور ما لا عين رات ولا
اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال قلت يا رسول الله ولمن هذه الغرف قال لمن افشى السلام واطعم
الطعام وادام الصيام وصلى بالليل والناس نيام قال قلنا يا رسول الله ومن يد[illegible] [illegible] ك قال امتي

يطيق ذلك وساخبركم عن ذلك من لقي اخاه فسلم عليه اورده عليه فقد افشى الاسلام ومن اطعم اهله
وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد اطعم الطعام ومن صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلثة ايام فقد
ادام الصيام ومن صلى العشاء الآخرة وصلى الغداة في جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام يعني اليهود
والنصارى والمجوس وسئل رسول الله عليه السلم عن قوله ومساكن طيبة في جنات عدن قال قصور
من لؤلؤ في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا من كل لون على كل فراش
زوجة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام وفي كل بيت سبعون
وصيفة ويعطى المؤمن في كل غداة يعني من القوة ما ياتي على ذلك اجمع صفة حائط الجنة وارضها
والتحت ما [illegible] وانهارها تامل في صورة الجنة وتفكر في غبطة سكانها وفي حسرة من حرم منها لقنا عته
بالدنيا عنها وقد قال ابو هريرة قال النبي عليه وسلم ان حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة ونورانها
[illegible] سكة [illegible] وسئل عليه السلم عن تربة الجنة فقال درمكة بيضاء مسك خالص وقال
ابو هريرة قال رسول الله عليه السلم من سره ان يسقيه الله الخمر في الآخرة فليتركها في الدنيا ومن سره ان
يكسوه الله الحرير في الآخرة فليتركه في الدنيا انهار الجنة تنفجر من تحت تلال او تحت جبال المسك ولو كان
ادنى اهل الجنة حلية عدلت بحلية اهل الدنيا جميعا لكان ما يحليه الله عز وجل في الآخرة افضل
من حلية اهل الدنيا جميعا وقال [illegible] شجرة يسير الراكب في ظلها مائة
عام لا يقطعها فاقرءوا ان شئتم [illegible] وقال ابو امامة كان اصحاب رسول الله عليه السلم يقولون
ان الله لينفعنا بالاعراب [illegible] يوما اعرابي فقال يا رسول الله قد ذكر الله في القرآن
شجرة موذية [illegible] وما هي قال السدر
فان لها شوكا فقال قال الله [illegible] مخضود يخضد الله شوكه [illegible] مكان كل شوكة ثمرة
ثم تتفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لونا من طعام ما منها لون [illegible] وقال [illegible]
[illegible] الصفاح فاذا رجل نائم تحت شجرة قد كادت الشمس ان [illegible] فقلت للغلام انطلق بهذا النطع
فاظلله فلما استيقظ اذا هو سلمان فاتيته اسلم عليه [illegible] الدنيا ظل من تواضع
لي لدنيا [illegible] يوم القيامة هل تدري ما الظلمات يوم القيامة قلت لا ادري قال ظلم الناس بينهم ثم اخذ
عويدا لا اكاد اراه من صغره فقال [illegible] لو طلبت في الجنة مثل هذا لم تجده قلت يا ابا عبد الله
فاين النخل [illegible] قال اصولها اللؤلؤ والذهب واعلاها الثمر صفة لباس اهل الجنة [illegible]
[illegible] قال الله يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير

والآيات في تفصيل ذلك كثيرة واما تفصيله في الاخبار فقد روى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من يدخل
الجنة ينعم ولا يبأس لا يبلى ثيابه ولا يفنى شبابه وله في الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر وقال رجل يا رسول الله اخبرنا عن ثياب اهل الجنة اتخلق خلقا ام تنسج نسجا فسكت رسول الله عم
وضحك بعض القوم فقال رسول الله عم مم تضحكون من جاهل يسأل عالما ثم قال رسول الله بل تنشق عنها ثمر
الجنة مرتين وقال ابو هريرة قال رسول الله عم اول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر
لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون فيها آنيتهم وامشاطهم من الذهب والفضة ورشحهم المسك
ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقيهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم
على قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشيا وفي رواية على كل زوجة سبعون حلة وقال عليه السلام
في قوله يحلون فيها من اساور من ذهب قال ان عليهم التيجان ان ادنى لؤلؤة فيها تضيء ما بين المشرق
والمغرب وقال عليه السلام الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا في كل زاوية منها اهل
لا يراهم الآخرون رواه البخاري في الصحيح وقال ابن عباس الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ لها اربعة آلاف مصراع
من ذهب وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله في قوله وفرش مرفوعة قال ما بين الفراشين كما بين السماء
والارض صفة طعام اهل الجنة بيان طعام اهل الجنة مذكور في القرآن من الفواكه والطيور
السمان والمن والسلوى والعسل واللبن واصنافا نعما كثيرة لا تحصى قال تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة
الى [illegible] وذكر الله شراب اهل الجنة في مواضع كثيرة وقد قال ثوبان مولى رسول الله كنت قائما عند
رسول الله فجاء حبر من احبار اليهود فذكر مسألة الى ان قال فمن اول الناس اجازة يوم على الصراط قال
فقراء المهاجرين قال اليهودي فما تحفتهم حين يدخلون الجنة فقال زيادة كبد النون قال فما غذاؤهم
على اثرها قال ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من اطرافها قال فما شرابهم عليه قال من عين فيها تسمى
سلسبيلا فقال صدقت وقال زيد بن ارقم جاء رجل من اليهود الى رسول الله وقال يا ابا القاسم الست
تزعم ان اهل الجنة يأكلون فيها ويشربون وقال لاصحابه ان اقر لي بهذا خصمته فقال رسول الله عليه السلام
بلى والذي نفسي بيده ان احدهم ليعطى قوة مائة رجل في المطعم والمشرب والجماع فقال اليهودي فان
الذي يأكل ويشرب يكون له الحاجة فقال رسول الله حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل المسك فاذا
البطن قد ضمر وفي حديث آخر لا يتغوطون ولا يبولون انما هو جشاء ورشح يجري من اعراضهم مثل المسك نعوذ
ابدانهم وقال ابن مسعود قال رسول الله عليه السلام انك لتنظر الى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر بين
يديك مشويا وقال حذيفة قال رسول الله عليه السلام ان في الجنة طيرا امثال البخاتي قال [illegible] بكر انها لنا

نعمة يا رسول الله قال نعم منها من ياكلها وانت ممن ياكلها يا ابا بكر وقال عبد الله بن عمرو في قوله يطاف عليهم
بصحاف من ذهب قال يطاف سبعين صحفة من ذهب كل صحفة فيها لون ليس في الآخر وقال عبد الله
بن مسعود ومزاجه من تسنيم قال يمزج لاصحاب اليمين ويشرب بها المقربون صرفا وقال ابو الدرداء في قوله
ختامه مسك قال هو شراب ابيض مثل الفضة يختمون به آخر شربهم لو ان رجلا من اهل الدنيا ادخل يده
فيه ثم اخرجها لم يبق ذو روح الا وجد ريح طيبها صفة الحور العين والولدان قد تكررت في القرآن
اوصافهم وورد في الاخبار زيادة شرح فيه روي انس ان رسول الله عليه السلم قال غدوة في سبيل الله
او روحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس احدكم او موضع قدمه من الجنة خير من الدنيا وما فيها ولو ان
امراة من نساء اهل الجنة اطلعت الى الارض لاضاءت ولملأت ما بينهما رائحة ولنصيفها على راسها
خير من الدنيا بما فيها يعني الخمار وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله عليه السلم في قوله كانهن الياقوت
والمرجان قال ينظر الى وجهها في خدرها اصفى من المرآة وان ادنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق
والمغرب وانه يكون عليها سبعون ثوبا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك وقال انس قال
رسول الله عليه السلم لما عرج بي [illegible] الجنة موضعا يسمى البيدخ عليه خيام اللؤلؤ والزبرجد الاخضر
والياقوت الاحمر فقلن السلام عليك يا رسول الله فقلت يا جبرئيل ما هذا النداء قال هولاء المقصورات
في الخيام استاذن ربهن في السلام عليك فاذن لهن فطفقن يقلن نحن الراضيات فلا نسخط ابدا
ونحن الخالدات فلا نظعن ابدا وقرأ رسول الله قوله تعالى حور مقصورات في الخيام وقال مجاهد في قوله
ازواج مطهرة قال من الحيض والغائط والبول والنخام والبزاق والمني والولد وقال الاوزاعي في شغل
فاكهون اي شغلهم افتضاض الابكار وقال رجل يا رسول الله ايجامع اهل الجنة قال يعطى الرجل منهم في
اليوم الواحد افضل من سبعين منكم وقال عبد الله بن عمر ان ادنى اهل الجنة منزلة من يسعى معه الف خادم
كل خادم على عمل ليس عليه صاحبه وقال رسول الله ان الرجل من اهل الجنة ليتزوج خمسمائة حوراء واربعة
آلاف بكر وثمانية آلاف ثيب يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان في
الجنة سوقا ما فيها بيع ولا شرى الا الصور من الرجال والنساء فاذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها وان
فيها لمجتمع للحور العين يرفعن باصوات لم تسمع الخلائق مثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن
الناعمات فلا نبؤس ونحن الراضيات فلا نسخط فطوبى لمن كان لنا وكنا له وقال يحيى بن كثير في قوله تعالى
في روضة يحبرون قال السماع في الجنة وقال انس قال رسول الله عليه السلم ان الحور في الجنة يتغنين
يقلن نحن الحور الحسان خبئنا لازواج كرام وقال ابو امامة الباهلي قال رسول الله ما من عبد يدخل الجنة

الا و يجلس عند راسه وعند رجليه ثنتان من الحور العين تغنيانه باحسن صوت سمعه الانس والجن وليس
بمزمار الشيطان ولكن بتحميد الله وتقديسه بيان جمل متفرقة من اوصاف اهل الجنة ووردت الاخبار
بها روي اسامة بن زيد ان رسول الله قال لاصحابه الا هل مشمر للجنة ان الجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة نور
يتلالا وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وفاكهة كثيرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة في حبرة ونعمة
في مقام ابدا ونضرة في دار عالية بهية سليمة قالوا نحن المشمرون لها يا رسول الله قال قولوا ان شاء الله ثم ذكر
الجهاد وحض عليه وجاء رجل الى رسول الله عليه السلم وقال هل في الجنة خيل فانها تعجبني قال ان احببت
ذلك اتيت بفرس من ياقوتة حمراء فتطير بك في الجنة حيث شئت وقال له رجل آخر ان الابل تعجبني فهل في الجنة
من ابل فقال يا عبد الله ان ادخلت الجنة فلك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عيناك وعن ابي سعيد الخدري
قال قال رسول الله عليه السلم ان الرجل من اهل الجنة ليولد له الولد كما تشتهي يكون حمله وفصاله وشبابه
في ساعة واحدة وقال رسول الله عليه السلم اذا استقر اهل الجنة في الجنة اشتاق الاخوان الى الاخوان
فيسير سرير ذا الى ذا فيلتقيان فيتحدثان ما كان بينهما في دار الدنيا فيقول يا اخي تذكر يوم كذا في مجلس كذا
فدعونا الله عز وجل فغفر لنا وقال رسول الله اهل الجنة جرد مرد بيض جعاد مكحلون [illegible] على
خلق آدم طولهم ستون ذراعا في عرض سبعة اذرع وقال رسول الله ادنى اهل الجنة له ثمانون الف خادم و ثنتان
وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية الى صنعاء وان عليهم التيجان ان
ادنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب وقال عليه السلم نظرت الى الجنة فاذا الرمانة من رمانها
كجلد البعير المقتب واذا طيرها كالبخت فاذا فيها جارية فقلت يا جارية لمن انت فقالت لزيد بن حارثة فاذا
في الجنة ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال كعب خلق الله آدم بيده وكتب التورية
بيده وغرس الجنة بيده ثم قال لها تكلمي فقالت قد افلح المؤمنون هذه صفات الجنة ذكرناها جملة ثم نذكرها
تفصيلا وقد ذكر الحسن البصري جملتها فقال ان رمانها مثل الدلاء وان انهارها من ماء غير آسن وانهار
من لبن لم يتغير طعمه وانهارا من عسل مصفى لم يصفه الرجال وانهارا من خمر لذة للشاربين لا تسفه الاحلام
ولا يصدع منه الرؤس وان فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ملوك ناعمين ابناء
ثلث وثلثين في سن واحد طولهم ستون ذراعا في السماء كحل جرد مرد قد امنوا العذاب واطمانت بهم الدار
وان انهارها لتجري على رضراض من ياقوت وزبرجد وان عروقها ونخلها وكرمها اللؤلؤ وثمارها لا يعلم
علمه الا الله وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسماية سنة وان لهم فيها الخيل والابل هفافة رحالها وازمتها
وسروجها من ياقوت يتزاورون فيها وازواجهم الحور العين كانهن بيض مكنون وان المراة لتاخذ بين اصبعها

لو استغاث بي لاغثته ويغفرت عنه وقال سعيد بن بلال يومر يوم القيمة باخراج رجلين من النار فيقول
الله تع ذلك بما قدمت ايديكما وما انا بظلام للعبيد ويامر بطرحهما الى النار فيعدو احدهما في سلاسله
حتى يقتحمها ويتلكا الاخر فيومر بردهما ويسالهما عن فعلهما فيقول الذي عدا الى النار قد حذرت من وبال
المعصية فلم اكن اتعرض لسخطك ثانيا فقال الذي تلكا حسن ظني بك كان يشعرني الا تردني اليها بعد
ما اخرجتني منها فيامر بهما الى الجنة وقال رسول الله صلعم ينادي مناد من تحت العرش يوم القيمة يا امة محمد
اما ما كان لي قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتي ويروى ان اعرابيا
سمع ابن عباس يقرا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها فقال الاعرابي والله ما انقذكم منها وهو
يريد ان يوقعهم فيها فقال ابن عباس خذوها من غير فقيه وقال الصنابحي دخلت على عبادة بن الصامت وهو في
الموت فبكيت فقال مهلا لم تبكي فوالله ما من حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم فيه خير الا حدثتكموه
الا حديثا واحدا وسوف احدثكموه اليوم وقد احيط بنفسي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من شهد ان لا اله
الا الله وان محمدا رسول الله حرم الله عليه النار وقال عبد الله بن عمرو بن العاص قال رسول الله صلعم ان الله
يخلص رجلا من امتي على رؤس الخلايق يوم القيمة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول
اتنكر من هذا شيا اظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول افلك عذر قال لا يا رب فيقول بلى ان لك
عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فيقول
يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول انك لا تظلم فوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة
فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع الله شي وقال النبي صلى الله عليه وسلم في اخر حديث طويل يصف
فيه يوم القيمة والصراط ان الله تع يقول للملايكة من وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه من النار فيخرجون
خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار
من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا به ثم يقول ارجعوا
فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا فكان
ابو سعيد يقول ان لم تصدقوني بهذا الحديث فاقروا ان شيتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها
ويوت من لدنه اجرا عظيما فيقول الله تع شفعت الملايكة وشفعت النبيون وشفعت المومنون ولم يبق الا ارحم
الراحمين فيقبض قبضة فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في افواه الجنة يقال له
نهر الحيوة فيخرجون منها كما تخرج الحبة في حميل السيل الا ترونها تكون مما يلي الحجر او الشجر ما يكون منها الى
الشمس اصيفر واخيضر وما يكون منها الى الظل ابيض فقالوا يا رسول الله كانك كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون

كالؤلؤ في رقابهم الخواتيم يعرفهم اهل الجنة فيقولون هولاء عتقاء الله الذين ادخلهم الله الجنة
بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رايتموه فهو لكم فيقولون ربنا اعطيتنا ما لم تعط احدا من
العالمين فيقول الله لكم عندي افضل من هذا فيقولون ربنا اي شي افضل من هذا فيقول الله رضاي
ولا اسخط عليكم بعده ابدا رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وروى البخاري ايضا عن ابن عباس قال خرج
الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال عرضت علي الامم يمر النبي معه الرجل والنبي معه الرجلان
والنبي ليس معه احد والنبي معه الرهط فرايت سوادا كثيرا فرجوت ان يكون امتي فقيل هذا موسى وقومه
ثم قيل لي انظر فرايت سوادا كثيرا قد سد الافق فقيل لي انظر هكذا وهكذا فرايت سوادا كثيرا فقيل
لي هولاء امتك ومع هولاء سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب فتفرق الناس ولم يبين لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتذاكر ذلك اصحابه فقالوا اما نحن فولدنا في الشرك ولكن قد آمنا بالله ورسوله ولكن هولاء هم
ابناونا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى
ربهم يتوكلون فقام عكاشة فقال انا منهم يا رسول الله فقال نعم ثم قام آخر فقال انا منهم يا رسول الله فقال
سبقك بها عكاشة وعن عمرو بن حزم الانصاري قال تغيب عنا رسول الله صلعم ثلثا لا يخرج الا لصلوة
مكتوبة ثم يرجع فلما كان اليوم الرابع خرج الينا فقلنا يا رسول الله احتبست حتى ظننا انه قد حدث حدث
قال لم يحدث الا الخير ان ربي عز وجل وعدني ان [illegible] من امتي الجنة سبعين الفا لا حساب عليهم
واني سالت ربي في هذه الثلثة الايام المزيد فوجدت ربي واجدا ماجدا كريما فاعطاني مع كل واحد
من السبعين الفا سبعين الفا قال قلت يا رب وتبلغ امتي هذا قال اكمل لك العدد من الاعراب وقال
ابو ذر قال رسول الله صلعم عرض لي جبرئيل في جانب الحرة فقال بشر امتك انه من مات لا يشرك بالله شيا
دخل الجنة فقلت يا جبرئيل وان سرق وان زنى قال وان سرق وان زنى وان شرب الخمر وقال ابو الدردا
[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنى وان سرق يا رسول الله
فقال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنى وان سرق يا رسول الله فقال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت
وان زنى وان سرق يا رسول الله قال وان رغم انف ابي الدردا وقال رسول الله صلعم اذا كان يوم القيمة
دفع الى كل مومن رجل من اهل الملل فقيل له هذا فداوك من النار وروى مسلم في الصحيح عن ابي بردة
انه حدث عمر بن عبد العزيز عن ابيه عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يموت رجل مسلم الا ادخل
الله مكانه النار يهوديا او نصرانيا فاستحلفه عمر بن عبد العزيز بالله الذي لا اله الا هو ثلث مرات ان اباه حدثه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف له وروي انه وقف صبي في بعض المغازي ينادى عليه فيمن يزيد

فى يوم صائف شديد الحر فتبصرت به امراءة فى حياء القوم فاقبلت تشتد
واقبل اصحابها خلفها حتى اخذت الصبى والصقته الى صدرها ثم القت
ظهرها على حر البطحا وجعلته على بطنها تقيه الحر وقالت ابنى ابنى فبكى الناس
وتركوا ما هم فيه فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وقف عليهم فاخبروه الخبر
فسر برحمتهم ثم بشرهم فقال اعجبتم من رحمة هذه لابنها قالوا نعم قال صلى الله عليه
وسلم فان الله تبارك وتعالى ارحم بكم جميعا من هذه بابنها فتفرق المسلمون
على افضل السرور واعظم البشارة فهذه الاحاديث وما اوردناه فى كتاب الرجا
يبشرنا بسعة رحمة الله فنرجوا من الله تعالى ان لا يعاملنا بما نستحقه ويتفضل
علينا بما هو اهله بمنه وسعة جوده ورحمته تم الكتاب بحمد الله ومنه
وكرمه وبه كمل كتاب احياء علوم الدين فلله الحمد اولا واخرا وظاهرا
وباطنا لا نحصى ثناء عليه هو كما اثنى على نفسه والحمد لله وحده

تمت

